جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب
مكة المكرمة



سراج الدين الوراق

حياته وشعره

جمع ودراسة

إعداد الطالب

مليسر حميد سعيد

لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إشراف الدكتور

علي محمد حسن العماري

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

((المقدمة))

أحمد الله أوفى الحمد ، وأصلى على أنبيائه ورسله أطيب الصلاة ، وبعد :
ان بحثى هذا صورة من صور العناية بتراثنا الفكرى العربي فى الفكر والفن ، لان العناية بهذا التراث الذى أورثتنا اياه الامة العربية الاسلامية جزء من رسالتنا وغاية محمودة من غاياتنا ، ونحن اذ نسعى الى ازالة ماران عليه من غبار الزمن لانفعل ذلك صيانة لمحتوياته الفكرية فحسب ، بل لنتخذ منه الاس الذى نبنى عليه نهضتنا وكياننا الفكرى ، فهذا التراث هو جذور أمتنا ، والامة التى لا جذور لها عرضة لان تقتلعها الرياح . فليكن استيعاب القديم درسا وفهما نقطة انطلاق الى البحث عن الجديد الذى نساير به ركب الحياة الفكرية .

وقد اصطلح الدارسون على تسمية الفترة التى أعالج جانبا منها بالفترة المظلمة من تاريخ هذه الامة ، محتجين لذلك باضطراب الاوضاع السياسية والاجتماعية رابطين ازدهار هذه الاوضاع بالادب ، فكأنما ازدهارها يعنى ازدهار الادب وترديها يهوى بالادب ، وهذا تصور غير صحيح لان الادب ذاتى .

وانى لانفر أشد النفور من أساليب التعميم فى تقدير الزمان ، والغلو فى الاحكام ، ومحاولة دمغ العصر بأكمله بشتى النقائض وتجريده من سائر الفضائل وأرى أنه مامن عصر من عصورنا الادبية أصابه من الاجحاف فى الاحكام ، والاهمال فى الدراسات ، والرغبة عنها مثلما اصاب هذا العصر ، وعلى ما أعتقد فان هناك مطية خفيفة تهدف الى صرف الباحثين عن دراسة هذه الحقبة الخصبة ، والاكتفاء بحكم سريع يتسم بالسطحية ، وذلك أن هذا العصر والذى سبقه هما اللذان قاوما جحافل الصليبيين ، وأنقذا بلدان المسلمين من اعتداءاتهم ورد كيدهم فى نحورهم ، فكان الادب خير معين لشحذ الهمم ، وتصوير بطولات المسلمين وتسجيلها ، فضلا عن ان العصر الذى ندرسه هو الذى دفع الوثنية التى جاءت

على سيوف التتار ورماحهم ،اضافة الى أنه العصر الذى ملأ المكتبة العربيــــة التى خبت بعصبية بغداد وسواها بالتراث العربى الاسلامى المشرقين ، وأعاد الى النفس العربية عزتها وثقتها .

وقد كانت صلتى بهذه الفترة قديمة ، فقد عرفتها أخصب الفترات انتاجا علميا وفكريا وأدبيا ، الا أنه للاسف الشديد ، أن جل كنوز هذه الفترة لم يـر النور بعد ، وهو فى انتظار الباحثين الغيورين على تراث هذه الامة .

وقد وقع اختيارى على أبرز شعراء هذه الفترة والذى احتفلت بشعره كتـــب البلاغة والادب، وهو الشاعر سراج الدين الوراق ،فحرصت على دراستــــه ، ومحاولة ابراز جوانب أدبه .

وهذا الموضوع بكر ، لم يسبق أن طرقه باحث ، فعكفت على جمع شعــــره من بطون الكتب الادبية ، ثم قادنى البحث الى الاهتداء للمنتخب من ديوانـــه والذى أفادنى كثيرا فى دراستى ، فضربت اليه أكباد الابل ، ورحلت الى القاهرة لتصويره ، وهناك وجدت مادة طيبة من شعره ، والذى غالبه فى بطون الكتـــب المخطوطة ، فشمرت عن ساعد الجد ، وطفقت اجمع كل ما استطعت الوصول اليه مما انتشر من شعره ،باذلا فى ذلك قصارى طاقتى ،فتم من ذلك مجموع طيب.

وقد درست جل شعره الذى جمعته ، ولم أهمل منه الا نصوصا قليلــــة ، أشرت اليها فى اماكنها من البحث ، لما فيها من خنا يخدش الخلق ، ويجانـــب الذوق العربى الاصيل ، وعلى ضوء ما جمعت كانت دراستى .

وقد قسمت البحث الى ثلاثة أبواب ، اشتمل الباب الاول على عصـــر الوراق وحياته ، فكان فى فصلين ،الاول : درست فيه عصره ،والثانى : أرخت فيه لحياته أما الباب الثانى ،فكان لدراسة شعره ،وقد قسمته الى ثلاثة فصول ،خصصـــت الاول : لدراسة فنون شعره ، والثانى لخصائصه الفنية ،والثالث : للفنـــــون البديعية والبيانية فيه . وفى الباب الثالث كانت مساجلاته الشعرية واثره وتأثيـره وقد جعلته فى فصلين ،حوى الاول : مساجلاته الشعرية ،وتضمن الثانى : أثـــره

وتأثيره ، ثم كانت خاتمة البحث فالمصادر والمراجع والدوريات .

وقد كانت مصادري الاساسية في الدراسة هي المخطوطات ، التي عملت عليها بين مدينتي الموصل وبغداد ، ثم القاهرة ، ومكة المكرمة ، فلولاها لما استقام البحث بهذا الشكل . اما المصادر فكان لها دور ثانوي في جمع المادة الشعرية ، تلتها المراجع التي أعانتني على الدراسة .

والواقع انني بذلت مجهودا كبيرا في هذا البحث ، والله يشهد على ذلك وخاصة في استخراج النصوص الشعرية من المخطوطات ، فقد كلفني هذا الجمع عناء ، ولكن أحمد الله أن كانت ثمرة هذا الجهد الطيب ، هذه الرسالة والتي هي عزائي عن هذا العناء الكبير .

والحقيقة فان من طلب عيبا وجده ، كما ان من طلب مخرجا لم يفته ، ولا يعني هذا انني أدعي الكمال ، أو أرفض النقد ، فسبحان من تفرد بالعصمة وتنزه عن النقصان .

ان أمثال هذه الاعمال مجال لالتقاء القلوب الكبيرة ، والعقول ذات العمق ، فان المناقشات التي سيثيرها هذا البحث تعد في فضله ، وتحسب له .

واني لأزجي أخلص الشكر وأعمق التقدير لكل من ساعد على انجاز هذا البحث ، وأخص بالذكر استاذي الجليل الدكتور علي العطاري المشرف على الرسالة ، كما أشكر القائمين على مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي لما قدموه من خدمة طيبة ، وأسأل الله العظيم أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، فبك اللهم أعتضد ، وأستعين ، وأستمد التوفيق من الطافك فيما آتيه وأذره من قول او فعل ، والحمد لله أولا وآخرا .

ميسر حميد سعيد

اَلْبَابُ اَلْأَوَّلُ

عصره وحياته

الفصل الأول : عصره

الفصل الثاني : حياته

تمهيـــــــد

من أصول البحث العلمى ، عند ما يتناول الباحث حياة أديب أومفكــــر ، ان يعرض للمؤثرات العامة فيما يصدر عنه من أدب او فكر ، فيعرض للمؤثرات التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية . وقد يوجز بعض الباحثين فى هذه الدراسة اختصارا ، وربما مال آخر الى اهمالها اذا كانت معلومة مشتهرة ، قد كثرت الدراسات التى تناولتها ، وهو امر لا ينطبق باية حال من الاحــوال على ما اقترنت به حياة شاعرنا فى القرن السابع الهجرى .

وقد قضى شاعرنا الوراق شبابه فى ظل الايوبيين فى القاهرة ، وقضــى الشطر الباقى من عمره فى ظل سلاطين المماليك ، ولكى نفهم شعره جيــدا ، يتحتم علينا دراسة العصرين معا ، عصر الايوبيين الذى ولد ونشأ وقضـــى شبابه فيه ، وعصر سلاطين المماليك الذى اكمل فيه فترة شبابه ، وعاش فـــى ظل المماليك مادحا بعض سلاطينهم ، حتى أطفأ الله سراجه .

وسأبدأ بالدراسة التاريخية التى ستكون موجزة سريعة ، لا تستهــدف التفاصيل فلست من رجال التاريخ ، وانما سأحاول الوقوف عند النواحـــى التاريخية التى لها اثر مباشر على الجوانب الادبية ، اذ لا يمكن أن نفهـــم الادب بعيدا عن الحياة المحيطة به .

وستكون دراستى لما يتعلق بالفترة التى عاشها متمثلة فى الحيـــــاة السياسية والحياة الاجتماعية والاقتصادية ، والحياة الثقافية والفكريـــة ، والحياة الدينية .

" الفصل الأول "

عصــره

الحالة السياسيـــة

١ - الأيوبيــون :

اختلف المؤرخون فى أصلهم ، لكن الرأى الراجح أنهم من أكـــراد العراق ، وان ادعوا هم النسب العربى ، ولعل اتخاذهم النسب العربى كان لتقوية مركزهم فى السلطة (١) .

وقد استطاع الايوبيون بما عرفوا به من بسالة وشجاعة أن يقيموا ملكـــا عظيما ، لكنه تبدد بعد ذلك للخلافات التى وقعت بين ملوكهم ، فى الوقــت الذى كان الخطر الخارجى المتمثل بالصليبيين يهدد بلاد المسلمين ،وماشاده صلاح الدين الايوبى فى توحيدها (٢) .

أقام صلاح الدين الايوبى دولة اسلامية واحدة ، شملت مصر والشام والحجاز واليمن والموصل سنة "٥٦٤ هـ" ، اذ جمع بخطه هذا شتات سائر البلاد الاسلامية استعدادا لخوض المعارك الحاسمة مع الغزاة الطامعيــــن الذين اندفعوا نحو بلاد المسلمين ، حيث يلوح شبح التتار من الشـــرق ، ويتربص الصليبيون للانقضاض على هذه الدولة التى خلفت الدولة الفاطميــة من الغرب (٣) . وقد حكم مصر مجموعة من الملوك الايوبيين بعد صلاح الديـن فخلفه ابنه الملك العزيز عثمان (٤) ، وتعاقب احفاده وراثيا فى حكم مصر حـــتى السلطان الملك الكامل ناصر الدين الذى هو سادس ملوك الايوبيين على مصـــر سنة "٦١٥" هـ ، والذى ولد فى فترة ملكه شاعرنا الوراق ، وقضى طفولته وصباه

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٦١٢/٥ ، الكامل فى التاريخ ١٢٨/١١ ،الروضتين فى أخبار الدولتين ١٢٩/١ .

(٢) المصدر الاخير نفسه ٢١٠/١ . الروضتين في أخبار الدولتين

(٣) الكامل فى التاريخ ٩٥/١٢ .

(٤) المصدر نفسه ٩٧/١٢ .

وشبابه فى زمنه ، وقد حكم هذا السلطان أربعين عاما بين النيابة والسلطنة وعرف بتقوله ، وجلده فى مقاومة الصليبيين الذين كانوا يغيرون على مصر (١) .

وتلاه ابنه الملك العادل ابوبكر فى الحكم سنة " ٦٣٥ هـ " بعد وفاته ، فكان السلطان السابع من ملوك بنى ايوب ، والراجح ان شاعرنا الوراق قد عمل كاتبا للدرج عنده ، وكان شاعرنا آنئذ فى بداية العقد الثالث من عمره (٢) . وقد وصف ابوالحسين الجزار هذا السلطان قائلا :

هو الليثُ يخشى بأسه كُلُّ مجترٍ   هو الغيثُ يرجو جودَهُ كُلّ مجتدى

وقد عرف الملك العادل بميله للهو والخمرة ، فاتفق الامراء على خلعه سنة " ٦٣٧ هـ " (٣) وجاءوا بأخيه الملك الصالح الذى اشتهر بصد هجمات الصليبيين والتتر كما عرف بالحزم والشجاعة والعفة ، وقد عرف ايضا برغبته فى اقتناء المماليك ، ومن انشاءاته المدرسة الصالحية سنة "٦٣٩ هـ " وتعتبر من أجل مدارس القاهرة (٤) .

وبعد وفاته أخذت زوجته شجرة الدر بتدبير شئون المملكة المصرية الى أن اقبل ابنه توران شاه من قتال الصليبيين، حيث تولى الحكم بعده سنة "٦٤٧ هـ " (٥) . وقد عرف توران شاه بميله للهو ، لذا ائتمر به مماليك أبيه وقتلوه ، وبقتله انقرضت دولة بنى ايوب من ارض الكنانة سنة " ٦٤٨ هـ " وكانت مدتهم احدى وثمانين سنة ، وعدد ملوكهم ثمانية .

وكان انتهاء دولة الايوبيين نتيجة حتمية لعدة عوامل ، منها خارجية تمثلت فى الصليبيين ، ومنها داخلية ، وهو الصراع بين آل ايوب ، وكثرة

---

(١) السلوك ق ١/ جـ١/ ١٩٤ ، مفرج الكروب ٤/ ١٥ .
(٢) السلوك ق ١ / جـ١/ ٢٦٧ .
(٣) المصدر نفسه ق ١/ جـ١/ ٢٩٥ .
(٤) حسن المحاضرة ٢ / ١٤٢ .
(٥) السلوك ق ١/ جـ١/ ٣٤٠ .

اقتنائهم المماليك ، والاعتماد عليهم في نصرتهم ، وقد بالغ الملك نجم الدين أيوب في اقتنائهم ، اضافة لاهمالهم شئون الرعية ، وسوء معاملتهم لها ، وتدهور الأحوال ، فتفشت الامراض ، وكثرت النكبات (١).

ثم جاء عصر جديد الى مصر ، وذلك حين استولت شجرة الدر على الملك بعد مقتل ابن زوجها توران شاه على يدى جماعة من أمراء المماليك .

---

(١) السلوك ق ١/جـ ٣٥١/١ ، الادب في العصر المملوكي ١٣/١ .

٢ - المماليك :

* نظرة تاريخية :

انتشر الرق فى العصور الوسطى ، اذ كان الغلمان والجوارى الحسان يجلبون من بلادهم النائية ليباعوا رقيقا فى الاسواق الخاصة بهم ، وذلك لوجود من يتهافت على شرائهم للافادة منهم فى خدمة البيوت ، او كوسائل للهوبهم ، وقد ظهر فى هذه الفترة تجار تخصصوا بعمل النخاسة بعرضهم هذه البضاعة الرائجة ، متفننين فى طريقة عرضهم .

وقد دعت ظروف معينة الى انتشار الرقيق ، منها القحط ، والغلاء فتضطر أسرهم الى التفريط فيهم ، وقبض ثمنهم حرصا عليهم من الهلاك نتيجة الجوع وتخفيفا على أهليهم ، كما كانت كثرة الحروب من عوامل انتشارهم ، وما كان يحدث مثلا سرقة العذارى ونهبهن .

وكانت الرغبة فى الرقيق التركى والجركسى اكثر منها فى غيرهم ، وذلك لجمالهم فضلا عن وجود الرقيق الرومى والفارسى والحبشى والزنجى .

والواقع أن أول من استخدم الرقيق فى مصر ، وجعلهم مماليك لهم هم الخلفاء الفاطميون تقليدا لخلفاء بنى العباس ببغداد ، ثم اقتفى اثرهم ملوك الدولة الايوبية .

ومن الذين افرطوا فى شراء المماليك الاتراك ، الملك الايوبى نجم الدين ايوب سنة " ٦٣٦ هـ " كما مر بنا ، ليدعم ملكه ويثبته بجنود جدد ، فكان يشتريهم وينتخب الاقوياء منهم ثم يدربهم على الفنون العسكرية ، فكانوا بطانته والمحيطين به ، فسماهم المماليك البحرية لسكناهم معه فى الروضة على بحر النيل ، وكان تعدادهم فى حدود الالف (١) .

---

(١) عصر سلاطين المماليك ١/١٢ .

وقد عرف المماليك بكثرة العبث بأبناء الشعب المصرى ، فكانوا ينتهكون حرمات الشعب وينهبون التجار علنا ، حتى ضاق بهم المجتمع ، فاضطر سيد هم الى اسكانهم الروضة بعيدا عن احياء مصر والقاهرة اذ يفصل النيل بينهما وبين الروضة . وقد عرفوا بجلدهم على الحرب فكانوا خير مقاتلين حرسوا سادتهم وثبتوا دعائم ملكهم وابلوا بلاء حسنا فى الحروب ، كما حصل فى موقعة " المنصورة " حينما هزموا الصليبيين . (١)

وعلى أيديهم انتقل الملك من بنى ايوب اليهم ، اذ عرفوا بالبأس والشدة فاستخدموا قدرتهم هذه للوصول الى الحكم بكافة الطرق المشروعة وغير المشروعة ، وصار السلاطين لعبا يحركونها كيفما شاءوا .

وكان سندهم الشرعى فى الحكم على مايبدو الاسلام ، فقد حرصوا على التمسك به ظاهرا للوصول الى أهدافهم .

فعندما تذكر الدولة المملوكية نعنى بها الدولة التى كونها هؤلاء الاتراك ، والذى بدأ حكمهم ملوكا حقيقيين بعد استيلاء شجرة الدر على سدة الحكم بمصر، وانتهى بهزيمة طومان باى آخر سلاطين المماليك فى موقعة الريدانية على يد الجيش العثمانى بقيادة سليم الاول الذى دخل مصر سنة " ٩٢٣ هـ " فتكون فترتهم " ٢٧٥ " سنة بالتقويم الهجرى (٢) .

وشجرة الدر تركية وقيل ارمنية ، اشتراها الملك الصالح ثم تزوجها ، وبعد وفاته تسلمت الحكم سنة " ٦٤٨ هـ " ثم تنازلت عنه للمملوك عز الدين أيبك الذى كان قائد عسكرها ، وذلك لاستياء الخليفة العباسى المستعصم بالله فى بغداد (٣)، ثم تزوجت عز الدين ايبك فيما بعد .

---

(١) مطالعات فى الشعر المملوكى والعثمانى / ٤٣ .
(٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية / ٩٠ .
(٣) السلوك ق ١ /جـ١/ ٣٦١ ، البداية والنهاية ١٣/ ١٧٨ .

وبعد تسلم الملك ايبك التركماني الملقب بالمعز ، حصلت جفوة بينه وبين شجرة الدر مما حدا بها الى تدبير أمر مقتله ، فقتله مماليكها سنة "٦٥٥ هـ" واشيع عنه بأنه مات . (١)

وقد كانت لشاعرنا الوراق صلة طيبة به ، مما حدا به الى رثائــــه ، وسيأتينا ذلك ، وتلاه ابنه في الحكم ، ولقب بالملك المنصور ، فعمل على قتــل شجرة الدر ، وقبض على اعوانها ، ومنهم وزيرها الصاحب بهاء الدين بـــن حنا ، والذى كانت له صلة وثيقة بشاعرنا ، اذ كان من اقاربه ، وسيأتينـــا ذلك فيما بعد .

وكان ابن المعز الملك المنصور صبيا وعمره "١٥" سنة لذا اقاموا معــــه سيف الدين قطز نائب السلطنة ، فخلعه الاخير وحل مكانه ملكا سنة "٦٥٧ هـ" وسمى قطز نفسه بالملك المظفر ، وفي زمنه اشتدت حروب التتر في هجومهـم على بلاد المسلمين ، حتى كسرهم في معركة "عين جالوت" المشهورة فانكسر هولاكو بجيوشه سنة "٦٥٨ هـ" وطهر قطز بلاد الشام من فلوله ، وبعد عودته من هذه المعركة الى مصر منتصرا فتك به نائبه بيبرس ، وتربع على عرش السلطنة لانه رفض توليته حلب . (٢)

وهكذا بدأ حكم المماليك ، يقتل قويهم ضعيفهم ، ويخون المولى سيده ، لينال الحكم او السلطان ، ومع أن عصرهم كان اخطر العصور التى سبقــت في التاريخ الاسلامي ، وذلك لهجمات أعداء الاسلام المتمثل بالتتر والصليبيين اضافة الى عدم الاستقرار الداخلي ، لكن مع هذا ثبتوا في الخطوب .

---

(١) السلوك ق ١/ جـ١/ ٣٩٨ .
(٢) السلوك ق ١/جـ١/ ٤١٧ ، عصر سلاطين المماليك ١/ ٢٥ .

وقد عرف بيبرس بالملك الظاهر ركن الدين سنة " ٦٥٨ هـ " واتجه الى تخليد ذكراه عن طريق تشييد المدارس والمساجد والقلاع ، ومن تلك المدارس المشهورة المدرسة الظاهرية ، وقد سماها باسمه وافتتحها سنة " ٦٦٢ هـ " فى احتفال كبير ، مما حدا بالشعراء الى التبارى فى ذكرها ، ومن هؤلاء الشعراء الجزار ، وابن الخشاب ، وشاعرنا الوراق ، وسيمر بنا ذلك (١) .

وبوفاة بيبرس سنة "٦٧٦ " يختار المماليك ابنه ويلقبونه بالملك السعيد الا انهم عادوا فخلعوه سنة " ٦٧٨" لضعفه ونصبوا ابنه مكانه ولقبوه بالملك العادل وكان صغير السن (٢) ، فنحى وجىء بالملك المنصور سيف الدين قلاوون وكان فصيحا بلغة الترك قليل المعرفة باللغة العربية (٣) توفى سنة " ٦٨٩ " فجاء ابنه الملك الاشرف صلاح الدين خليل ثم قتل فأتوا بأخيه ناصر الدين محمد وله من العمر تسع سنين ، ولقبوه بناصر الدين ، وجعلوا الامير زين الدين كتبغا نائبا عنه ، ثم خلعه اخيرا كتبغا واستولى على الحكم سنة "٦٩٤ " هـ (٤) وسمى نفسه بالملك العادل ، وقد عمت البلاد موجة الوباء والغلاء والقحط الشديد ، فكان الناس يموتون ، وقد أكل بسببها حتى الجيف (٥) ، وكان موت شاعرنا فى هذه الفترة .

• • •

---

(١) الخطط المقريزية ٤١٧/٤ ، نزهة النفوس والابدان ٣٦/٣ ، عصر سلاطين المماليك ٢٣٤/٧ ، الادب فى العصر المملوكى ١٥٧/٢ .
(٢) السلوك ق ١/جـ١/ ٦٤١ ، عصر سلاطين المماليك ٢٨/١ .
(٣) السلوك ق ٣/جـ١/ ٦٦٣ ، عصر سلاطين المماليك ٢٩/١ .
(٤) السلوك ق ٣/جـ١/ ٧٩٣ ، عصر سلاطين المماليك ٣١/١ .
(٥) دول الاسلام ١٩٧/١ .

* الحالة الاجتماعية والاقتصادية :

وحديثى عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية سيشمل فترتى الايوبيين والمماليك وذلك لان الفترة المملوكية هى فى الواقع امتداد للفترة الايوبية ، اذ لم يحصل من تغيير فى المجتمع سوى انتهاء حكم اسرة ، ومجىء غيرها للحكم المتسم بشتى انواع القلق الذى كان سائدا نتيجة الصراع الداخلى بينهم على السلطة كما مر بنا فى الحالة الاجتماعية .

واذا ما جئنا الى المجتمع فى هذه الحقبة ، وجدنا الطبقات الاجتماعية وان كان التقسيم الشائع ، هو حاكم ومحكوم ،لكن اذا قرأنا لمؤرخى ذلك العصر وجدناهم يقسمون المجتمع الى سبع فئات :

الاولى :اهل الدولة من الحكام ، والثانية : اهل اليسار من التجار، والثالثة : متوسطو الحال من السوقة والباعة ، والرابعة : اهل الفلح ،والخامسة الفقهاء وطلاب العلم ، والسادسة : ارباب الصنائع واصحاب المهن واخرها : ذوو الحاجة والمسكنة (١) . وسأوجز فى حديثى عن هذه الطبقات عموما .

الاولى : وهى السلطة الحاكمة : من المعروف ان الايوبيين حكموا مصر ردحا من الزمن ، وهم فى الواقع غير عرب ، لكنهم احرار ، وهم الذين اتوا بالمماليك الذين غدروا بهم واستولوا على الحكم كما مر بنا ، وكان هؤلاء المماليك يربون تربية خاصة منذ صغرهم ، فيتعلمون مايتعلق بامور الدين عن طريق فقهاء يعلمونهم القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف، ويشرحون لهم احكام الدين واداب الشريعة ، وعندما يصل المملوك الى مرحلة البلوغ يربى تربية عسكرية عنيفة ، تشمل ركوب الخيل ، والفروسية ، ثم يلحق بالجندية .

---

(١) عصر سلاطين المماليك ٧ / ٣٠٤ .

وكانت هذه المؤهلات الشخصية هي التي تهيئ لهم الترقي في وظائف الدولة حتى يصل بعضهم الى مرتبة الامراء وقادة العسكر ، ونيابة الملك حتى اذا سنحت لاحدهم الفرصة انقض على سيده ، وحلّ محله ، ومرور الزمن انغمس المماليك في زمن الايوبيين والذى تلاه في الملاذ والمفاسد ، وعطفوا على حوك الدسائس والفتن ، كما انهم أضطهدوا وظلموا ابناء الشعب المصري ، وقد صور " ابن تغرى بردى " وضعهم فقال : (١) " ليس لهم صناعة الا نهب البضاعة ، يتقوّون على الضّعيف ، ويَشْرَهُون (٢) حتى في الرغيف جهادُهم الإغراق بالرئيس ، وغزوهم في التِّبن والدّريس(٣) وحظّهم منقام(٤) ؛ لا مروءة لهم والسلام ."

كما صور حالهم المقريزى فقال : (٥) " ليس فيهم الا من هو أزنى من قرد ، وألصُّ من فأرة ، وأفسدُ من ذئب ".

ومع هذا هم الذين دافعوا ببسالة عن بلاد المسلمين ، ووقفوا أمام أخطار الصليبيين والتتار ، والسبب على ما يبدو هو التربية الاسلامية التي ترسبت في اعماقهم ، فكانت عاملا قويا حينما تستثار ، فتستيقظ الروح الاسلامية دافعة بهم في وجه أعداء الاسلام ، اضافة الى المحافظة على ملكهم .

أما علماء الدين ، فهم فئة متميزة عن عامة الشعب ، وهي الطبقة المثقفة التي درست وتعلمت وفقهت امور الدين ، لذا نالت حظوة لدى الحكام وكسبت احترامهم . وعلماء الدين هم الذين كانوا يقفون احيانا في وجه الحكام في استغلالهم للشعب ، لكن الغالبية منهم - وللاسف - كانوا يتبعون السلاطين في عدلهم او جورهم الا من رحم ربي .

---

(١) النجوم الزاهرة ٧ / ٣٢٩ .
(٢) الشّره : أسوأ الحرص .
(٣) الدريس : هو المندرس .
(٤) المنقام : المبالغة في كراهة الشيء .
(٥) الخطط المقريزية ٣ / ٣٤٨ .

وكان المماليك رجال معارك وقتال ، لذا فهم محتاجون الى علماء الذين كي يشدوا أزرهم ، وليعتمدوا عليهم في شئون دولتهم فنالوا عندهم بعض الامتيازات التي كانت للطبقة الحاكمة ، والحقيقة ان قسطا من هؤلاء العلماء عمل في وظائف الدولة كأمانة السر ، والكتابة في دواوين الدولة وكتابة الدروج وغيرها (١) . ومنهم من عمل بالتدريس والقضاء . فاذا ما انحرف السلطان وقف معارضا ، وقد أخذته العزة بالحق .

أما عامة الشعب المتمثلة في الفلاحين والتجار وارباب الحرف ، من رعاع او متسولين فكانوا لا ينالون احترام الطبقة الحاكمة لان الطبقة الحاكمة وهم غير عرب ، يعتزون بانفسهم وبطبقتهم وسلالتهم ، اما الباقون فهم رعاع لا حول لهم ولا طول ، لذا احتقروهم،وكان الفلاحون يشكلون الغالبية من الشعب ،. وكانت مهنة الفلاحة محتقرة في نظر الحكام ، لان الفلاح يعتبر قنا للارض يورث مع الاقطاع الذي يعمل فيه لسيده "(٢) .

وقد ساد النظام الاقطاعي في القرنين السادس والسابع الهجريين ، وهو نظام غريب دخيل على العالم الاسلامي ، فقد انتقل من اوربا في القرون الوسطى ودخل هذا المرض الى بلاد المسلمين ، فكان نظاما قاسيا عليهم، عاني منه أبناء الشعب . وقد صرح المقريزي بذلك ، وبين ان هذا النظام لم يكن معروفا من قبل فقال (٣) : "لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول أمراء مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه اليوم في أجناد الدولة التركية ، وانما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن يشاء من الأمراء والاجناد والوجوه واهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم ، لا يعرفون هذه الابذه التي يقال لها اليوم الفلاحة ،ويسمى المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا ، فيصير عبدا قنا لمن أقطع تلك الناحية ، الا انه

---

(١) صرفي العصور الوسطى / ٥٣٨ .
(٢) ادب الدول المتتابعة / ٧١ .
(٣) الخطط المقريزية ١ / ١٣٨ .

لا يرجو أن يباع ولا أن يمتق ، بل قن مابقى ومن ولد له كذلك ."

يتضح من خلال هذا النص حالة هؤلاء المستضعفين فى الارض وما هم عليه من هوان ، كما كانت كلمة فلاح تعنى السب والتحقير .

وكان سادتهم الامراء يعاملونهم شر معاملة ، وهم لا يملكون شيئاً ، لان الحكام يملكون كل شىء ، فكانت اتعابهم من الغلال تذهب لذوى الجاه من اصحاب الكروش التى تنقنق فيها الضفادع ، وقد ادى هذا النظام الاقطاعى الجائر الى تمرد الفلاحين ونزوحهم للمدن لتحتويهم ازقة وشوارع القاهرة ، يعيشون عيشة البؤس .

أما فئة التجار ، فكانت أفضل فئات الشعب ، فالاثرياء منهم يقدمون الرشاوى للامراء المحتاجين لينالوا الحظوة عندهم ، بينما كان سائر التجار يعاملون كبقية ابناء الشعب المصرى ، اذ تفرض عليهم الضرائب ويقوم الجباة باستخدام ابشع الوسائل لجمع اكبر قدر من المال (١) .

وقد ضج أبناء الشعب من هؤلاء الجباة المتعسفين ، كما ضجوا من قبلهم فى العصر الايوبى ، وكانت باسم الجهاد تسرق اموال الناس ، اذ يعمد الحكام الى مصادرتها علنا . وقد وقف علماء الدين أمام هذا الاسلوب ، محرمين عليهم ذلك الا للضرورة القصوى وبحدود معتدلة اثناء الحرب .

واضافة الى فئة التجار ، نجد هناك فئة من عامة الشعب ، وهم ارباب الحرف والصناعات والمهن وكانت هذه الفئة تعمل بعرق جبينها لتنال لقمة العيش ، وكان يضم كل صنف اشبه بنقابات خاصة ولها شيخ (٢) . ولهذه الطبقة الفقيرة الكادحة ، ينتمى شاعرنا الوراق ، الذى كان يبيع الورق والكاغد

---

(١) عصر سلاطين المماليك ٢٠٧/٢ .
(٢) ادب الدول المتتابعة / ٧٤ .

ونسخ الكتب ، كما وجدنا صاحبه الشاعر ابا الحسين الجزار يمتهن الجزارة وصاحبه الشاعر نصير الدين الحمامى الذى يمتهن العمل فى الحمامات وصاحبه الشاعر ابن دانيال الكحال يمتهن الكحالة .

وهناك فئة اخرى قد ضاقت بهم سبل الرزق فلجأوا الى استجداء الناس فى الطرق والشوارع ، يعيشون عيش الكفاف ، لا مأوى لهم ، يفترشون الارض ويلتحفون السماء .

وكان الى جانب هذه الطبقات الاجتماعية ، جماعة الاعراب ، ولهؤلاء نمط خاص لحياتهم ، اذ كانوا منتشرين فى معظم انحاء مصر ، وقد شكلوا خطرا على القرى والارياف والمدن ، اذ عرفوا بغاراتهم على القرى فضلا عن المدن حيث تسنح لهم الفرصة للنهب والسلب ، بل كانوا لا يتورعون عن نهب قوافل الحجاج ، وقد ذكر المقريزى الكثير من ثوراتهم ضد المماليك باعتبارهم عبيدا وهم اهل البلاد (١) .

أما أهل الذمة وهم اليهود والنصارى ، فقد دخلوا فى خدمة سلاطين الايوبيين اذ نجد كثيرا من الاقباط فى دواوين الدولة ، لكنهم انزووا فى عهد المماليك ، ولعل للحروب الصليبية دورا فى ذلك .

وقد أمر أمراء المماليك اهل الذمة بتصغير عمائمهم وتلوينها ، فكان لكل طائفة لون خاص ، فللنصارى الاقباط الزرقة ، ولليهود الصفرة ، وللسامريين الحمرة كما منعوا من ركوب الخيل والبغال وحمل السلاح ، وكانت لنسائهم نفس الالوان لتمييزهن عن المسلمات . (٢) .

---

(١) السلوك ق ٢ / جـ ١/ ٣٨٦ ، ٣٨٨ .
(٢) مصر فى العصور الوسطى / ٥٣٩ ، ادب الدول المتتابعة / ٨٠

وأسهم اهل الذمة فى خدمة الدولة كسائر افراد الشعب المصرى ، وكانت لهم الحرية فى احتفالاتهم واعيادهم الخاصة ، كما اسلم قسم منهم رغبة فى مناصب الدولة ، ورهبة من الاضطهاد الذى قد يحصل احيانا .

واذا ماعرجنا على النظام الاقتصادى الذى يحتل مكانه هامة فى حياة المجتمع وجدنا ان المؤرخين والدارسين قد اتفقوا على ان الشعب المصرى بمختلف فئاته كان يشكو الفقر والحرمان ، وذلك للنظم المخالفة للاسلام التى سادت فى تلك الحقبة الزمنية ، وعلى رأسها الاقطاع ، الذى انهكهم بمكروهاته التى فتكت بالمسلمين فكانت نتيجته الفقر والمعاناة لابناء الشعب .

والاقطاع انتقل من الايوبيين الى المماليك الذين اقتطعوا الاراضى الواسعة ووزعوها على السلاطين والامراء وجنودهم بنسب مختلفة ، اما الشعب فما هو الا قن يلحق بهذه الارض ، ولا كرامة له عند سادته .

ومن العوامل الاخرى التى انهكت الشعب ، فداحة الضرائب التى كانوا يأخذونها غصبا شاء الناس أم أبوا ، اضافة الى جمع المال من قبل الجباة المتعسفين باسم الازمات الطارئة ، وباسم الجهاد الاسلامى (1) ، ولو توسعنا فى ذكر ذلك لامتد بنا الكلام وتشعب .

كما كان للكوارث الطبيعية دورها فى سحق المجتمع ، كالفيضانات والزلازل وانتشار القحط والغلاء ومداهمة الامراض ، فانخفاض النيل مثلا يؤدى الى شح المياه وجدب الارض ، فتكون المجاعات كالتى حصلت سنة " ٦٢٧ هـ " اذ اقتصرت على ارتفاع الاسعار ، لتأخر الامطار ، وقلة مياه النيل ، وكالذى حدث سنة " ٦٤٣ هـ " زمن الملك الصالح نجم الدين ايوب ، اذ شطت

---

(١) الادب فى العصر المملوكى ١/٥٥ ، ادب الدول المتتابعة/ ٧٥ .

موجة الغلاء مصر والشام مما وكالذى حصل سنة " ٦٦١ هـ " حينما شح مـــاء النيل وانعدمت بسببه الزراعة (١) .

أما المجاعات الكبرى فكالتى حصلت سنة " ٦٦٥ هـ " اذ أكل النـــاس بسببها الميتة من المواشى والكلاب والحيوانات الاخرى ،وكثر موت النـــــاس نتيجة الجوع وصاروا يدفنون الناس دون غسل ولا كفن (٢) . وكالمجاعة التـــى حصلت سنة " ٦٩٥ هـ " التى جعلت الناس يأكلون الجيف ، ومات مـــن جرائها خلق كثير (٣) .

وقد علل المقريزى سبب هذه الازمات بضعف السلطة وطغيان الامـــراء واستبدادهم والتلاعب باقوات الشعب عن طريق رفع الاسعار من قبل التجـــار وغيرهم .

أخلص من كل هذا الى أن التدهور الاقتصادى للشعب يعد من مساوىء ذلك الزمن ،اذ عمل على انهاك المجتمع ، فنتج عنه الفقر والعوز الذى صوره شاعرنا الوراق فى شعره خير تصوير وسيطالعنا ذلك.

أما المجتمع المصرى فقد امسى خليطا من عدة اجناس ، ولكل جنـــس من هذه الاجناس لون خاص من العادات والقيم ، وقد ترسبت هذه العادات فى أعماقهم منذ ان كانوا فى بيئاتهم الاولى وغالبها قيم بعيدة عن الاســـلام ، فكانت هذه سببا فى انتشار امراض اجتماعية فتاكة ، دفعت اليها وشجعتهـــا ظروف البيئة ، وكانت السبب فى انتشارها ، كالبغاء الذى ظهر فى مصر فـــى

---

(١) السلوك جـ ١ / ق ١ / ٤٤٠ . ، المصدر نفسه جـ ١ / ق ٢ / ٣٣٢ .

(٢) دول الاسلام ١ / ١٩٧ .

(٣) معاهد التنصيص ١ / ٢٠٨ .

العصر الفاطمى ، ثم استشرى فيما بعد فى عصر المماليك ، حتى انهم اعترفوا به واستوفوا من البغى ضريبة مقررة ، فكانت المواخير تعج بالبغايا اضافة الى الخانات المليئة بالخواطى * والمستهترين ، فضلا عن اشاعة شرب الخمر بين كثير من الناس ، اضافة الى الحشيش الذى عرفه العامة والخاصة ، والذى أنشد فيه الشعراء المجان القصائد ، كما تدنى الوضع أكثر بانتشار اللواط وشيوعه ايضا ، سواء عند العامة ، او حتى عند جل المماليك (١).

• • •

---

(١) ادب الدول المتتابعة / ١١٤ ، الادب فى العصر المملوكى ١ / ٨٢ ، الفاخورى : تاريخ الادب العربى / ٨٦٠.

" الحالة الثقافية والفكريـــــة "

على الرغم مما ساد المجتمع من تفكك فى الجانب الخلقى ، نجد ازدهـارا فى الجانب الفكرى والثقافى ، اذ حلت القاهرة محل بغداد ، يقـــول د . شوقى ضيف : (١) " فقد عاد لمصر كثير من مكانتها القديمة فى الشـرق وخاصة بعد غارات التتار على العالم الاسلامى ، وانتقال الخليفة العباسـى من بغداد الى القاهرة ، فأقبل معه العلماء والادباء حيث الظل الهنيـىء ، والعيش الرغيد ، وكانت مصر فى هذا العصر أهم بلد فى العالم الاسلامى ، فان العراق والشام عمهما سيل التتار ، وكانت الاندلس على وشك الاحتضـار ، لذا لم يكن غريبا ان نرى مصر فى هذا العصر تصبح كعبة الاسلام ، وملجأ العروبة ".

أما د . عبده عبد العزيز قلقيله فيقول : (٢) " لم يكن العصر المملوكى عصـر تخلف عقلى او وجدانى وبعبارة اخرى لم يكن عصر انحطاط علمى او ادبى كمـا قد يظن ، وانما هو على العكس تماما ، فقد شهد نشاطا ثقافيا رائعـا ، وحسبه انه كان الوعاء الذى وسع تاليف أكثر الموسوعات والمراجع فى مختلـف العلوم والفنون ، ونحن فى عصرنا الحاضر ندين له بالكثير ، فلولا نتاجـه العلمى والادبى لما كان من الممكن وصل تيار الادب والعلم عند العـرب بتيار الادب والعلم عند العرب بعده - لكن عمل العلماء ، والادبـاء بتشجيع السلاطين والامراء هو الذى ربط بين التيار السابق واللاحق ، وعوض الخسارة التى لحقتنا على يد التتار الذين اقاموا من كتبنا جسرا على نهـر دجلة ، وما لم يعدموه غرقا اعدموه حرقا ، وعلى يدى الفرنجة الذين أبـادوا أكثر من تسعة أعشار الكتب العربية فى الاندلس ، فقد كان الاسبانيون كلمـا

---

(١) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى / ٥٠٠ .

(٢) النقد الادبى فى العصر المملوكى / ٢١ .

فتحوا بلدا اخرجوا العرب منه ، واحرقوا كتبهم فيه ، وكانت مكتبة غرناطة آخر مكتبة احرقت ، أحرقها الكارد ينال زيمنس . قالوا كان فيها ثمانون الف مجلد ، وقيل ألف ألف " .

وفي البيئة المصرية كثر انشاء المدارس ، وهذا يعود لرغبة كل حاكم من الحكام في تخليد ذكراه ، فنلاحظ مثلا بناء مسجد وبجانبه مدرسة وفيهما دار كتب وفيها يكون العلماء للتدريس ولهم جرايات خاصة ، كما ان للطلاب جراياتهم الخاصة .

فبدت القاهرة بمرور الزمن عامرة بدور العلم والعلماء كما كثرت فيها المكتبات والكتب ، وذلك للكتب التي نقلها هؤلاء العلماء النازحون ، اضافة الى علمائها، كما انتشرت فيها مجالس العلم والادب .

وقد اشتهرت مدارس في القاهرة ، منها المدرسة التي بناها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢ هـ وسماها الظاهرية تخليدا لذكراه ، وأنشأ فيها خزانة كتب عظيمة كما ورثت القاهرة تراثا عامرا من دور الكتب في العصر الايوبي ، من اضخمها مكتبة القاضي الفاضل التي الحقها بالمدرسة الفاضلية واحتوت من مكتبة القصر الفاطمي مائة الف كتاب . (١)

واوقفت بعض المدارس على علوم بعينها كالفقه مثلا ، او الحديث او التفسير او تعليم القرآن الكريم .

والواقع ان جل المدارس انشئ في العصر الايوبي ، وذلك لنشر المذاهب السنية واحلالها محل العقائد الشيعية والاسماعيلية التي سادت مصر في العصر الفاطمي .

---

(١) الخطط المقريزية ٢ / ٢٥٥ ، الادب في العصر المملوكي ٢ / ١٠٨ قصة الادب في مصر ٢ / ٩٢ .

كما شيدت المساجد والحقت بها مدارس ساعدت على توسيع نشر المعرفة بين الناس ولعل ابرزها جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، والذى كانت تعقد فيه حلقات الدرس للمذاهب الاربعة السنية ، ويليه جامع ابن طولون ، والجامع الازهر وهى وان كانت قديمة الا انها اصبحت فى هذا العصر بمثابة الجامعات الاسلامية يقصدها الطلاب من أنحاء العالم الاسلامى كما هو حال الازهر (١) .

وكان هنالك مدارس عرفت كالفاضلية التى اسست فى زمن الايوبيين ودار الحديث الكاملية التى بناها الكامل الايوبى والصالحية التى أنشأها الصالح نجم الدين ايوب وكانت فيها الدروس على المذاهب الاربعة ، كما نجد العزية التى بناها المعز بن ايبك المملوكى والظاهرية التى بناها الظاهر بيبرس ، وكانت واسعة ولها مكتبة ضخمة ، وتدرس فيها المذاهب الاربعة وقد اشاد بها شاعرنا فى شعره كما سيأتينا .

ولولا خشية الاطالة لتعرضت لمدارس مصر والتى تعكس لنا النهضة العلمية الراقية التى سادت عصرى الايوبيين والمماليك . (٢)

وكان التدريس فى هذه المدارس والمساجد يشمل علوم الشريعة الاسلامية وعلوم اللغة العربية المتمثلة فى النحو والبلاغة والعروض ، والأدب . والدراسات التاريخية والاجتماعية ، اضافة الى العلوم العقلية العلمية الأخرى .

وقد أولع الناس بالاقبال على اقتناء الكتب فراجت تجارتها (٣) .

---

(١) الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية / ١١ ، ١٤ ، ١٧ .

(٢) المصدر نفسه / ٤٧ .

(٣) عصر سلاطين المماليك ٣ / ٣٣ ، الادب فى العصر المملوكى ١ / ١١٠ .

وقد برز علماء أجلاء فى هذا العصر ، فمن المؤرخين نجد ابن كثير صاحب "البداية والنهاية" وأبا شامة المقدسى صاحب كتاب "الروضتين فى أخبار الدولتين" كما نجد ابن خلكان صاحب كتاب "وفيات الاعيان" وابن شاكر الكتبى صاحب كتاب "فوات الوفيات" والذهبى وابن تغرى بردى وغيرهم كثير .

كما برز من علماء اللغة ، فى النحو ابن الحاجب وابن النحاس، وابوحيان الغرناطى وابن هشام ، وابن منظور ، وابن مالك . فضلا عن بروز علماء فى الفلسفة والعلوم التجريبية الاخرى .

واذا امعنا النظر فى الحركة الادبية وجدنا عددا ضخما من الأدباء فقد ازدهر فن الكتابة الانشائية فى الدواوين ، وكانت موضوعاتها تدور حول الامور السلطانية وكتابة التواقيع ، وقد كان شاعرنا الوراق احد كتاب الدرج فى الديوان ، وكانت موضوعاتها تدور حول الامور الرسمية ، ولها اسلوب خاص ، كما نلمس الى جانبها الكتابات الاخوانية والوجدانية ، وقد غلب على أسلوب العصر فى الكتابة اسلوب القاضى الفاضل المعروف بالصنعة والزخرفة .

واذا اتينا للشعر ، وجدنا قافلة من الشعراء خلفوا تراثا ادبيا ضخما وقد سار شعراؤه بين التقليد والتجديد كما ظهر الشعر العامى كظاهرة سلبية ومثلها ابن دانيال الكحال فى كتابه "طيف الخيال" وهى تمثيلية لطيفة باللغة العامية (١) .

ومن ابرز الالوان الادبية التى شاعت ، المدائح النبوية ، وهو فن جديد قائم برأسه وبردة البوصيرى خير ممثل لذلك .

---

(١) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى / ٥٠١ .

وإذا جئنا الى الاساليب وجدنا فيها هبوطا الى حد ما ، وهذا راجع الى عجمة الامراء الحكام وبالذات المماليك الذين لم يتقنوا اللغة العربيـــة ولم يتذوقوا الاساليب البلاغية .

ومن الظواهر السلبية التى شاعت فى الادب ، ظاهرة الغزل بالمذكر والتغنى بالخمرة والحشيشة ، ولعل انتشارها يعود للحياة القاسية التى عاشها الشعب المصرى تحت سطوة الحكام .

ومن أبرز شعراء هذه الفترة الشاعر ابوالحسين الجزار وشاعرنا الوراق ونصير الدين الحمامى ، وقد مالوا الى الظرف والفكاهة ، كما نجد ابـــن دانيال الكحال الموصلى ، وابن النقيب ، وابن نباته ، وشهاب الدين محمود وغيرهم .

كما شاع الادب الصوفى ونما ، ومن أبرز شعرائه الخيمى ، والششتـــرى وعفيف الدين التلمسانى ، والبوصيرى .

والواقع اننى عرضت الجانب الثقافى والفكرى عرضا موجزا وسريعا ، ولـو أننى تعرضت للادباء والعلماء والكتاب لطال بنا القول . فالعصر يتميــــز بنهضة علمية واسعة ، ومن اراد الاستقصاء يحتاج ان يكتب عنها المجلـدات فالحقيقة ان معظم المؤلفات التى ظهرت وهى فى مكتباتنا وبين ايدينا هى من نتاج هذه الفترة ، ناهيك عن مخطوطات هذه الفترة وهى تعد بمئات الالوف لم تر النور . وأرى انها فترة خصبة فى النهوض العلمى والادبى فلا أعلــم كيف أطلق عليها الفترة المظلمة ، دون دراسة وتمحيص .

...

" الحالة الدينيــــة "

من المعروف أن مصر كانت على عهد الفاطميين تسير فى ركـــــاب المذاهب الشيعية وعندما حررها صلاح الدين الايوبى ، اشاع المذهــــب الشافعى السنى فيها ، وعمل هو والذين اتوا من بعده على القضاء علـــى مخلفـــات الفاطميين الشيعة (١) ، ولكن مع هذا بقيت رواسب الشيعة فـــى نفوس ابناء الشعب المصرى ، لانها تحتاج الى مراحل زمنية ليتم التخلـــص منها نهائيا ، ومع هذا استمر تيار التشيع لاشعوريا فى نفوس الناس . فلما جاء المماليك لحكم مصر ، وقد كانوا يسيرون على المذاهب السنية الاربعة المعروفة عملوا على ازالة بقايا المذاهب الشيعية ، عن طريق جهود علماء السنة ، ومحاربتهم لها ، ورمى بعض طوائفهم بالكفر .

لذا قام المماليك بالقضاء على تمرد الشيعة ، وبالذات ثوراتهم التـــى قاموا بها ، فما كان من المماليك الا استخدام أقسى العقوبات معهم فـــى القضاء عليهم .

ثم عمل المماليك على احياء الخلافة العباسية اذ نلاحظ أن الظاهـــر بيبرس قام باحياء الخلافة العباسية بعد ان قضى عليها التتار ، وما ذلـــك الا ليثبت مركزه فى الحكم ولم يكن للخليفة سوى الاسم فقط ، أما السلطــــة الفعلية فكانت بيد السلطان المملوكى ، وفى الواقع كان هذا العمل تأكيـــدا للسنة واحيائها فى مصر .

وقد شاع فى مصر المذهب الشافعى ، وهو امتداد للعصر الايوبـــى والى جانبه أيضا المذاهب السنية الثلاثة الاخرى . (٢)

---

(١) أدب الدول المتتابعة / ٩١ .

(٢) المصدر نفسه / ٨٦ .

ولو جئنا الى القيادة المتمثلة فى المماليك وأعوانهم ، ونظرنا لهم من خلال الرؤية الاسلامية ومدى التزامهم بتطبيق الشريعة الاسلامية كدولة لوجدنا غير ذلك ، فهم لم يحكموا شرع الله ، بل حكموا شرائع ستمدا بعضها من قوانين وضعية ربما جلبوها معهم من بلدانهم ،أو امور ألفوها فى أوطانهم (١) .

وقد أسهب المؤرخون فى الحديث عن تأثير المماليك فى سياسة الحكم واقتباسهم لقوانين جنكيزخان، وتطبيق ما اقتبسوه فى دولتهم بمصر والشام فيما يتصل بالعقيدة او السلوك الدينى ، ثم تداخلت هذه القوانين شيئا فشيئا فى حدود الشرع الاسلامى . فنظامهم السياسي مزيج اذن من الشريعة الاسلامية ونظم اخرى مخالفة لها . وعلى هذا ماكان اتخاذهم الدين الا مظهرا لاجل ارضاء الشعب والتظاهر امامه . ومن المناصب الدينية الهامة فى هذا العصر منصب قاضى القضاة ، ولهم قضاة ينوبون عنهم فى المدن الاخرى .

وقد عمل هؤلاء القضاة فى مناصب الدولة الادارية كالوزارةوالدواوين اضافة الى التدريس فى المدارس والمساجد ، كما عملوا فى الخطابة التى هى منصب هام فى الدولة ، وبالذات فى القاهرة ، اذ كان يختار لها عالم جليل القدر ، وكان الخطيب يلبس خلعة العلماء ويسير مع القضاة فى الموكب .

والى جانب هذه المناصب الدينية الرفيعة منصب شيخ الشيوخ ، وقد عرف هذا فى الدولة الايوبية وظلت أهميته طوال العصر المملوكى . والمقصود به شيخ شيوخ الصوفية فى القاهرة او دمشق .

وكانت العلاقة بين علماء الدين وسلاطين المماليك بين شد وجذب فالظاهر على سلاطين المماليك الحرص على الدين والحماسة له والغيرة عليه وهم فى الواقع يتخذون العلماء كوسيلة بينهم وبين الشعب ، وربما وسيلتهم

---

(١) الادب فى العصر المملوكى ١/ ١٦٥ .

أحيانا في ضرب الشعب عند الحاجة الى ذلك ، وذلك لما لعلماء المسلمين من مكانة بين الناس ، فكانوا خير وسيلة بيدهم ، ومن هنا استمال سلاطين المماليك بعض علماء الدين الى جانبهم بشتى الوسائل كي لا يعمل هؤلاء على تقويض اركان حكمهم عن طريق تنبيه المجتمع الى مساويهم (١) .

وكان المماليك يعقدون مجلس شورى يضم هؤلاء العلماء للبت في الامور الخطيرة وخاصة فيما يتصل بمصالح الناس ، كالتعبئة للقتال ، او جبي اموال من الشعب او احداث تغيير كالذى حصل في حرب التتار مثلا . الا أنه لا يخفى أن الصراع الداخلي كان قائما بين سلاطين المماليك وعلماء الدين وذلك لشعور علماء الدين بعدم أحقية هؤلاء الجهلاء بالحكم والامور ، فضلا عن عجمتهم وعنجهيتهم المتمثلة بكبريائهم على أهل البلد وتعاليهم عليهم وتيههم بجنسهم التركي .

ومن المظاهر الدينية البارزة في هذا العصر اهتمامهم بالمناسبات الدينية واقامة الشعائر ابتهاجا وتزيين المدن ابداء لمشاعر الفرحة .

ومن المناسبات الدينية التي اهتم بها المسلمون واحتفلوا بها عيد الفطر والاضحى ، وليلة النصف من شعبان ، وذكرى المولد النبوي ، وموالد رجال الصوفية .

ومن القضايا البارزة في هذا العصر ازدهار التصوف وتطوره ، فقد كان التصوف منتشرا في عصر الايوبيين بشكل بسيط ـ لكنه ازداد في عصر المماليك وقد عرف هؤلاء المتصوفة بالفقراء .

والزهد معروف بين المسلمين من قديم . لكنه اخذ شكلا اخر عند المتصوفة في هذا العصر بما زادوا عليه من اشياء بعيدة عن جوهر الدين ، فخرج التصوف مزيجا من افكار وقيم اسلامية وغير اسلامية ومن هنا بدأت شطحات المتصوفة .

---

(١) الادب في العصر المملوكي ١٦٦/١ ، ادب الدول المتتابعة / ٦٧ ، عصر سلاطين المماليك ١٨٢/٣ .

وقد ساعدت عوامل عدة على انتشار التصوف ، فالمعروف عن الصوفـــى الاعراض عن الدنيا . لذا استغل سلاطين المماليك هذه الظاهرة وقامـــوا بتشجيع التصوف ونشره فى المجتمع والعمل على فتح التكايا والزوايا ليشغلـــوا أبناء الشعب المصرى عنهم ، وجعله اداة طيعة بايديهم ، بينما هم ـ أى الحكام ـ يتنعمون بخيرات هؤلاء المساكين الذين يسمون الفقراء ، ويكفيهـــم نعيم الاخرة دون الدنيا .

ومن العوامل التى ساعدت على انتشار الطرق الصوفية ، الكوارث التى اصابت مصر من زلازل وفيضانات وانتشار الاوبئة والمجاعات وكثرة الحـــــروب الخارجية والفقر والحرمان ، مما جعل الناس يزهدون بالحياة فملا نتيجـــة مايعانونه ، لذا دفعهم نمط هذه الحياة الى الالتجاء الى هذا الطريـــق ينشدون تحته رحمة الله "(١) .

وكان للصوفية أثر كبير فى أدب هذه الفترة . فقد اتخذوا الشعـــر وسيلة للتعبير عن مواجدهم واشاعوا فيه فلسفة احتقار الدنيا .

وأبرز الظواهر الادبية التى ظهرت عن الصوفية هى المدائح النبوية التى برزت فى هذا العصر بشكل واضح والتى كان لشاعرنا اسهام بارز فيها .

...

---

(١) أدب الدول المتتابعة / ٩٧ ، ٩٨ ، الادب فى العصر المملوكـــى ١٩٣/١ .

الفصل الثانـي

حياتـه

اسمه ولقبه وكنيته :

هو عمر بن محمد بن الحسن ، ولقبه الذى اشتهر به فى كتب الادب "سراج الدين" أما كنيته التى عرف بها فهى "أبوحفص"(1) وقد أجمع المؤرخون على هذه التسمية سوى ابن تغرى بردى الذى ذكر ان جده اسمه "الحسين" فى كتابه "النجوم الزاهرة"(2) ، الا انه عاد الى تسميته "بالحسن" فى كتابه الآخر "المنهل الصافى"(3).

أما أبوه "محمد" فيلقب ببدر الدين بن السديدى الفائزى (4).

واشتهر شاعرنا بالوراق نسبة الى حرفته الوراقة ، كما عرف بالمصرى نسبة الى بلده مصر .

وهو غير شاعر العصر العباسى المعروف "محمود بن الحسن الوراق"(5)

---

(1) الكوكب الثاقب "مخطوط" لوحة / ٣١٢ ، درة الاسلاك "مخطوط" لوحة / ٧٤ ، السلوك ١/١/٨١٨ ، فوات الوفيات ٣/١٤٠ ، شذرات الذهب ٥/٤٣١ ، هدية العارفين ١/٧٨٧ ، فروخ : تاريخ الأدب العربى ٢/٦٨٢ ، تاريخ اداب اللغة العربية ٣/١٤١ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥/٨٩ ، دائرة المعارف ٩/٥٤٦.

(2) النجوم الزاهرة ٨/٨٣ .

(3) المنهل الصافى "مخطوط" ٦/ الورقة ١٤٨ ظهر .

(4) بغية الوعاة ٢/٢٢٣ ، بروكلمان : تاريخ الادب العربى ٥/١٠٤ ،

(5) هو محمود بن الحسن الوراق البغدادى ، مولى بنى زهرة ، يكنى ابا الحسن شاعر كثير الشعر جيده ، وعامته فى الحكم والمواعظ ، توفى فى بغداد سنة "٢٣٠" هـ فى خلافة المعتصم.
رغبة الآمل ٤/١٠٤ ، الحماسة الشجرية ١/٤٨٧ ، فوات الوفيات ٤/٧٩

أصله :

سراج الدين الوراق ينحدر من عائلة السديدى المصرية ، التى عاشت فى القاهرة ، وكان جد هذه الاسرة الاعلى نصرانيا ، ثم أسلم ، ولم تسعفنا المصادر بشىء عن تاريخ هذه الاسرة ، سوى ان جده لقب بالفائزى وهو لقب اسلامى قديم ، كان شائعا زمن الدولة الفاطمية (١) ، وعلى مايؤيد ان جده الاعلى اتخذ هذا اللقب الاسلامى بعد اسلامه .

ولادته ونشأته :

ولد الوراق فى العشرة الاخيرة من شوال سنة " ٦١٥ هـ - ١٢١٨م " (٢)، فى القاهرة لاسرة فقيرة ، ولم تبين لنا المصادر شيئا عن نشأته الاولى كيف كانت ، ولا أظنه نشأ الا كما ينشأ ابناء الفقراء من اهل عصره ، فعاش فقير الحال ، يعانى قسوة الحياة ومرارتها ، وهذا ما انعكس فى شعره الذى هو صدى لنفسه وحياته ، فنجد نغمة الشكوى تفصح عن حياة الحرمان التى عاشها .

أرسل الى الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، كما هى العادة المتبعة فى زمنه وبرز بجودة خطه ، وحبه للادب الذى أهله للكتابة فى أحد دواوين الدولة فى عصره .

---

(١) كنز الدرر ٨ / ٢١ .

(٢) النجوم الزاهرة ٨ / ٨٣ ، بدائع الزهور ١ / ١٣٤ ، توشيع التوشيح / ٢٠١ ، كشف اللثام / ٥٨ ، جوهر الكنز / ٤٤٩ ، تالى كتاب وفيات الاعيان / ١١٧ ، هدية العارفين ١ / ٦٩٥ ، الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٥٢ ، فروخ : تاريخ الادب العربى / ٣ / ٦٨٢ .

صفاته الجسمية :

قلما يعنى المؤرخون بتصوير ووصف التكوين الجسمى لمظاشهم مع ماله من أثر فى مسارب نبوغهم وتوجيه عبقرياتهم ، واذا ماعرضوا لهذا فمجرد اشارات عابرة بسيطة لاتعين الدارس ، واذا ما حاولنا التعرف على صفات الوراق الجسمانية وجدنا ان ابن شاكر الكتبى يسمه بالوسامة فيقول : (١) " وكان أشقر ، أزرق العينين " ولعل فى تسميته بالسراج مايدل على حسن صورته ، لذا اكثر الوراق من استخدام اسمه ولقبه فى شعره ، رابطا بين اسمه وجمال شكله ، حتى أن الباحث يكاد يميل الى القول انه مصاب "بالنرجسية " حتى قيل له ،لولا لقبك وصناعتك ، لذهب نصف شعرك ،واذا ماطلبنا من الوراق أن يصف لنا شكله ،أجابنا بقوله : (٢)

وَمَنْ رآنى والحِمارُ مركبى ... وُزرقتى للروم عِرقٌ قد ضَرَبْ
قال : وقد أبصَرَ وجهى مقبلاً ... لا فارسَ الخيلِ ،ولا وجهَ العَرَبْ

فهو يشير الى بياض بشرته ، وحسن صورته ، وزرقة عينيه ،وانه بعيد عن السمرة العربية المعروفة . فيقول ايضا فى ذلك : (٣)

عينى عين الهِرِّ مِنْ زُرقةٍ ... منسوبةٍ للاصفهانيّة

أما حُمرة وجهه فيقول عنها : (٤)

حُمرةُ الوجهِ لاتفيدُ إذا ما ... حَفَّ يوماً بها بياضُ المشيبِ

ولعل لمتانة تركيبه ،وقوة بنيانه اثرا فى طول حياته ، فقد عاش ثمانين عاما ، على الرغم مما اسرف فيه من لذات وشهوات ، حتى قال فى كبره يصف شيبه

---

(١) فوات الوفيات ٣/ ١٤٠ .
(٢) المنهل الصافى " مخطوط " ٦/ الورقة ١٤٨ ظهر ،النجوم الزاهرة / ٨/ ٨٤ ، فوات الوفيات ٣/ ١٤٠ ، الوافى بالوفيات ١/ ٢٢٦ ، الفكاهة فى الادب المصرى ١/ ١١٣ ،دائرة معارف القرن العشرين ٥/ ٨٩ ، مجلة العربى العدد ١٤٩/ ٧١ .
(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٤٠٨ .
(٤) المصدر نفسه / ٢٦١ ، نصرة الثائر/ ٢٣٥ .

لكنه لا ينسى اعجابه بنفسه وجماله فيقول : (١)

أنشدتني شُقـرةُ الشعـ ..... رَ وقالتْ ياقُليـــــــــى
ذهبَ الصُّفـرةُ منّـــى وبدا قُرطمُ شَيـــــــى (٢)

شخصيته :

لا تسعفني المصادر في الحديث عن تكوينه النفسى ، لكنه يطل علينا من وراء قصائده ، فتبرز شخصيته الواضحة الميالة الى الاريحية ، وخفة الروح التى جبل عليها ، وقد يكون للبيئة المصرية دور فى هذا ، فالمعروف عن المصريين انهم لا يتخلون عن اريحيتهم حتى فى أحلك الظروف ، ولعل للبيئة الطبيعية دورا فى انعكاسها على نفوسهم .

والوراق مشبوب الحيوية متيقظ الشعور بما يرد على حسه مع مجاوبة طبعه والتفات الى مواضع الفكاهة والدعابة .

وظاهرة الظرف بارزة فى شعره ، فهو يعكس خلجاته النفسية ، لان النفس هى التى تصنع الادب ، وفى جمالها يكون كل شئ جميلا . فالفكاهة ، ولطف الروح ، وخفة الظل ، تطالع المتلقى لشعره ، فهو من الذين تميل بهم النسمة فيحاكيها ، لذا عد من شعرائها ، فشعره صورة صادقة لاحاسيسه وعواطفه . ومن تندراته ، قوله موريا فى اسمه : (٣)

جاءَ لسانُ السِّراج مبلـــولا لكم بشكر كالرّوضِ مَطْلُـــولا
فقالَ قومٌ القطرُ يأخُـــذُهُ قد عادَ هذا السراج قنديلا

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٢٦٠ .
(٢) القُرطم : حَبّ المُصْفُر.
(٣) الغيث المسجم ٢ / ٤٣٥ .

ومن مظاهر نفسيته وجوانب شخصيته ،شدة ابائه وكراهيته الوقوف على أبواب السلاطين ،كى يمدح ، لذا حاول ان يصرف نفسه عن الوقوف على الابواب كى لا تستخذى نفسه فى طرق الابواب ، ولا يريق ماء وجهه على أعتابهم ،فاتجه للاحتراف وعمل وراقا ،وقد صور ذلك بقوله : (١)

مالي أذلُّ وللقناعةِ عِـــزَّةٌ ... أنجو بها من ذِلَّــةٍ وهَـــوانِ

وأصونُ وجهي أن يذلَّ لأوجهٍ ... ممقوتةٍ من عالم الصـــوّانِ

والقومُ كالأصنامِ والإسلامُ نـزَّ ... هني عن الأصنامِ والأوثـــانِ

وكان للظروف القاسية التى عاناها نتيجة الفقر ، وما واكبه من حرمان ،أثره السيء فى ميله الى التشاؤم أحيانا ، اذ تطالعنا الكآبة التى تلفه ، وذلك لظروف العصر السيئة التى عانى منها أبناء الشعب المصرى آنذاك ، ومن جوانب نظرته التشاؤمية السوداوية كثرة نعت حظه بالسواد فيقول مثلا : (٢)

أَراهُ يَصدُّ عنّي وهـــوَ لاهٍ ... بنوبيٍّ كَليلِ الهجرِ والصَّـــدْ

فإنْ لم يَرْعَني لبياضِ لونـــي ... فَيرعاني لحظّي وهوَ أسـودْ

وكقوله أيضا : (٣)

يمنعني باخِلٌ وسَمْـــحٌ ... وليسَ لي منهُما نَصيـــرُ

وغايتي أن ألومَ حَظّـــي ... وحظّي الحائطُ القصـــيرُ

ونظرته التشاؤمية تميل به لان ينظر الى الحياة بمنظار اسود فيقول : (٤)

---

(١) الغيث المسجم ٢ / ٤٠١ ، قطر الغيث المسجم/ ٣٠٩ ، الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٥٥.

(٢) الغيث المسجم ٢ / ١٣٠ ، الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٥٥ .

(٣) معاهد التنصيص ١/ ١٥٤ ، الغيث المسجم ٢ / ١٢٧.

(٤) الغيث المسجم ١/ ١٥٩ ، قطر الغيث المسجم / ٧٦ ، الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٥٥.

أفردتني الأيام عن كلّ خِلٍ ... وأنيسٍ وصاحبٍ ، وصديقِ
فلو أنّي مشيتُ في شهر آبٍ ... لأبى الظلُّ أن يكونَ رفيقي

وقد استخدم الوراق التهكم والسخرية وسيلة للشكوى ، والتنفيس عن نفسه وما سخريته وتهكمه الا وسيلة للتعالي على احداث الزمن .

وقد عرف شاعرنا الوراق ببريق ذكائه وصفاء قريحته ، ورهافة حسه ، حتى وصفه الشاعر " الفخر بن مكانس " قائلا : (١)

من ذا الذي فكرهُ مثل اسمه يَقِدُ ... فَنِدتَ عنّا وما من شأنِكَ الفَنَدُ

- شيوخه :

سكتت مصادر الادب عن شيوخه ، ولم تسعفنا بذكر أحد منهم ، لكني وجدت له صلات مع بعض علماء عصره المشهورين ، اذ كان يعرض عليهم نتاجه الادبي ليقوموه ويوجهوه نحو الافضل ، فيتضح انه أفاد منهم علميا ، ومنهم العالم الاديب المعروف بـ " رضي الدين الشاطبي "(٢) أستاذ " أبو حيان " الذي قدم من الاندلس الى القاهرة ، فكان الوراق كثير الاحترام له ، يعرض عليه شعره ليحكم عليه ، ويبدو ان هذا في بداية حياة الوراق الادبية ، فلعله قد تلمذ عليه .

كما كان شاعرنا وصديقه الشاعر " ابوالحسين الجزار " يحتكمان للشاطبي أيضا ليحكم بينهما ايهما أجود شعرا من الآخر . (٣)

---

(١) سفينة الملك / ٤٥٥ .
(٢) هوالشيخ رضي الدين محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي الاصل البلنسي المولد ، امام عصره في اللغة فكان عالما وشاعرا ، انتقل من الاندلس الى القاهرة ، وتصدر فيها حتى وفاته سنة " ٦٨٤ هـ " .
نفح الطيب ٢ / ٣٧٤ ، بغية الوعاة ١ / ١٩٤ .
(٣) نفح الطيب ٢ / ٣٧٤ .

لذا بكى شاعرنا شيخه الشاطبي عند وفاته بدموع ساخنة (١) ، وسيأتينا ذلك في فن الرثاء .

كما نجده قد تلمذ أيضا على امام الادب في عصره ، صاحب التصانيف المشهورة " ابن أبي الاصبع المدواني المصرى " (٢) الذى وصفه شاعرنا بأنه ملك النحاة ، وسيد الشعراء حينما رثاه بعد موته ، وسيطالعنا ذلك في فن الرثاء .

- حرفته :

تحدثنا كتب الادب ، أن بضاعة الادب قد كسدت في هذا العصر ، وذلك للظروف السيئة التي مر ذكرها في الحياة السياسية ، لذا اتجه الادباء الى الاحتراف ومنهم شاعرنا ، الذى أهلته جودة خطه لاحتراف الوراقة ، لذا نسب اليها .

والوراقة حرفة برزت بشكل كبير في العصر العباسي ، والعصور التي تلته ، اذ ظهرت حوانيت خاصة لبيع الكتب في بغداد ، والقاهرة ، وغيرها من المدن الاخرى ، وهناك حديث للمقريزى عن سوق التكتبيين ، ومكان وجوده في القاهرة ذكره في كتابه " الخطط المقريزية " (٣) .

والوراق هو الناسخ للكتب ، وبائع الورق (٤) ، وهي مهنة امتهنها كثير من العلماء ورواة الحديث ، والكتاب والشعراء .

---

(١) حدائق احداق الازهار " مخطوط " الورقة / ١٦ ، روضات الجنات ٣ / ٣٤٨ .

(٢) هو زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ابي الاصبع العدواني المصرى امام الادب ، وصاحب التصانيف الكثيرة والتي منها "بديع القرآن " و " تحرير التحبير " توفي بمصر سنة " ٦٥٤ هـ " ، معاهد التنصيص ٤ / ١٨٠ ، النجوم الزاهرة ٧ / ٣٧ ، فوات الوفيات ٢ / ٣٦٣ .

(٣) المواعظ والاعتبار ٢ / ١٠٢ .

(٤) لب اللباب / ٢٧٣ ، المشتبه في الرجال ١ / ٦٥٩ .

على أننا نجد أن كثيرا ممن امتهنوا الوراقة ، شكوا مر العيش ، والفاقــة وسوء الحال ، فقد سئل وراق عن حاله فأجاب " عيشي أضيقُ من محبـــرة ، وطعامي أمرُّ من العفص ، وسوء الحال الزمُ لي من الصمغ " (١) .

ولعل ابن صاعد ة الاند لسي خير من صور حياتهم البائسة حيث قال : (٢)

أمّا الوراقةُ فهي أنكدُ حرفــةٍ   أغصا نُها وثمارُها الحرمـــانُ

شبهت صا حبها بابرةِ خائــطٍ   تكسو العُراةَ ، وجسمها عريـانُ

كما نجد حاتما الوراق يتحد ث عن حرفته بقوله : (٣)

إنّ الوراقةَ حرفةٌ مزُلـــت   محرومة عيشي بها زمـــنُ

إن عِشْتُ عشتُ وليس لي أكــل   او مِتُّ ، مِتُّ وليس لي كفَـــنُ

لذا كان الوراق كثير الشكوى من سوء الحال ، فالوراقة على مايبد و لا توفر لــه من المال الا اليسير ، لانه يتعامل مع أغنياء العقول ، فقراء الجيوب ، وهؤلاء يغلب عليهم الفقر ، لانصرافهم الى العلم ، لذا كان اثر هذه المهنة ماديا عليه قليلا .

ومهما يكن من شيء فان الوراقين لعبوا د ورا كبيرا في خد مة الثقافة واسهموا بنشر العلم وحفظ التراث دافعين بعجلة التقدم الحضاري الى الامام . فمقــام الوراقين انذاك هو مقام د ور النشر الان في نشر العلم ، وايصال النتـــاج العقلي الى أقطار بعيدة .

وكان لمهنته د ور كبير في الاطلاع ، وتلوين آفاقه الثقافية ، لذا كان أثرهــا الفكري عليه كبيرا فقد افادته بانواع الثقافات فكانت خير معين لتطوير ثقافته .

---

(١) خاص الخاص / ٦٩ .
(٢) يتيمه الدهر ٤/٤٤٢ .
(٣) غرر الخصائص الواضحه / ١٥٩ .

كما نلاحظ لشاعرنا ايضا مهنة بسيطة لعلها ساعدته ماديا ، هى الزراعة فيبدو أنه كان له بستان ، يزرعه ليفيد منه سواء عن طريق بيع الحاصل ، أو استغلاله ، وهناك اشارات كثيرة حول تهاديه الزيتون ، والتين ، والكرم بينه وبين أصدقائه من الشعراء .

وقد قال يوما ، وهو واقف فى بستانه ، بعد ان لاحت له مليحة فى بستان جاره : (١)

رأيتُ فى بستانِ خِلِّ لنا بدرَ دُجىً يغرسُ أشجارا
فقلتُ : إنْ أَعجبَ هذا الذى يغرسُهُ أثمرَ أقمارا

وبعد أن بلغ الوراق من النضج الثقافى والعمق الفكرى مبلغا ، اختير كاتبا للدرج (٢) فى ديوان سلطان مصر الايوبى .

والواقع أن الكتابة فى الدواوين لا تكون الا لمن حاز قصب السبق فى ميدان العلم والمعرفة ، وعرف ببلاغة انشائه ، لذا كان شاعرنا اهلا للعمل فى هذه الوظيفة . فقد ذكرت بعض المصادر انه عمل كاتبا لوالى مصر السلطان " يوسف سيف الدين ابى بكر اسباسلّار " (٣) وهو السلطان السابع من ملوك

---

(١) مراتع الغزلان " مخطوط " الورقة / ٣٣ .

(٢) الدرج : ورق خاص بالدواوين يستخدم للكتابة وقد عرفه القلقشندى : " بانه الورق المستطيل المركب من عدة اوصال " .
صبح الاعشى ١/ ١٣٨ ، العصر المماليكى فى مصر والشام / ٤٣٧ .

(٣) المنهل الصافى " مخطوط " ٦/ الورقة ١٤٨ ، السلوك ١/ ١/ ٦٨٥ ، المصدر نفسه ١/ ٦٨٥ ، فوات الوفيات ٢/ ٨٦ ، ٣/ ١٤٠ ، الحان السواجع / ٢١ ، انوار الربيع ١/ ٣١٦ ، الادب فى العصر المملوكى ٢/ ١٥٢ ، دائرة المعارف ٩/ ٥٤٦ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥/ ٨٩ ، صفحات من الادب المصرى / ٧٨ .
اسباسلار : اسم لوظيفة معروفة فى الانظمة الحكومية بعصر زمن الدولة الفاطمية وكان صاحبها فى تلك الدولة حسبما جاء فى صبح الاعشى ، زمام كل زمام ، واليه امر الاجناد ، والتحدث فيهم ، وفى خدمته تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم . صبح الاعشى ٦/ ٧ .

بنى أيوب والذى يعرف بالعادل (١) ، وكانت للوراق صلة حسنة به ، اذ رثاه بعد موته .

وهناك بعض الذين ترجموا لشاعرنا ، وقعوا فى التباس بين هذا السلطان وسلطان مملوكى آخر اسمه " سلّار " فلم يذكروا الاسم كاملا ، بل اكتفوا بالقول " سلطان مصر يوسف سيف الدين " ظنا منهم انه سلّار المنصورى التترى ، وهذا وهم ، لان الوراق توفى قبل تولية سلّار هذا (٢) .

والواقع أن عمله فى هذا الديوان كان لفترة قصيرة وهى فترة هذا السلطان الذى حكم مايقرب من سنتين ، ثم نحى عن الحكم ، وبعزله ومجىء حاكم آخر كان يتحتم تغيير الكتاب التابعين للسلطان السابق ، وعلى هذا فمدة وظيفة الوراق فى الديوان محدودة ، وعلى الارجح انه اتجه الى مهنته الاولى وهى الوراقة بعد ان اخرج من الديوان لسبب أو لآخر .

وقد صور شاعرنا حال الكتبة فى الدواوين من حيث قلة المرتب ، وتحكم الامراء الجاهلين الذين صورهم خير تصوير حين قال : (٣)

أُفٍ لحالِ الكَتَبَـــهْ	أُفٍ لهُ ما أَصعبَـــهْ
وويلها من عيشـــةٍ	كم جلبت من جَلَبَهْ
ترتشفُ الرزقَ بهـــا	من شِقِ تلك القَصَبَةْ (٤)
وهو على خِسّتِـــهِ	يمنع من أن تشربَـــهْ
ياقلماً ترفعُ فى الطـــر ...... سِ لوجهى ذَنَبَـــهْ	

---

(١) تولى الحكم سنة ٦٣٥ هـ .

(٢) مات سلّار جوعا فى سجنه سنة ٧١٠ هـ ، التذكرة الصفدية " مخطوط " ٥/٣٨ ظهر

(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٥٨ .

(٤) فى المخطوطة " العصبة " والصواب ما أثبته .

تا الله لا أفلحَ مــن   أَصْبَحتَ يوماً مكسبَــهْ
لا أَعرفُ المسكيــن إلاّ   كاتبــاً ذا متربَــهْ
ذو لحيــةٍ قد قابلَــتْ   من خلفِ طول المَذبَــهْ
فرأسهُ بينهمـــا   كـخيمةٍ مُطَنَّبَــهْ

• • •

ثقافتـــه :

ليس أمامنا ثبت بالعلوم التى درسها شاعرنا فكونت ثقافته وانارت عقلـــه ، لكن اذا امعنا النظر فى شعره وجدناه صدى لثقافة واسعة ، يستطيـــــع الدارس ان يتعرف على نواحى الوراق الثقافية بسهولة من خلالــه ، فـــأول مايقع عليه القارئ هو معرفته لكتاب الله سبحانه ، اذ لانكاد نمضى حتـى نظفر بين خطوة واخرى بشاعر يضع نصب عينيه الايات القرآنية فنلاحـــظ الاقتباس تارة بالمعنى ، وتارة باللفظ والمعنى ، فضلا عن الالفاظ القرآنيـة الكثيرة ومن ذلك مثلا قوله مضمنا : (١)

له وجنةٌ بل جنّةٌ زانَ حُسنُهـــا عذارًا فصارت " جنّةً وحريـــرا "

والاقتباس واضح من الاية الكريمة " وجَزاهُم بما صَبَروا جنَّةً وحَريراً " (٢) فضـــلا عن تأثره باحاديث الرسول الكريم ، وسيطالعنا ذلك عند دراسة شعره .

كما تطالعنا ثقافته الفقهية من كثرة المصطلحات الفقهية التى يستخدمها فى شعره ومن نماذج ذلك قوله : (٣)

خُذْ جواباً عمّا سأَلتَ مفيـــداً من فقيهٍ بالكشفِ غيرِ ضَنـــين
قلتُها لمّاقالت: أردتُ طلاقاً فقل الألف: إِنْ أَردتِ فَبِيـــنى

ولا يخفى أثر الملم بالتاريخ الجاهلى والاسلامى ، واخبار الجاهلية ، وقصصها وحكمها فكلها تمتزج فى شعره امتزاجا أخاذا ، ويتبين لنا ذلـك من خلال قراءتنا لشعره الاتى فى ثنايا البحث .

---

(١) مراتع الغزلان " مخطوط " الورقة / ٥٢ ، نشأة المقار " مخطوط " لوحة / ٤٦ ، خلع العذار " مخطوط " الورقة / ٢٥ .

(٢) سورة الدهر / ١٢ .

(٣) عز الادب " مخطوط " لوحة / ٢١ .

ويعكس لنا شعره اطلاعه الواسع على الادب العربى القديم بما فيـــــه الجاهلى وحتى عصره ، فهناك جوانب بارزة توضح مدى تأثره بشعراء وكتاب العصور التى سبقته ، وهى توحى بالوان ثقافته ومحاولته محاكاة هؤلاء ومعارضتهم وهذا دليل على اعجابه بهم واستلهامه لاثارهم وسنتكلم عن هذه الظاهـــــرة فى معرض الحديث عن تاثراته بمن سبقه .

وثقافة الوراق لا تقف عند الجوانب الادبية فحسب ، بل تتعداها الـــى جوانب اخرى ، منها اللغوية ، كالنحو والبلاغة وبالذات فن البديع الــــذى كان شائعا فى عصره ، اذ نجد هذا بارزا فى اسلوبه ولغته الشعرية وسيأتينـــا ذلك بالتفصيل عند دراستنا لجوانبه البلاغية .

ومن ثمرات سعة اطلاعه على لغة العرب ونحوها وطول باعه فيها نظمـــه رجزا لكتاب لغوى مشهور هو " درة الغواص فى اوهام الخواص " للحريــــــرى ، فقد نظمه شاعرنا شعرا هو وشروحه بما يزيد على الف ومائتى بيت ، وهو يدلنـــا على مقدرته الشعرية اولا ، وسعة افقه العلمى ثانيا ، وسيأتينا ذلك عند كلامنا على آثاره .

ومن المحيط الذى عاش فيه والعلماء الكبار الذين صاحبهم وجالسهـــــــم وطارحهم شعره امثال ابن منظور صاحب " لسان العرب" وابن خلكان وابـــــن سعيد المغربى وابن الاثير والشاطبى وابن النقيب وغيرهم من العلماء والادباء ندرك المدى الذى وصل اليه والمكانة التى بلغها ، وسيأتينا ذلك عنـــــد الحديث عن اصدقائه ، وفى فصل مساجلاته الشعرية .

وقد توخيت الكتابة عن تاريخ ثقافة الوراق دون النظر الى زمان معيــــن اذ قد يتقدم زمن الشعر او يتأخر ، لكن المؤثر فيه واحد ، وثقافة شاعرنا اخـــر عمره ليست الا حصيلة لما جنى فى كل سنى حياته كما ان الانعكاسات الذهنيـــة والنفسية للمؤثرات قد تتأخر زمنا وربما طويلا حتى يبدو اثرها واضحا ويبهضمهـــا فتروضها المعالجة والممارسة فى شعره .

ـ حالته المادية :

عاش الوراق فقير الحال ، لا يملك الا رحمة ربه ، يشكو الفاقة والعوز فهو رب لاسرة كبيرة لا يتسع دخله لنفقاتها وقد جسم لنا فقره بشعره ، وكاد يتفنى به من كثرة ترداده لنغمة الشكوى ، فيقول واصفا حالته ، وحال بيته وأسرته : (١)

ولا درهمَ فى الكيسِ ... ولا فوقَهُ ولا دونَه
ولا قمحة فى البيت ... وإنْ شئتَ ولا طينَه

كما نجد له وصفا لمطبخه ، وافلاسه فيقول عنه : (٢)

قد عَقَدَ الإفلاسُ لى تَوبةً ... ماخِلْتُها من قبلِهِ تنعقِدْ
وقد كفانى واعظاً زاجراً ... أَنَّ من المِعْقِ أَنْ لا تَجِدْ
وجاءَ شَيبى ليزيد الجَفا ... فقلتُ: يكفى ماجرى لا تَزِدْ

وقد دعته الحاجة يوما الى أكل حماره الذى يركبه ، ولعل هذه الظاهرة حصلت له فى عام المجاعة سنة ٦٦٥ هـ بمصر، فيقول فى ذلك : (٣)

ومنْ فرطِ فَقرى واحتياجى بعدكم ... وذلِ مُحَيّا بالحياءِ مُستَتَر
أكلتُ حماراً طالما قد ركبته ... كأنّى لم أسمع بأخبار خَيبَرِ (٤)

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٤٠، ٢٤٤ .
(٢) المصدر نفسه لوحة / ٢٨٧ .
(٣) المصدر نفسه لوحة / ٣١١ ، السلوك ١ / ١ / ٢٤٠ .
(٤) اشار الى حديث الرسول الكريم الاتى : عن أبى هريرة رضى الله عنه " أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حَرّم يومَ خَيبَرَ ، كلَّ ذى نابٍ من السِباع والمُجَثَّمَةَ ، والحمارَ الإنسى ". تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ٥ / ٥١١ ،
المُجَثَّمَة : مايجثم فى الارض أى يلزمها ويلتصق بها .

ولا أدرى كيف يصفه الباحث " محمد عبد القادر " فى رسالته الموسومة بـ " شعراء التورية فى مصر فى القرن السابع الهجرى " بانه كان يعيش حياة ميسرة بقوله[1] : " انه كان يعيش حياة ميسرة فى دار له بجزيرة الروضة مكنته من ان يستقبل فى هذه الدار من آن لاخر الضيوف " . ثم يستشهد على ذلك بنص شعرى فيقول : قال مرة يصف هذه الدار ، ويتحدث عن اضيافه فيها [2] :

بروضةِ مِصرَ لى دارٌ حديثٌ	بها للسامعِ المُعجِبِ المُجابُ
يحفُّ بمنزلى البحرانِ فيها	ويخدعُنى من القِدمِ السَّرابُ
وأضيافٌ خدعتهمُ بقولٍ	أُطيِّبهُ لهم لو يُستطابُ
أقولُ استنشقوا أندىٰ نسيمٍ	لكم، ولكم منَ النّيلِ الشَّرابُ
فجاوبنى فتىً حُلوٌ ظريفٌ	فأطربنى، وإن مَحَضَ الجوابُ
تقوينا بماءٍ أو هواءٍ	أنحنُ ضفادعٌ لكَ أم ضِبابُ
ووافقهُ على ما قالَ أهلى	كذاكَ يمانُ من قال الصّوابُ

والواقع أن الباحث المذكور قد جانب الصواب فى نعت الوراق بيسر الحال فالى جانب النصوص الاخرى الكثيرة التى تصور بؤس شاعرنا أساء فهم النص الذى استشف من خلاله يسرة حال الوراق .

ومن يمعن النظر فى النص يتبين له ان دلالة هذا النص توحى بالفقر، فهو يقول فيه ، بأن له دارا حديثة بها للسامع المعجب المجاب ، وهذا من أساليب الوراق فى التهكم والتندر.

---

(١) شعراء التورية فى مصر فى القرن السابع الهجرى / ٧٦ .

(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٦٠ .

أما أضيافه فلا شيء عنده يقدمه لهم ، بل يشاغلهم بالحديث ووصف لطافة النسيم ، وشرابهم العذب الذى هو من ماء النيل ، حتى يعترض عليه احد ضيوفه قائلا بأنهم ليسوا ضفادع كي يسبحوا بماء النيل ، وليسوا ضبابا ليكتفوا بتنسم النسيم .(1)

....

(1) من خصائص الضباب أنها تتنسم النسيم وتكتفى به اذا هرمت . الحيوان
٤/١٢٨ .

- حياته الزوجية :

سكن الوراق منطقة الروضة فى القاهرة ، وفيها يقول : (١)

سكنتُ الروضة الغَنّاء مُنقطعـاً عن أُسرتيَّ وأَحبابى وأعدائـى

وتزوج على مايبدو فى بداية شبابه وعرف عن زوجته أنها ولود ، فقد أنجبت له كثيرا من الاولاد ، حتى جعلته يضجر من كثرتهم نتيجة فقرة ، وقد أشار الى ذلك فى شعره. وهناك ترجمة فى الدرر الكامنة (٢) لابنه محمد الذى ولد سنة ٦٣٤ هـ ، وعلى هذا يكون الوراق قد تزوج وعمره تسعة عشر عاما ، ويبدو وان ابنه محمدا هو اكبر ابنائه ، كما اشار شاعرنا الى بعض أسماء أبنائه فى شعره وهم عماد الدين ، وخالد واسماعيل ، فقال : (٣)

قلْ فى عُلا شرفٍ عَلا وعمادِ ما أشبه الاشبال بالآسادِ
للهِ دَرّ محمد من والـد أَدّى عن الاجداد للأولادِ
قد أُسندتْ من كابر عن كابرٍ لمحمد ناهيك بالإسنادِ
ولنظمه ولنثره قد سَلَّمَتْ طوعاً أُولو الإنشاءِ والإنشادِ
ووفيت لاسماعيل بالشرط الذى وعدت فسرَّك صادق الميعادِ

فهو يفخر بأبيه واسرته واولاده خلا زوجته .

ولا نعلم عن اولاده الاخرين سوى انه اشار فى شعره الى حالة نفسيه اعترته حين همت زوجته بالانجاب ، فقال : (٤)

رزقتُ بنتاً ليتها لم تكُن فى ليلةٍ كالدّهرِ قَضّيتُها

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٣٩ .
(٢) الدرر الكامنة ٤/٢٤٣ .
(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة ٢٩٣ .
(٤) فض الختام " مخطوط " لوحة / ٥٣ ، خلاصة الاثر ٤/٤٨٤ ، ريحانة الالبا ٢/٤٠ ، انوار الربيع ٥/١٠٠ .

كما نرى له ولد اخر اسمه "على" وقد أتاه وهو شيخ هرم فقال فيه : (١)

أأهرحُ بابنٍ أتىٰ والشيب ب بيَّض فَوْدِيَ بعد السواد
وماذا أقول لاهل العقول إذا ما زرعتُ أوانَ الحصاد

وقد قاسى شاعرنا من الفقر الذى عضه بنابه فهو رب اسرة كبيرة نفقاتها كثيرة فأكثر من الشكوى وقد صور لنا بيته الذى يعيش فيه فقال : (٢)

وبيتى فى الشتاء يكادُ يبدو به جسدى لسكان الجحيم
تَصدُّ الشمسُ عنا فيه حتى كأنا فيه أصحابُ الرقّيم (*)

واذا ماعرجنا على علاقته الزوجية وجدنا كثرة الخصام بينهما ، وكثرة شكواه من زوجته التى كانت تسىء معاملته ، وقد صور لنا ذلك بقوله : (٣)

فقالت إذْ تشاجرنا ولم يُخفض لنا صوتُ
فلا خبزٌ ولا ميسرٌ ولا .... فذا موتُ

كما أنها كثيرا ما كانت تدفعه الى طلب الرزق دفعا للفاقة ، وقد صور ذلك بقوله : (٤)

قالت : جَمعتَ لفاقةٍ كسلاً فانهض وقم وأْذن لهم العائلة
فأجبت ، هل تدرين لى سبباً قالت : ولا وتداً وهذى الفاصلة

فياترى ما هو الدافع لهذا الخصام ، وهل يعود لسبب يتعلق بتركيبه الجسمى نتيجة كبر سنه ، أو الى فقره ، او الى سوء تصرفه معها ؟

---

(١) لمع السراج "مخطوط" لوحة / ٢٨٥ . (٢) المصدر نفسه لوحة / ٢٨١
(٣) بهجة السرور "مخطوط" لوحة / ١٣٨ ، فوات الوفيات ٣ / ١٤٢ ، معاهد التنصيص ٢ / ٢١١ .
(*) اشارة الى الفتية الذين آمنوا بربهم . وورد ذكرهم فى سورة الكهف / ٩ ، ففروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم ولجئوا الى كهف فى جبل على الارجح انه يسمى الرقيم . وقيل اسم القرية التى فيها الكهف الرقيم . مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٤١٠ ، لسان العرب ١٢ / ٢٥٠ .
(٤) الغيث المسجم ١ / ٥٨ ، ١ / ٢٦٥ ، معاهد التنصيص ٣ / ١٨٣ ، الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٥٤ .

في اعتقادي ان السبب يعود للحياة البائسة التي كانت تحياها أسرته فقد كانت لاتجد احيانا ماتقتات به ، مما جعل زوجته تدفعه الى اى مكان لغرض الحصول على لقمة العيش فهي كثيرا ماكانت تزج به الى مدح السلاطين كي ينال عطاياهم فيعبر عن ذلك بقوله : (١)

قالت : ألا قُلتَ شعراً | فقلتُ: فيمن أقولُ
والسَّمَوْءَلِ بيتٌ | فيه قديماً يقولُ
إنَّ الكِرامَ قليلٌ | وأين ذاكَ القليلُ (٢)

كما نلاحظ ان من اسباب خصامها معه عجزه عن أداء حقوق الزوجية بعد أن حوقل ، ووخطه المشيب ، فنجدها تطالبه بذلك وقد صور ذلك بصراحة في شعره ، لكني احجم عن الاستشهاد به ، مستشهدا بابيات اقل صراحة وهي التي يقول فيها : (٣)

وقالت: يا سِراجُ علاكَ شيبٌ | فدع لجديده خلع العذارِ
فقلتُ لها : نهارٌ بعد ليلٍ | فما يدعوكِ أنتِ إلى النِّفارِ؟
فقالت: قد صدقتَ وماعلمنا | باضيعَ من سِراجٍ في نَهارِ

ويشتد الخصام بينهما ويعجزان عن حل مشكلاتهما بينهما ، فتنتهي برفعه الى المحكمة ، وشكواه الى حاكم يقال له " الرقي " فيحكم لها عليه ، فيصور ذلك بمرارة ، ويقول هاجيا الحاكم : (٤)

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٦٤ .

(٢) البيت للسموءل بين عاديا . انظر ديوان السموءل / ٩٠ .

(٣) بهجة السرور " مخطوط " لوحة / ١٣٨ ، الحواضر ونزهة الخواطر " مخطوط " الورقة / ٣٥٥ ، فوات الوفيات ٣ / ١٤١ ، الكشكول ١ / ٤٠٨ ، عصر سلاطين المماليك ٨ / ٤٩٣ ، فروخ : تاريخ الادب العربي ٣ / ٦٨٢ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥ / ٨٩ ، دائرة المعارف ٩ / ٥٤٦ ، مجلة العربي العدد ١٤٩ / 72 .

(٤) بهجة السرور " مخطوط " لوحة / ٤٩ .

مُذْ أَحضرتني زوجتي حاكماً | أنكرتُ ماقدْ كانَ مِنْ حَقِّ
فأخْرَجتْ رقّ صِداقٍ لها | ردّ كلام الكُلِّ في حلقي
وكانَ ذاك الرقّ أصلَ البلا | فَلعنةُ اللهِ على الرِّقِّ

وتبد و المرارة فى كلمة " احضرتنى " التى تصور حاله وقد سيق من قبل اعوان الحاكم الى المحكمة ووقف امام القاضى باستكانة وخضوع يسمع ما يقرره الحاكم بحقه ، فينصاع مؤديا .

وقبل أن انهى حديثى عن أسرته اود ان اشير الى انه كان له غلام يخدمه ، اسمه " عيسى " وقد هجاه بشعره وسيطالعنا ذلك فى فن الهجاء .

• • •

---

(١) بهجة السرور " مخطوط " لوحة / ٤٩ .

- رحلاته وأسفاره :

كان شاعرنا شابا بعيد المطامح واسع الامال ، يعتز بمواهبه ، لذا لجأ الى الاسفار ، علها تغير من جو الحياة القاسية التي عاشها في القاهرة ولربما يبحث عمن يقدر فنه ويأخذ بيده ، فقد سافر الى أكثر من مكان ، فكانت سفرته الاولى الى الاسكندرية(١) .

وقد ذهب اليها بعد أن ارسل اليه واليها " شمس الدين بن باخل الهكاري " (٢) هدية نقدية ، فقال فيه الوراق (٣) :

قُلْ لابنِ باخل شمس الدين في الأقطارِ
جدّدتَ لي عيد أضحى بلّغ الأوطارِ

وكانت سفرته في زمن الملك الصالح الايوبي الذي ولى ابن باخل الاسكندرية آنذاك ، ومن هنا ندرك أن سفرة شاعرنا كانت في مطلع شبابه .

أما سفرته الثانية ، فكانت الى الحجاز(٤) وقد أقام فيه مدة ، لكن لا نعلم كم هي المدة التي قضاها . وعلى الارجح انه قدم للحج ، ومكث بعد الحج فترة من الزمن ، وقد بعث أثناء اقامته بالحجاز بخطاب الى صديقه الشاعر " ابن دانيال الموصلي "(٥) وكان يحترف الكحالة ، يطلب فيه ان يهديه كحلا ،

---

(١) المنتخب من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " لوحة/ ٤ .
(٢) هو الامير احمد بن منصور بن باخل الهكاري ، نائب السلطنة بالاسكندرية زمن الملك الصالح الايوبي ، وقد عرف بالحكمة والدهاء . السلوك ٢ / ٢٦٠ ، الوافي بالوفيات ٨/ ١٨٩ .
(٣) المنشآت الصفدية" مخطوط " لوحة / ٦ .
(٤) لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٣٥٠ .
(٥) ولد شمس الدين بن دانيال في الموصل ، وجاء الى مصر شابا في عهد السلطان بيبرس ، وعمل كحالا بسوق القاهرة لذا عرف بالكحال وهو اديب مشهور في زمانه له كتاب معروف اسمه " طيف الخيال " توفي بالقاهرة سنة ٧٠٨ هـ . التذكرة الصفدية " مخطوط " ١٤ / ١٠١ ظهر مطالع البدور ٢ / ١١٠ ، الادب في العصر المملوكي ٢ / ١٦٦ . ، مجلة الثقافة / ٢١ العدد ٨٣ اغسطس ١٩٨٠م .

فأرسل اليه ابن دانيال المطلوب مع هذه الأبيات: (١)

قُل لعين الأماثل الأعيانِ ومحل الإنسان من إنسانى
ياسراجاً أسنى من الشمس والشمـ ـس سراج قد جاء فى القرآنِ
خُذهُ كحلاً مثل السيوف صقالا وفرنداً يروقُ فى الأجفانِ
حجر كسره يفوقُ سنا الإكسير فعلاً فى العين أو فى العيانِ
ألفُ عين بقيمها حبّةٌ منـه قياماً قد صَحَّ بالبُرهـانِ

والواقع أن شاعرنا كثير الشكوى من الرمد الذى لازمه ، فهو قد ارسل فى طلب الكحل للاستشفاء به .

كما نجد لشاعرنا رحلة ثالثة الى بلاد الشام ، وقد اتجه الى حماة كى يمدح ملكها المنصور ، لينال هباته وعطاياه (٢) ، الا اننا نراه يصف بؤسه فى الشام بعد ما نفذ ما معه من مال فصور لنا ما ألم به قائلا (٣) :

بعتُ خفى فى أرضكم من حرافٍ حَفَّ بى أو أصارنى للتحفّى (٤)
ثم أتبعتهُ ندامة نفسـ ـسى أحوجتنى لأكلِ خُفّى وكَفّى

---

(١) هذه الابيات ينسبها الصفدى فى كتابه المخطوط " التذكرة الصفدية " ١٤/ لوحة/ ١٠١ ظهر ، لابن دانيال ، ومرة اخرى ينسبها لابن قلاقس فى نفس المخطوط لوحة/ ١٨٣ ، والصحيح نسبتها للاول ، لان الثانى من شعراء القرن السادس وتوفى غرقا سنة ٥٦٧ هـ فضلا عن اننا وجدناها فى كتب اخرى منسوبة للاول كما فى : سحر العيون/ ٩٠ ، مطالع البدور ٢ / ١١٠ ، فى ادب مصر الفاطمية/ ٢٥٨ ، ديوان ابن قلاقس / ٧ .

(٢) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة/ ١٠ .

(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٣٤٣ ، الغيث المسجم ١/ ١٤٦ .

(٤) الحراف : الذى ذهب ماله .

ـ أصدقاؤه :

من المناسب أن نتعرف على أصدقاء الوراق ، لما لهم من أثر بالغ فى نفسه ، كما أن معرفة هؤلاء الاصدقاء تلقى على شاعرنا بعض الاضواء ، فتبين مكانته من أترابه وأقرانه .

واذا مانظرنا الى أصدقائه وجدنا منهم العلماء ومنهم الأدباء ، ومنهم الوزراء ، ولكى لا يمتد الموضوع ويتسع فى الاشارة اليهم ، سأقتصر على ذكر بعضهم للاستشهاد ، تاركا القسم الاكبر وهم الشعراء الذين طارحهم شعره فى فصل المساجلات الشعرية .

فمن ياترى أصدقاء شاعرنا الذين انعقدت بينه وبينهم الصلة ؟

(١) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد الانصارى ثم المصرى (ت : ٧١١ هـ) المعروف بابن منظور المصرى (١) ، وهو الاديب اللغوى ، العالم المشهور ، صاحب " لسان العرب " وقد كانت له صداقة وطيدة مع شاعرنا اذ كان يطارحه الشعر ، ويرسل اليه بما ينظمه فجمعت بينهما لحمة الادب ، وما كتبه شاعرنا يوما اليه يبثه نجواه فى قصيدة مطلعها : (٢)

فلم يتكلم إنقضاها جـــادراً وآسى جراحى والزّمانُ مُكلّمي

(٢) أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان (ت: ٦٨١ هـ) قاضى القضاة شمس الدين الاربلى الشافعى (٣) .

فقد قدم ابن خلكان الى مصر ، وتزوج فيها ، وهو عالم فاضل ، عـــارف بالمذهب الشافعى ، بصير بالعربية ، علامة فى الادب والشعر وأيام النـــاس،

---

(١) لسان العرب ١/ ٤ .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٧٦ .
(٣) فوات الوفيات ١/ ١١٠ .

وصاحب تصانيف كثيرة منها " وفيات الاعيان " كما أن له مجاميع أدبية أيضا .

التقى بشاعرنا أثناء قدومه مصر ، وتعيينه قاضيا لها اذ جمعت بينهما لحمة الفن وتشابه المشارب الثقافية ، وقد حصلت بينه وبين شاعرنا مراسلات شعرية وملاطفات ادبية ، فكان شاعرنا يرسل اليه بشعره ومما قاله له : (١)

يا إماماً له ضياء ذَكــاء   يتلاشى له ضياء ذُكــاءِ (*)

كما كان شاعرنا يرسل له بألغاز شعرية :

(٣) نور الدين علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت : ٦٨٥ هـ) (٢)

وقد التقى بشاعرنا وصاحبه الجزار وابن النقيب عند قدومه من المغرب ، وحلوله بأرض الكنانة ، وقد اكثروا من استضافته ومنادمته ومجالسته اذ جمعتهم مائدة الفن ، اذ كان ابن سعيد من ائمة الادب والمؤرخين والمصنفين ، ومن تصانيفه " المغرب في حلى المغرب " .

ومن حكاياته انه كان يوما في رحلة مع شاعرنا والجزّار وابن النقيب ، وكلهم شعراء ، فمروا في طريقهم بمليح نائم تحت شجرة ، وقد هب الهواء فكشف عن ثيابه ، فقال الجزار : قفوا لينظم كل واحد منا شيئا في هذا فما لبثوا الا مقدار ساعة حتى قال نورالدين بن سعيد : (٣)

الريحُ أقودُ ماتكونُ لأنّها   تُبدى خفايا الردف والأعكانِ

وتميل بالأغصانِ عند هبوبها   حتى تقبل أوجه الغدرانِ

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٤٤ .
(*) الذَكاءُ : حِدّة القريحة وأصله شدة وهج النار . الذُكاء : اسم الشمس .
(٢) المغرب في حلى المغرب ١ / ٧ .
(٣) ديوان الصبابة / ٧٨ ، فوات الوفيات ٣ / ١٠٣ ، المنتخب من تاهيل الغريب " مخطوط " الورقة / ٩٧ ، عصر سلاطين المماليك ٨ / ٢١٩ .

فلذلك المُشّاقُ يتّخذ ونها　　　رُسُلاً إلى الأحبابِ والأوطانِ

فقال الوراق : " ما أعلم احداً منا يأتي بمثل هذا ، سيروا بنا "[١] .

(٤) تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الاثير الحلبي الاصل ثم المصري (ت : ٦٩١ هـ)[٢] ، وكانت لشاعرنا علاقة طيبة وقوية به ، فقد كتب ابن الاثير الانشاء بمصر للملك الظاهر بيبرس ، ثم للملك المنصور قلاوون ، وقد برز بنثره ورونق كلامه حتى وصل الى كتابة السر بعد فتح الدين بن عبد الظاهر ، وتعتبر كتابة السر من المناصب الكبيرة في مصر ، وقد جمعت بينه وبين شاعرنا حرفة الادب ، وكتابة الانشاء فقد كان الوراق من كتاب الانشاء المرموقين في زمنه ، وتولى الكتابة في الديوان كما مر بنا ، ومن هنا انعقدت الصحبة بينهما فكان شاعرنا يبعث اليه بشعر ظريف والغاز شعرية فيرد عليه ابن الاثير بنفس الوزن والقافية مجيبا على ما سأله عنه[٣] ، وسيطالعنا ذلك في فصل المساجلات الشعرية .

على ان صداقة شاعرنا امتدت الى ابنه علاء الدين بن تاج الدين (ت : ٧٣٠ هـ) الذي عمل ايضا صاحبا لديوان الانشاء وتولى كتابة السر للسلطان الناصر محمد بن قلاوون[٤] ، فنرى المكاتبات الشعرية بينه وبين شاعرنا فكان يخاطب الوراق باحترام ، وذلك لصغر سنه بالنسبة للوراق ، فمن ذلك مثلا قوله :[٥]

أَمولايَ سراج الدين يامن　　　يحلُّ المشكلاتِ بلا وقُوفِ

...

---

(١) هناك من ينسب هذا القول للجزار .
(٢) البداية والنهاية ١٤/٩/١٤ ، الادب في العصر المملوكي ٢/٥٦ .
(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة /٢٧٥ .
(٤) البداية والنهاية ١٤/٩/١٤ ، الادب في العصر المملوكي ٢/٥٦ .
(٥) لمع السراج " مخطوط " /٣٤٠ .

صلاته الاجتماعية :

على أن هناك صلات كثيرة بين شاعرنا الوراق ، وبين وجهاء عصره من الامراء ، والوزراء ، والاعيان ،والاسر ، فقد كانت له صلةقوية مع الصاحب تاج الدين ابن حنا (١) ، وابن حنا احد رجال الدهر حزما ورأيا وجلالة ونبلا وعرف بعفته وحسن خلقه وعطفه على الفقراء ، وكان وزيرا للملك السعيد ، كما كان ابوه وزيرا للملك الظاهر. والملك السعيد ، وقد عرف ابن حنا بحبه للوراق ، فقد كان كثير الاكرام له ، والرعاية ،والحنو عليه ، وكان يقف دائما الى جانبه فى الملمات ، كما كان شاعرنا كثير التردد عليه ، يمدحه تارة ويمازحه اخرى ، فنرى فى أدبه العديد من القصائد والمقطعات فى ابن حنا ، واعتقد ان هذا التداخل بينهما يعود الى كون زوجة الصاحب ابن حنا فائزية من عائلةالوراق ، لان ابن حنا قد تزوج ابنة الصاحب هبة الله بن صاعد الفائزى.

هذا التداخل العائلى جعل الصاحب ابن حنا يغدق على شاعرنا وما قاله الصاحب تاج الدين بن حنا فى عائلةالوراق : (٢)

توافقَ الجَمالُ الفائزيُّ وإنــــه ... لخيرُ صديقٍ كان فى زمن العُسْرِ

وأمر الوراق بإجازته فقال :

فيارَبِّ عامِلْهُ بألطافِكَ التــــى ... يكون بها مِ ٱلفائزينَ لدى الحَشْرِ

---

(١) هو الوزير محمد بن محمد بن على بن سليم ، الصاحب تاج الدين ابو عبد الله بن الصاحب بهاء الدين بن حنا المتوفى سنة٧٠٧ هـ ، وعائلة آل حنا قبطية نصرانية ، اسلمت فيما بعد ،وحسن اسلامها ،وظهر تاج الدين وابوه الذين عُرفا بالتقوى والصلاح وعمل الخير.
شذرات الذهب ٥/ ٣٥٨ . المنتبه بتحرير المشتبه ١/ ٤٧٣.
البداية والنهاية ١٣/ ٢٨٢ ، فوات الوفيات ١/ ٢١٧ ،تالى كتاب وفيات الاعيان / ٩٩ .

(٢) الوافى بالوفيات ١/ ٢٢٠ .

وكان اذا ولد لشاعرنا ولد ، ارسل له ابن حنا حريرا مع صلة ، ومما ارسله بمناسبة مولود ولد لشاعرنا ، هدية فقال شاعرنا شاكرا له ، ورادا على أبيات بعثها : (١)

سَرَتْ مِنْ جانب العِزِّ الرَّفيع   إليَّ بطيبِ أنفاسِ الرَّبيعِ

ومنها :

تزيدُ بلمس كفك حُسْنَ وشيٍ   كحسن الروض بالغيث الهموعِ
بما أحييت للنُّفساء نفساً   ولي معها ، وللطفل الرَّضيعِ
وقد ضمنت كيسى بعد ضعفٍ   به التقت الضُّلوع مع الضلوع

كما نجد الوراق على صلة بالوزير هبة الله بن صاعد الفائزى (٢) ، وهو من أقارب شاعرنا ، ومن نفس عائلته ، وقد وزر للملك المعز ايبك التركمانى ، لذا استخدم الوراق في هجاء اعدائه كوسيلة دعاية له وللدولة .

وهناك علاقات اخرى كثيرة لشاعرنا مع بعض الاعيان والامراء الاخرين سنشير اليها عند التعرض لفنون شعره ، سواء في مدحه او قدحه لهم .

...

---

(١) فوات الوفيات ٢/٢٥٨ ، الوافى بالوفيات ١/٢٢٠ .
(٢) كنز الدرر ٨/٢١ .

- وفاتـــــه :

وبعد أن بلغ الوراق من العمر عتيا ، أدركته رحمه الله ، وهو شيـــــخ كبير السن يحمل على ظهره ثمانين عامـــــا ، فكانت وفاته فى جمـــــادى الاولى سنة "٦٩٥ هـ" / ١٢٩٦م" ودفن بالقرافة(١) .

وهناك اجماع من المــؤرخين القدامى على سنة وفاته ، سوى ابن الاثيـــر فى كتابه " جوهر الكنز " فيقول (٢) : بان وفاته سنة "٦٦٥ هـ" فضلا عن باحث معاصر اسمه "عبد الحميد حسن " فى كتابه " صفحات من الادب المصرى " فيقول(٣) بأن وفاته كانت سنة "٦٥٥ هـ" .

وعلى الرغم من اجماع المؤرخين تقريبا على سنة وفاة الوراق ، نجـــــد اختلافا فى تقدير سنه عند وفاته ، فنلاحظ ان المقريزى يقول فى كتابه " السلوك " سبعون عاما بينما يقول ابن اياس فى كتابه " بدائع الزهور " " ثمانون عاما " علـــى حين نجد ابن شاكر الكتبى فى " فوات الوفيات " يقول : " قارب التسعين " ، فضلا عن ابن حبيب الحلبى فى مخطوطته " درة الاسلاك " الذى يقول" انه مـــن أبناء التسعين " .

---

(١) المنهل الصافى مخطوط ٦ الورقة / ١٤٨ ظهر ، النجوم الزاهرة ٨ / ٨٣ ، شذرات الذهب ٥ / ٤٣١ ، السلوك جـ ١ ق ٣ / ٨١٨ ، بدائع الزهور ١ / ١٣٤ ، فوات الوفيات ٣ / ١٤٠ .
درة الاسلاك مخطوط لوحة / ٧٤ ، شعراء التورية فى القرن السابع الهجرى ، فى ص ٧٦ توشيع التوشيح / ٢٠١ ، كشف اللثام / ٥٨ ، الحسان السواجع / ٢١ ، تالى كتاب وفيات الاعيان / ١١٧ ، انوار الربيـــع ١ / ٣١٦ ، الايوبيون والمماليك فى مصر والشام / ٣٦٠ .

(٢) جوهر الكنز / ٤٤٩ .

(٣) صفحات من الادب المصرى / ٧٨ .

أما الباحث محمد عبد القادر ، والذى كتب رسالة ماجستير بعنوان "شعراء التورية فى القرن السابع الهجرى " فيقول : " انه جاوز الستين " والواقع ان هؤلاء الذين اختلفوا فى تقدير سنه عند وفاته لم يختلفوا اطلاقا فى تاريخ وفاته .

ولو نظرنا الى الفرق بين تاريخ ولادته ووفاته لتبين لنا انه عاش حقا ثمانين عاما ، ولو احتكمنا الى الوراق لنسأله عن سنه لاجابنا بقوله :(١)

إِنَّ الثمانين عاماً وُبلغتُها ... فى صحبةِ حادثاتِ الزّمان
قد احوجت سمعى وطرفى معاً ... ومنطقى أيضاً إِلى ترجمان

...

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة ٤٠٦/ .

- آثاره العلميــة :

من المعروف أن الوراق من شعراء عصره المشهورين ، وقد ذاع ذكره ، وشاع وانتشر في شرق مصر وغربها ، وهو بلا مدافعة شاعر مصر في زمانه ، فما هي ياترى الاثار التي تركها هذا الشاعر الكبير . ؟

أولا : ديوان شعره :

لعل أقرب من يحدثنا عن ديوان الوراق ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة (٧٦٤ هـ) في كتابه " فوات الوفيات " وقد ذكرت تاريخ وفاته ليتضح القرب الزمني بينه وبين فترة الوراق ، فيقول (1) : " ملكت ديوان شعره ، وهو في سبعة أجزاء كبار ، ضخمة ، بخطه الى الغاية ، وهذا الذي اختاره لنفسه وأثبته ، فلعل الاصل كان من حساب خمسة عشر مجلدا ، وكل مجلد يكون مجلدين ، فهذا الرجل أقل مايكون ديوانه لو ترك جيده ورديئه في ثلاثين مجلدا ، وخطه في غاية الحسن والقوة والاصالة " .

ومن هنا ندرك أن للوراق ديوان شعر ضخم ، قد امتلكه ابن شاكر - الذي نشأ في السنين الاخيرة لحياة الوراق - وذكر انه في سبعة أجزاء يصفها بأنها ضخمة وكبيرة ، وهي التي اختارها الوراق بنفسه من مجموع شعره واستنسخها بقلمه الجميل ، اذ عرف بحسن الخط وجماله .

---

(١) فوات الوفيات ٣ / ١٤٠ ، انوار الربيع ١ / ٣١٦ ، توشيع التوشيح / ٢٠١ ، شعراء التورية / ٧٦ ، تاريخ اداب اللغة العربية ٣ / ١٣١ ، بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٥ / ١٤٠ ، الادب في العصر المملوكي ٢ / ١٥٢ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥ / ٨٩ .

ومن هنا نستشف أن الديوان الذي تركه الوراق ، وتناقله الدارسون هو ديوان واسع ، وهذا يدلنا على انه شاعر مكثر .

وإذا ما جئنا نسأل الصفدي ت " ٨٢٨ هـ " الذي روى عن الشاعر ابن دانيال الموصلي (١) الذي هو صديق الوراق الحميم ، أدركنا قرب الصلة بينه وبين فترة الوراق ، وعلى ما أعتقد فان الصفدي المولود سنة " ٦٦٧ هـ " قد التقى وهو في شبابه بابن دانيال المتوفى سنة " ٧١١ هـ " وهو في شيخوخته (٢) وروى عنه وعن غيره من أدباء العصر فهو اذن اقرب من يحدثنا عن الوراق بدقة وصدق وامانة فيقول في كتابه الموسوم " بلمع السراج " (٣) : " انني وقفت على ديوان الاديب الفاضل البليغ سراج الدين عمر بن محمد بن الحسن الوراق ، أديب الديار المصرية رحمه الله وخصه كل يوم من الفرد وس بنافحة ، وهو بخط يده من أوله الى آخره في سبعة اجزاء كبار " .

من هنا يتثبت لدينا أن للوراق ديوانا ضخما ، ضم مختارات جيدة اختارها الشاعر بنفسه ، وأثبتها بخطه .

أما ابن تغري بردي الاتابكي المتوفى سنة " ٨٧٤ هـ " فيقول عن ديوان الوراق (٤) : " وقفت بالقاهرة على ديوان ـ يعني الوراق ـ وهو في سبعة اجزاء كبار ضخمة الى الغاية ، وهذا الذي اختاره هو لنفسه واثبته بفصل الاصل من حساب خمسة عشر مجلدا ، وكل مجلد يكون مجلدين ، فهذا اقل ما كان ديوانه

---

(١) الادب في العصر المملوكي ٢ / ٨٧

(٢) شذرات الذهب ٦ / ٢٧ .

(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٢٧ .

(٤) المنهل الصافي " مخطوط " جـ ٦ الورقة ١٤٨ ظهر .

لو ترك جيده ورديئه فى ثلاثين مجلدا ، وخطه فى غاية الحسن من القـــــوة والاصالة " .

ويقول ابن تغرى بردى معلقا على الديوان [1] " ثم انى طالعت هـــذا الديوان من أوله الى آخره فلم أر فيه ما أنكره من غريب او لغة وغير ذلك . "

بعد أن سمعنا حديث هؤلاء العلماء الثلاثة عن ديوان الوراق نتساءل أين هذا الديوان ؟

فى الحقيقة ان هذا الديوان الضخم ، لم نجد له أثرا ، فهو على ما يبدو مفقود ضمن ما فقد من تراثنا ، ولم أعثر سوى على مخطوط صغير كتب عليـــه : " هذا ديوان سراج الدين الوراق " ، وسأتحدث عنه بعد قليل .

كما وجدت بعض اشارات الى منتخبات الصفدى من هذا الديوان الضخم المسمى " بلمع السراج " ولنا لقاء معه بعد الحديث عن الديوان .

١- ديوان الوراق :

وجدت فى معهد مخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة نسخـــة مصورة لديوان الشاعر سراج الدين الوراق برقم (١٤٦٧ أدب) وهـــذا (المكروفلم) مصور عن نسخة مخطوطة فى مكتبة معهد دمياط برقم (٧٣ أدب) وقد حصلت عليه ، ولدى نسخة مكبرة منه ، مكتوب على الصفحة الاولى بخط واضح وكبير " هذا ديوان السراج الوراق نفعنا الله به فى الدنيا والآخرة على التمام والكمال ، والحمد لله على كل حال ، آمين ، آمين " مع بسملـــة جانبية بخط عريض وكبير ايضا ، ثم نقرأ أسفل الورقة لنجد " دخل هذا بطريـق الشرى " والخط اصابه طل فتعسر قراءته ، ولكن نقرأ بعد ذلك " الى عفو ربـه الجواد الحاج على بكرى بن الحاج عبد الله بكرى دمياط ز" ولا استطيع اكمال

---

(١) المنهل الصافى ، مخطوط ، جـ ٦/الورقة ١٤٨ ظهر .

بقية الكلام لاصابة الجزء الباقى من الورقةبلل شوهها .

نأتى الى الصفحة الثانية ، والتى تبدأ بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد فهذا ديوان السراج
الوراق الذى لا نظير له ، وهو عزيز الوجود ، نفعنا الله به فى الدنيا والاخرة ،
بجاه سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ".

ثم يقول : قال رضى الله عنه ، ويبدأ بالقصيدة الغزلية التالية : (١)

من أينَ للبدرِ سناكَ الشريق	وللقَنا هذا القوام الرشيق (٢)
يا جامعاً حسناً سما مفـرداً	يا من سبا باللحاظ عرب الفريق
يا ناعسَ الأجفانِ يا من حوى	ثغراً وقد أمثل غصن وريق
بالله دع هذا الجفا سيّدى	فإنَّ قلبى فى هواكم رقيق

واللوحة الاولى ونصف الثانية بخط كبير نسبيا ، يليه خط اعتيادى صغير نسبيا ، وهى بخط نسخ عادى ، وتقول بطاقة معهد المخطوطات بأنه مستنسخ فى القرن العاشر الهجرى .

وعدد لوحات المخطوط " خمسة وتسعون " لوحة وفى كل لوحة صفحتان فيكون المجموع مائة وتسعين صفحة .

وفى كل صفحة تسعة عشر سطرا ، وكل سطر مابين تسع الى احدى عشرة كلمة ، كما نجد كتابات جانبية بخط ناعم وهى تعليقات هامشية .

وبعض صفحات الديوان مشوهة نتيجة الرطوبة تعسر قراءتها .

أما قصائد الديوان فهى غير مرتبة على حروف الهجاء .

---

(١) ديوان سراج الدين الوراق ، "مخطوط" لوحة/٢ .
(٢) الشريق : المنير .

ونلاحظ فى اللوحة الاخيرة والتى رقمها " اربع وتسعون " القصيدة التالية والتى هى خاتمة الديوان " وقال رضى الله عنه " :(١).

أهلاً بها بيضاءَ ذاتَ اكتحال بالنقش يزهو ثوبها بالصقال

منّت بوصلٍ بعد وصلٍ شَفى من ألم الفرقة بعد اعتلال

ثم يلى هذه الابيات " وهذا اخر ما انتهى الينا من كلام السراج الوراق على التمام والكمال ، والحمد لله على كل حال ، والحمد لله وحده ، ولا واحدا غيره " .

ونجد فى خط هذه المخطوطة تغيير الخط فى اكثر من مكان من المخطوطة وهذا يدل على تغيير الناسخ ، وان ناسخها غير واحد .

وقد عنت لى ملاحظات على هذا الديوان تبينت لى من خلال قراءتى له قراءة متفحصة ، وخرجت بنتائج جعلتنى ارتاب فى كون هذا الديوان لسراج الدين الوراق وهى :

١ - اختلاف النفس الشعرى بين صاحب الديوان المنسوب للوراق ، وبين شعر الوراق الحقيقى والذى نجده فى المنتخب من الديوان المسمى " بلمع السراج " وفى الشعر الذى جمعته من بطون الكتب ، واحساسى بهذا نتيجة لمعايشتى شعر الوراق طيلة فترة دراستى له .

٢ - عند مقارنتى للشعر الموجود فى " لمع السراج " والشعر الموجود فى الديوان المنسوب للوراق لم اجد ولو بيتا واحدا من الشعر الموجود فى لمع السراج موجودا منه فى الديوان المنسوب للوراق .

---

(١) الديوان المنسوب لسراج الدين الوراق " مخطوط " لوحة / ٩٤ .

٣ ـ جمعت شعرا من بطون الكتب المخطوطة والمطبوعة فى حدود خمسمائة بيت فلم اجد بيتا واحدا مما جمعته موجودا منه فى الديوان المنسوب للوراق .

٤ ـ احتواء الديوان المنسوب للوراق على مجموعة قصائد ومقطعات لشعراء مختلفين من عصور متباينة ، مما يدلل على أن هذا الديوان هو مجموع شعرى لمجموعة من الشعراء ، منهم من هو قبل عصره ، ومنهم من هو فى عصره ، ومنهم من هو بعد عصره ، وهم كالاتى ، وحسب مالكل واحد منهم من نسبة القصائد التى له :

أ ـ الشاعر مامية الرومى (١) ، وهو من شعراء القرن العاشر ، وله ست وعشرون مابين قصيدة ومقطوعة فى الديوان .

ب ـ الشاعر ابن سناء الملك (٢) وهو من شعراء القرن السادس وله سبع قصائد .

جـ ـ الشاعر أبو البركات المبارك بن ابى الفتح (٣) وله اربع قصائد .

د ـ الشاعر صفى الدين الحلى (٤) وهو من شعراء القرن الثامن ، وله ثلاث قصائد شعرية .

---

(١) ماماى الرومى : محمد بن احمد بن عبد الله المعروف بمامية الرومى الشاعر المشهور اصله من الروم ، قدم دمشق فى صغره واشتهر بمجموعة ازجال وموشحات وله ديوان شعر ، توفى بدمشق سنة " ٩٨٧ هـ " .
شذرات الذهب ٨ / ٤١٣ ، ريحانة الالبا ١ / ١٥٨ .

(٢) ابن سناء الملك : هو القاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك الشاعر المعروف ، ونشأ ودرس بمصر وتوفى فيها سنة "٦٠٨هـ" . شذرات الذهب ٥ / ٣٥ ، ابن سناء الملك حياته وشعره / ٤٣ .

(٣) لم اعثر على ترجمته .

(٤) هو عبد العزيز بن سرايا الطائى ، ولد فى حلة بابل سنة "٦٦٧هـ" وكان شاعر عصره المشهور ، جاء الى مصر سنة "٧٢٦ هـ" وتوفى فى بغداد سنة "٧٥٠ هـ" وله ديوان شعر . فوات الوفيات ٢ / ٣٣٥ ، الدرر الكامنة ٢ / ٤٧٩ ، النجوم الزاهرة ١٠ / ٢٣٨ .

هـ ـ الشاعر ابن بهرام (١) ، وهو من شعراء القرن التاسع ، وله قصيدتان .

و ـ الشاعر العماد الاصبهانى (٢) ، وهو من شعراء وكتاب القرن ~~التاسع~~ السادس وله قصيدتان .

ز ـ الشاعر على بن عبد العزيز الجرجانى (٣) ، وهو من شعراء القرن الرابع ، وله قصيدتان .

ح ـ الشاعر نور الدين على بن طرخون (٤) ، وله قصيدة واحدة .

ط ـ الشاعر سيدى على (٥) ، وله قصيدة واحدة .

٥ ـ وفى الديوان قصائد ومقطوعات مجهولة القائل ، لم تنسب لاحد ، فيقول مثلا : " وقال بعضهم " وقد احصيت القصائد التى " قالها بعضهم "

---

(١) هو عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن بهرام الحلبى ، كان فاضلا ، اديبا توفى فى الشمر سنة " ٨٠٣ هـ " وهى قلعة قرب انطاكية " .
انباء الغمر بانباء العمر ، رقم ترجمته (٦٣) ٢ / ١٦٩ .

(٢) هو العلامة ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الاصبهانى ، مؤرخ ، وعالم واديب ، ولد باصبهان ، وتأدب ببغداد ، وقدم دمشق ، وتوفى سنة " ٥٩٧ " وله ديوان شعر وتصانيف كثيرة منها " خريدة القصر وجريدة العصر " . شذرات الذهب ٤ / ٣٣٢ ، خريدة القصر " القسم العراقى " ١ / ٩ .

(٣) هو على بن عبد العزيز بن الحسن بن اسماعيل الجرجانى ، قاضى الرى فى ايام الصاحب بن عباد ، وكان اديبا اريبا كاملا ، مات بالرى سنة " ٣٩٢ هـ " ومن اثاره كتاب " الوساطة بين المتنبى وخصومه " .
معجم الادباء ١٤ / ١٤ ، البداية والنهاية ١١ / ٣٣١ ، شذرات الذهب ٣ / ٥٦ .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) لم اعثر له على ترجمة .

ولا أعلم من هم فوجدتها " اربعا وعشرين " وكذلك يقول مثلا : " وقال آخر " وقد احصيت هذه القصائد ايضا فوجدتها " ثمان وسبعـــون ، ويقول احيانا : " وقال غيره " وقد احصيت ماقاله غيره ، ولم نعلم من هو فوجدته " عشر " قصائد . ويستخدم احيانا الناسخ كلمة " شعـــر " دون ان ينسبه ، وقد احصيت ذلك فوجدته " ثلاثا وعشرين " مابيـــن قصيدة ومقطوعة .

فمجموع القصائد والمقطوعات المجهولة القائل في الديوان هو " مائـــة وخمس وثلاثون " بينما القصائد المنسوبة مجموعها " ست واربعون " . فكيف يكون ديوان شعر لشاعر وفيه شعر مجهول القائل كامر ، أو منسوب . ثم ماذا بقي للشاعر من الديوان ؟ .

٦ - هناك قصيدة ضمن الشعر المنسوب لصاحب الديوان - اعني المنســـوب للوراق - ومطلعها :(١)

سافِر تجد عِوَضاً عمَّنْ تفارقُــهُ ... وانْصَبْ فإنَّ لذيذَ العيشِ في النَّصَبِ(٢)

وهي ثمانية ابيات مشهورة للامام الشافعي " رحمه الله " .

بعد كل هذا ليس عندي شك في أن مابقي من الشعر المثبت في المخطوطة منسوبا للوراق ، هو لشاعر آخر ، ربما يأتي من يهتدي اليه في مستقبل الايام .

...

---

(١) الديوان المنسوب لسراج الدين الوراق " مخطوط " لوحة / ٢٤ .

(٢) ديوان الشافعي / ٤٥ .

٢ ـ المنتخب من ديوان سراج الدين الوراق :

يبدو من اسمه انه منتخبات شعرية من شعر الوراق ، من ديوانه البالغ سبع مجلدات ، والتي مرت آنفا ، وقد انتخبه الصفدي واثبته لنفسه كما ذكرنا وهو جزء من مخطوط ضخم من منتخبات الصفدي من مجموعة من الشعراء .

توجد نسخة من المخطوطة والتي سماها الصفدي " لمع السراج " في مكتبة ايا صوفيا في تركيا برقم ٣٩٤٨/٦ . وقد صور معهد مخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة هذا المنتخب من مكتبة ايا صوفيا المذكورة ، وعن طريق المعهد حصلت على نسخة مصورة على مكروفلم كبرتها على ورق . (١)

وهناك نسخة اخرى من " لمع السراج " ذكرها بروكلمان في كتابه تاريخ الادب العربي (٢) وقال انها في برلين برقم "٧٧٨٥" وآمل الحصول عليها لتحقيقها في المستقبل ان شاء الله .

ـ <u>وصف المخطوطة :</u>

ذكرنا أن هذه المخطوطة تقع ضمن مجموعة ضخمة قد انتخبها الصفدي من مجموعة من الشعراء احدهم الوراق ، وتبدأ اللوحة الاولى منها بالرقم " ٢٣٦ " وتنتهي بالرقم "٤١٦" مكتوب على اللوحة الاولى منها بخط كبير واضح " منتخب شعر الاديب الفاضل البليغ الكامل ، سراج الدين عمر بن محمد بن الحسن الوراق المصري رحمه الله تعالى " ودونها بقليل من جهة اليسار " ملكه عبد الملك بن احمد عفا الله عنهما " .

---

(١) تحمل نسخة معهد المخطوطات الرقم (٨١٥ أدب) .

(٢) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ١٠٤/٥ .

تليه اللوحة الاولى برقم (٢٣٧) واولها " بسم الله الرحمن الرحيم "
عذنوك اللهم وغفرانك ، قال الفقير الى عفو الله خليل بن ايبك بن عبد الله
الصفدى عفا الله عنه : أما بعد حمدا لله على نعماه المستقاة ، ومننه التى
توجب لنا المزيد من فضله يوم ملتقاه ، وصلواته على سيدنا محمد الذى بعثه الله
بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صلى الله عليه وعلى آله الذين
منهم على وهو اقضاهم لعلمه بالكتاب والسنة ، وصحبه الذين منهم عمر وهو
سراج أهل الجنة . فاننى لما وقفت على ديوان الاديب الفاضل ، سراج الدين
عمر بن محمد بن الحسن الوراق ، أديب الديار المصرية - رحمه الله - وتنتهى
الصفحة الاولى لتبدأ الثانية - وخصه كل يوم من الفردوس بنافحه ، وهو بخط
يده من أوله الى آخره فى سبعة اجزاء كبار ، راقت لى منه مقاطع ، تلعب بالعقول
حبابها ، ويصل الى الذوق السليم كما يصل من الاتراب طراها ، فلما راقت
وحلت ، قلت : هذه مقاطيع النيل الثجاج ، ولما شفت وأضاءت قلت :
هذه لمع السراج الوهاج ، وهكذا يستمر الصفدى فى الوصف .

واللوحة الواحدة تشمل صفحتين من المخطوط ، وهى بخط نسخ جيد .
وفى كل صفحة من صفحات المخطوط (١٣) سطرا ، وكلمات السطر
مابين (٩ - ١٣) كلمة ، والصفحة الواحدة متوسطة الحجم .
ومكتوب فى لوحة خاصة ، وهى من عمل المفهرسين المحدثين ، تاريخ
النسخ ، وهم قد أخذوا تاريخ النسخ من اخر صفحة فى المخطوطة ، وهو
القرن الثامن سنة ٧٤٧ هـ ، وبخط الخليل بن ايبك الصفدى .
فهل ياترى هى بخط الصفدى نفسه ؟
ليس عندى شك انها بخط الصفدى ، فقد رجعت الى مجموعة من
المخطوطات بخط الصفدى ، وقارنت بين هذه المخطوطة ، وبين المخطوطات

الاخرى ، والتي بخط الصفدي ايضا ، فتبين لي انها حقا بخط الصفدي . فضلا عن انني بحثت في كل ما استطعت ان اصل اليه من مخطوطات الصفدي عن شعر الوراق ، وذلك لاهتمام الصفدي الكبير بالوراق ، اذ قلما نجد له كتابا الا وقد اثبت فيه شعرا للوراق وذلك لاعجابه به .

وقد سمى هذا المخطوط كما مر ب " لمع السراج " وهذه المختارات الشعرية تقع بين صفحة " ٢٣٦ - ٤١٦ " وهي فتقع مائة وثمانين لوحة ، وكل لوحة تكون صفحتين ، فمعنى ذلك أن عدد الصفحات " ٣٦٠ " صفحة .

ويقول الصفدي في سبب اختياره للشعر : (١) " وقد أحببت أن انتقي منه مايقع عليه اختياري ، ويكون لي نديما في اسفار حضري ، وحضرة اسفاري " .
ثم يقول في وصف شعر الوراق (٢) : " اردت وصف دره في هذه الادراج وسمته للمناسبة في الوضع بلمع السراج ، وهو بمثابة الجدول الذي فاض عن البحر الغمر " .

ثم يعقب على سبب اختياره هذا (٣) " وقصدت بجمع هذه النكت ، التنبيه على ان محاسن هذا العصر من هذا الرجل مسروقة ، والرد على من يأتي منهم بمايد يوهم الاغمار انها غير مطروقة " .

ويضيف سببا آخر لاختياره بقوله (٤) " وخدمت به خزائن المقر الاشرف العالي المولوي القضائي العالي المالكي المخدومي الشرفي ابي المعالي ابي بكر صاحب دواوين الانشاء الشريف بالابواب العالية السلطانية الملكية الناصرية أسبغ الله ظله وأدام فضله " .

---

(١) لمع السراج ، " مخطوط " لوحة / ٢٣٧ .
(٢) المصدر نفسه لوحة ٢٣٨ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .

ثم يصنف مختاراته الشعرية هذه على حروف الهجاء مبتدئا بقافية الهمزة ومنتهيا بقافية النون ، والقصائد التى فيه متنوعة ، منها الطويلة ومنها القصيرة ومنها ماهو مقطوعات .

وفى اللوحة الاخيرة مكتوب[1] : " يقول الفقير الى الله تعالى خليل بن ايبك عفا الله عنه ، هذا اخر ماوقع عليه اختيارى بما وجدته من شعر سراج الدين عمر الوراق رحمه الله تعالى ، وكان جميعه بخط يده فى سبعة اجزاء كبار ضخمة .." وكان الفراغ من ذلك فى ثانوعشرمن شعبان فى سنة سبع واربعين وسبعمائة ، والحمد لله رب العالمين وصلاته وعلى سيدنا محمد النبى الامى العربى وعلى آله وصحبه وسلم .

ثم نجد فى كتابة جانبية اسم مالكه " ملكه من فضل الله تعالى ثانى بك الخازندار الملكى الارمنى فى سنة خمس عشرة وتسعمائة من الهجرة ".

كما نجد اسم من طالعه " طالعه ونقل منه نسخة داعيا لقائله رحمه الله دقماق عفا الله عنه " ويبدو انه انتقل من مالك الى آخر بمرور الزمن .

ولكن يبقى سؤال يطرح نفسه ، هو : هل صحيح ان هذا الشعر الموجود فى لمع السراج لشاعرنا سراج الدين الوراق ؟

من المعروف أن الصفدى عالم جليل ، ومن الموثوق بهم ، ولا يمكن الظن السىء به ، وهذا مايثبت لناكون الشعر للوراق ، اضافة الى ان روح الوراق الشعرية ، واضحة المعالم .

والذى يثبت ذلك ايضا هو اننى جمعت من بطون الكتب مطبوعها ومخطوطها مايقارب خمسمائة بيت ، فوجدت ان قسما كبيرا منها موجود فى " لمع السراج ".

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة ٧/ ٤١ .

٣ ـ نظم درة الغواص :

" درة الغواص " أشهر من أن نعرف بها ، وهي للحريري (ت٥١٦هـ) [1] صاحب المقامات المشهورة ، تتبع فيها نحو " ٢٢٣ " عثرة لغوية من عثرات خواص اهل زمانه [2] ، وقد الفها لتصحيح أخطائهم ، كما هو الحال في المجاميع اللغوية اليوم في تتبع عثرات كتاب زماننا . فيقول الحريري في سبب تاليفه [3] :

" فاني رأيت كثيرا ممن تسنموا أسنمة الرتب ، وتوسموا بسمة الادب ، قد ضاهوا العامة في بعض مايفرط في كلامهم ، وترعف به مراعف اقلامهم ، مما اذا عثر عليه ، وأثر عن المعزو اليه ، خفض قدر العلية ، ووصم ذا الحلية ، فدعاني الانف لنباهة أخطارهم ، والكلف باطالة اخبارهم ، الى ان أدرأ عنهم الشبه وأبين ما التبس عليهم واشتبه ، لالتحق بمن زكى أكل غرسه ، وأحب لاخيه مايحب لنفسه فألفت هذا الكتاب ، تبصرة لمن تبصر ، وتذكرة لمن أراد ان يذكر وسميته درة الغواص في أوهام الخواص . "

وقد كان الحريري ذا دور بارز في احياء كلمات اللغة الفصيحة في عصره ، بما قدمه ايضا في مقاماته .

ولما اقبل طلاب الادب على دراسة " درة الغواص " وحرصوا على الافادة منها ، عمل علماء اللغة على خدمتها ، وذلك بالشرح والتعليق عليها ، والتنبيه

---

(١) هو ابومحمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، منسوبا الى صناعة الحرير ، او بيعه ، ولد بالمشان وهي قرية قرب البصرة ، ثم رحل الى البصرة وسكنها وتأدب بها ، وعين صاحب الخبر بالبصرة ، وظل في منصبه هذا الى أن مات سنة " ٥١٦ هـ " . شرح مقامات الحريري ١٣/١ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ١١١/٣/٥

(٣) درة الغواص /٢ .

على هفوات الحريرى فيها ، ومن أقدم من علق عليها شروحا وحواشى من علماء اللغة "أبو محمد عبد الله بن برى " المصرى ، والذى يعرف بسيبويه عصره.

ولما مات الحريرى سنة " ٥١٦ هـ " كان ابن برى هذا ناشئا صغيرا فى العقد الثانى من عمره ، عاكفا على تحصيل الادب واللغة من أشياخ مصر وكانت وفاته سنة " ٥٨٢ هـ " اى بعد الحريرى بنحو ست وستين سنة . وقد شرح ابن برى درة الحريرى ، ونافح عنه ضد من حاول تخطئته كابن الخشاب" ، ومن الشروح المشهورة للدرة ايضا شرح الخفاجى .

ومن الطرائق التى خدمت بها درة الغواص ، طريقة ربما انفردت بها اللغة العربية وعلماؤها من الامة الاسلامية وهى ان يعمد المؤلف الى كتاب مشهور يتدارسه الطلاب ، كثيرا ، فينظمه شعرا من أوله الى آخره بالغا مابلغ عدد الابيات ، ليسهل حفظه على الطلاب ، وهكذا فعل شاعرنا الوراق بدرة الغواص .

والمخطوطة التى أصفها الآن هى نظم لدرة الغواص ، للوراق ، وهى نسخة يقول عنها المغربى " رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق " : " بأنها من أنفس الذخائر لندرتها وقلة نسخها "(١) .

وقد وجدت أن أقدم من نسب نظم درة الغواص للوراق ، هو محمد بن أحمد بن سليمان المصرى ، صاحب كتاب " بهجة السرور - مخطوط " المتوفى سنة " ٧٨٦ هـ "(٢) ، وهو يعتبر اقرب مؤرخ لفترة الوراق ، فيقول مثلا :

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ٥/٣/١١١.
(٢) بهجة السرور " مخطوط " لوحة / ٤٩ .

" قال الوراق فى نظم درة الغواص للحريرى ، وقد روى أهل اللغات ....."
ثم يتناول قضايا لغوية .

ومن الذين ذكروا نظم درة الغواص السيوطى (ت "٩١١ هـ") فى كتابه " بغية الوعاة " فقد ترجم للوراق ، ثم قال : " صنف ارجوزة نظم فيها درة الغواص ومؤاخذات الحريرى عليها ." (١)

وعن السيوطى على ما أرى تناقل المحدثون الذين ترجموا للوراق ، ونسبوا نظم الدرة اليه . فقد نسبها اليه المغربى معتمدا على السيوطى فنسب الدرة للوراق ، وحاجى خليفة فى " كشف الظنون " (٢) وبروكلمان فى " تاريخ الادب العربى " (٣) ، وعمر فروخ فى " تاريخ الادب العربى " (٤) فضلا عن عبد اللـه الجبورى فى كتابه " فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الاوقاف العامة فى بغداد " (٥) اضافة الى كحالة فى " معجم المؤلفين " (٦) وعباس العزاوى فى كتابه " تاريخ الادب العربى فى العراق " (٧) . وقد ذكر الجبورى والعزاوى عن وجود نسخة مخطوطة فى مكتبة خزانة الاوقاف العامة ببغداد ، والتى تحمل الرقم "٩٠٣" وهى نسخة حسنة فيها خرم من الوسط . كما أشار المغربى الى وجود نسخة أخرى من المخطوطة نفسها ، وصفها بأنها جيدة ، وهى لدى المجمع العلمى العربى بدمشق حصل عليها سنة " ١٩٢٤م ".

---

(١) بغية الوعاة ٢ / ٢٢٣ .
(٢) كشف الظنون ١ / ٧٤١ .
(٣) بروكلمان : تاريخ الادب العربى ٥ / ١٥٢ .
(٤) فروخ : تاريخ الادب العربى ٢ / ٦٨٢ .
(٥) فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الاوقاف العامة فى بغداد ٣ / ٢٣٥ .
(٦) معجم المؤلفين ٧ / ٣٠٩ .
(٧) تاريخ الادب العربى فى العراق ١ / ٧١ .

وقد حصلت على نسخة مصورة عن مخطوطة خزانة الاوقاف العامة ببغداد والتى تحمل الرقم (٣٠٩) ، وهى نسخة جيدة الخط ، مكتوبة بالخط الفارسى وعدد صفحاتها (٢٣٥) صفحة ، مكتوب على الصفحة الاولى فى الاعلى " كتاب شرح درة الغواص مع نظمه قدس سره ورضى عنه " تليه البسملة وبعدها رب يسر ، اللهم كما أنعمت فزد ."

ثم يبدأ الوراق بالنظم رجزا ، وهو فى نظمه لم يقتصر على متن درة الحريرى ، بل يتبعها بنظم وتعاليق او شروح (ابن برى) عليها فجاءت فى نحو (١٢٠٠) بيت من الرجز . يقول الوراق فى فاتحة الارجوزة بعد حمد الله والصلاة على نبيه رجزا : (١)

بحمدِ ربّى ذى الجلالِ أبتدى هادى الورى بالمصطفى محمدِ
صلّى عليه الله ماجَنَّ الدُّجى وما بدا الصُّبحُ وما تَبلّجـا
وآلِهِ وصَحبِهِ وَسَلَّمـا ثُمَّ ونَجّانا بهم وَسَلَّمـا

ثم يقول مخاطبا من اقترح عليه نظم درة الغواص :

سألتَ نَظمي دُرّةَ الغـوّاصِ فَخُذْ جوابَ صادقِ الإخـلاصِ
وتلوها ما أخَذَ ابنُ بَـرّي شيخُ النُّحاةِ سيبويهِ المِصْـرِ

ثم يبدأ بأول كلمة ينتقدها الحريرى (٢) " فمن اوهامهم الفاضحة ، وأغلاطهم الواضحة انهم يقولون ، قدم سائر الحاج ، واستوفى سائر الخراج ، فيستعملون سائرا بمعنى الجميع ، وهو فى كلام العرب بمعنى الباقى ." ثم يستشهد على ذلك بنصوص من القرآن والحديث الشريف ، وكلام العرب شعره ونثره فانظر كيف يقول الوراق رجزا :

---

(١) نظم درة الغواص " مخطوط " / ٣ .
(٢) درة الغواص / ٢ .

فسائرٌ جاء بمعنى الباقـــي على اختلافٍ فيه واتفــــاقِ
وهو من السُّؤر وذاك مانفي وفي الحديث فأسأروا فحقّقِ
لأنه نهيٌ عن استقصاءٍ ما قد أسأرت أمّته تكرّمـــا

وقد أراد بمآخذ ابن برى ، مواضع المؤاخذه التي كان يراها "ابن برى" أحيانا في كلام الحريري ، وأن مراده بالمآخذ ، الشواهد الشعرية التي كان يستند اليها ابن برى في تخطئة الحريري تارة ، والوقوف الى جانبه تارة أخرى فان الوراق يدمج هذه الشواهد ، ويشير اليها في صلب النظم ، وهو فوق ذلك اذا رأى النظم عسر عليه عدل عنه وأخذ في نثر الكلام ، ذاكرا بيت الشاهد مثال ذلك قوله :

وفي حديث أمّ زرعٍ قد أتى إن شربَ استفّ ، وهذا أثبتا
والسائرُ الباقي سواء كثُرا وقلّ هذا القول قولُ من درى
يعضدُ ذاكَ خبرُ الطلاقِ للستّ دونَ الأربع البواقي
وأنشدوا في ذاكَ قولَ الشاعر غُودرَ في الحيّ المقيم سائري

ثم يتوقف عن نظمه ليذكر لنا بيت الشاعر الذي ذكره في بيته الاخير مستشهدا به على كلمة سائر ، فيقول : قال الشنفرى :

فلا تقبروني إنّ قبري محرّمٌ عليكم ولكن أبشرى أمّ عامـــر
إذا احتملتْ رأسي وفي الرأس أكثري وغودرَ عند الملتقى ثم سائري

ثم يعود لنظمه مكملا فيقول :

وسيبويه في الكتاب أنشدا ساير ذاكَ الثور للشمس بدا

ثم يذكر الشاهد الذي اشار اليه في البيت فيقول :

يرى الثورُ فيها مدخلَ الظلّ رأسَه وسائرُه بادٍ إلى الشمس أجمعُ

ثم يعود لنظمه :

وهو علىٰ القَلبِ كما في العُصْبَهْ ... مع المفاتح استحبُّوا قَلْبَهْ
قال ابنُ بَرِيٍ وهو شيخُ الحَلْبَهْ ... إنَّ المفاتيحَ تَنوءُ العُصْبَهْ
والباءُ كالهمزةِ في التَّعدى ... وزلَّت الصَّفواءُ بعْدَ اللُبدِ

ثم يتوقف ليذكره شاهده فيقول : قال الكميت :

يُزيلُ اللِبدُ عن صَهَواتِهِ ... كما زَلَّت الصفواءُ بالمُتَنزِّلِ (١)

ويعود لنظمه فيقول :

قال ابنُ بَرِّيٍ سائرٌ بمَعْنى ... مُعظَمُ الشيءِ رُزِقْتَ الحُسْنى
شاهدُهُ ما جاءَ عن مُضَرَّسِ ... وبيتُ ذي الرُّمَّةِ في مُعَرَّسِ

ويذكر بيت مُضَرّس ، فيقول : قال مضرَّس :

فما حَسَنٌ أنْ يَعْذِرَ المرءُ نفسَهُ ... وليسَ لها من سائرِ النّاسِ عاذِرُ (٢)

ثم يقول : قال ذو الرُّمَّة :

مُعَرَّسٌ في بياضِ الصُّبْحِ مَوْقعُهُ ... وسائرُ السَّفرِ إلاَّ ذاكَ مُنْجَذِبُ

واذا ماضاق عليه النظم ، يلجأ الى النثر فيقول مثلا : الا ذاك . استثنى التعريش من السير ، وقال ابن برى : انكر ابوعلي - يعني الفارس - أن يكون السائر من السؤر ، لامرين ، أحدهما ..... وهكذا الى أن ينتهى ، فيعود الى النظم ، وهكذا تسير المخطوطة كلها على هذا المنوال .

---

(١) هكذا ورد البيت في المخطوطة ، والبيت هو لامرىء القيس كالاتى :
كُميتٌ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ ... كما زَلَّت الصفواءُ بالمُتنزِّلِ
ديوان امرىء القيس/ ٥٣ .

(٢) في المخطوطة " غادر " والصواب ما أثبته .

وفى نهاية المخطوطة يذكر المغربى (١)، أن مخطوطة دمشق العائدة للمجمع العلمى العربى هى من نسخ محمد بن الصالح الهلالى (ت ١٠٠٤هـ) بينما نسخة بغداد بخط ناسخ اسمه "سعدى أفندى" (٢).

وآمل بحول الله أن أحصل على نسخة دمشق كى أحققها بمشيئة الله لما لها من قيمة لغوية كبيرة .

• • •

(١) مجلة المجمع العلمى ١١١/٣/٥ .
(٢) نظم درة الغواص " مخطوط " الورقة / ٢٣٥ .

الباب الثاني

فنون شعره وخصائصه الفنية والفنون البديعية والبيانية فيه

الفصل الأول: فنون شعره
الفصل الثاني: الخصائص الفنية لشعره
الفصل الثالث: الفنون البديعية والبيانية في شعره

الفصـــل الاول

فنــــــون شعــــره

الشعر في ذاته فن من الفنون الجميلة ،وكل موضوع يتناوله الشاعـــر يطرقه من خلال هذا الفن ،لذا أميل الى تسمية الاغراض ، بالفنون الشعرية لكونها اكثر دقة في التعبير عن المطلوب .

المديح : المديح عند الوراق لونان . الاول : المدح النبوى ،وسأتكلـــم عنه قبل غيره،والثانى : مدح الحكام والاعيان والامراء والاصدقاء .

المدح النبوى :

المدح النبوى من فنون الشعر التي شاعت في العصر المملوكــــي ، فهو لون من الوان التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من أبواب الادب الرفيع وذلك لصدوره عن قلب مفعم بالحب الصادق ، والاخلاص المكين .

وفي اعتقادى أن للحرمان والفقر دورا في انتشاره وشيوعه فــــى هذا العصر ، اذ ازدادت موجة الزهد والتصوف ، فالتجأ الأدباء الــــى الرسول الكريم لائذين به يمدحونه .

ويقول أحد الباحثين : " ان موجة الزهد ، وذم الدنيا ، وســـوء الظن بالناس وما أدت اليه من شيوع الاتجاه الى السماء ، والدعوة الـــى رفض الاستعانة بغير الواحد الأحد ، لأن حكام الارض بدوا عاجزين عـــن اسعاد البشر ، وادخال الطمأنينة الى نفوسهم ، دفع بالأدباء ، وهـــم الذين عرفوا برهافة الحس ، ورقة الاحساس الى عالم كئيب ، لما ســـاد عالمهم من فوضى واضطراب ، حتى بدأ الادباء يشكون في امكانية صـــلاح عالمهم ، وظهر لهم المستقبل مظلما ، فأزدادت موجة الزهد اتساعـــا ،

وزهف الوعظ والشعر الديني الى ميادين لم يعرفها من قبل ، واشتدت الحاجة الى مثل أعلى يقصده الشعراء ، ويستعيضون بمدحه عن مديح الزعماء والحكام ، فكان أن تطلعوا بأبصارهم الى الحجاز ، حيث مهبط رسالة السماء . " (١)

وفعلا لقد شاعت في العصر المملوكي فكرة المجاورة في الديار المقدسة وهي نوع من الهروب من هذا العالم ، ومحاولة البحث عن الطمأنينة والسكينة بالالتجاء الى قبر الرسول " صلى الله عليه وسلم . "

وهو أي المدح النبوي — من الناحية النفسية ، وسيلة يفزع اليها الشاعر للندم والتوبة والخلاص من الذنب ، كما هو الحال عند شاعرنا الذي يرفع يديه الى الله لائذا بشفاعة رسوله " صلى الله عليه وسلم " .

وقد وجدت لشاعرنا ثلاث قصائد في مدح الرسول الكريم ، الاولى : تبدو في خمسة وعشرين بيتا ، والتي منها في مدح الرسول ثلاثة عشر بيتا فقط ، أما باقي القصيدة فهو ليس منها ، وعلى ما أرى أن المخطوطة التي فيها القصيدة ، وهي " المنشآت الصفدية " (٢) قد سقط منها بعض الاوراق والتي فيها تكملة القصيدة ، وعلى هذا تكون الابيات الثلاثة عشر مطلعا للمدحة النبوية المفقودة ، أما باقي الأبيات فهو في موضوع آخر ، لاعلاقة له بالمدحة النبوية أما القصيدة الثانية : فهي عبارة عن خاطرة نظمها في خمسة أبيات . (٣)

أما الثالثة : فهي كاملة وتقع في " ١٠٢ " من الأبيات ، لذا ستكون موضع دراستنا .

---

(١) الشعر العراقي في القرن السادس الهجري / ٢١٢ .
(٢) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٢ .
(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٨٢ .

والمطلع عند شاعرنا قد بدأه بالنسيب كما هو الحال في قصيدته الاولى والذى أصبح النسيب فيه مقصدا من مقاصد القول ، وهو المدخل الذى يدخل منه الشعراء الى الفن المطلوب ، وهذه طريقة تقليدية جرى عليها الشعراء اذ نجده يصف مشاعره ، ثم ينتقل بحبه وأشواقه الى المصطفى " عليه الصلاة والسلام " فيقول : (١)

قالت ، وقد آذنتُها بفـــراقِ ... هَلْ بَعْدَ يوم البَيْنِ ، يومُ تـلاقِ
أم لا سبيلَ لعلم ذاكَ فزوِّدِي الـ ... ـمشتاقَ تود يعاً الى المشتـاقِ
ووقفْتُ والعَبَراتُ تمزجُ بيننـا ... مزجَ القلوبِ تصافحتْ لعنـاقِ
ومنَ العجائبِ إن تَسلمنا والنـوى ... تذرى مدامِعُنا من الإغـراقِ
ويحَ الشَّجيِّ منَ الخَليّ أمـا رأى ... في الحُبِّ ، كيف مصارعُ العُشّاقِ
وأرى العيونَ البابليَّةَ تنتضـي ... بيضَ الظُّبى من أسود الأحـداقِ
جهلَ الصبابةَ عاذلٌ ما شأنُـهُ ... شأني ، ولا أخلاقُـهُ أخلاقـي
ما هيَّجتهُ قيانُ وُرْقٍ باللـوى ... يَصْدَحْنَ خلفَ ستائرِ الأوراقِ
ثبتت على أعناقِهنَّ مواثِـقٌ ... للحُبِّ قَدْ مُوهْنَ بالأطـواقِ

ثم ينتقل بعد هذه الابيات ، ليتحدث عن صبابته ، الى الرسول الكريم باثا شوقه وحبه اليه والى دياره فيقول :

والى الحمى النَّجديِّ ، حيّاهُ الحيـا ... غلبَتْ عليه لواعج الأشـواقِ
وتمثّلَ الأفكارُ لى ذاك الحمـى ... فأودُّ أن أسمى على الآمـاقِ
ومتى جرى ذِكْرٌ لساكن يَثْـربٍ ... عَجَباً لوميض قلبى الخفّـاقِ (٢)
وترى لسوداء الفؤادِ بحُبِّـهِ ... نوراً وإشراقاً على إشـراقِ

---

(١) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٩ .
(٢) هكذا ورد البيت في المخطوطة ، مختـل الوزن وهو يستقيم كالآتى : " عجبا لومض فؤادى الخفاق " .

أما الطريقة الثانية فى المدح ، فهو أن يجعل من وصف حاله طريقا الى الممدوح ، كما فى القصيدة الثالثة ، والتى ستكون موضع دراستنا لأنها كاملة .

فهو يبدأ قصيدته الأخيرة بوصف حاله ، وعلى مايبدو ، أنه نظمها وقد وخطه المشيب ، فنراه يستجمع أيامه ،ويعرضها ، فيصف أيام لهوه وهواه فيترحم على ماضيه ، ويترحم على أيام شبابه الآفل الذى أثقلته الذنوب ، فيعود بذاكرته الى الوراء ، مستعرضا ماضى ، بأبيات على شكل وثبات نفسية كما يسميها د . مصطفى سويف حيث يقول : (١)" الشاعر لا يبدع القصيدة بيتا بيتا ، بل يبدعها قسطا قسطا ، فهو يمضى فى شكل وثبات وفى كل وثبة تشرق عليه مجموعة من الأبيات دفعة واحدة ، أو تنساب هذه المجموعة دون أن يوقف الشاعر قليلا أو كثيرا . "

والوثبة كما مر بنا عند شاعرنا هى مجموعة أبيات ، تصور حاله ما ، حتى اذا فرغ منها توقف قليلا ليسترد أنفاسه منتقلا بعد ذلك الى حدث آخر من أحداث حياته بوثبة نفسية أخرى ، وهكذا .

يبدأ شاعرنا قصيدته فى مدحه للرسول " عليه الصلاة والسلام" بالعودة الى ماضيه الملئ بالآثام فيعرضه علينا بقوله : (٢)

---

(١) الاسس النفسية للابداع الفنى فى الشعر / ٢٢٦ .

(٢) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٢ .

صَدَفَ المَشيبُ به عن اللّــذاتِ ولكَمْ أتاها ، والشّبابُ مواتـي
ظلمت بفود يه طلائع أرشـدت حيرانَ في ليلٍ مِنَ الشُّبُهـاتِ
وَثَنَتْهُ عن نهج الهُدى بيضٌ ثَنَت بيضَ الدُّمى مطروفة اللحظـاتِ
أعرضنَ إذْ حَسَرَ القِناعَ فباتَ من إعراضِهنَّ يُكابدُ الحَسَـراتِ
وَطَلَبْنَ عوداً للشباب وقد مضى وإذا مضى زَمَنٌ فليس بـآتِ
فعلى الشّبابِ تَحِيّتي ،ولو أنّـهُ رَدَّ التحيّة ، ردَّ طيبَ حياتـي

ثم يقف قليلا لينتقل الى مشهد آخر ، مشهد اللائم الذى يلومه وما أرى العذول الا ضميره ، ونفسه التى تزجره بالكف عن اللذات ، فهو يخاطب نفسه بأنه سينصرف عن الهوى ولداته ، وعن الخمر وندمانها وسقاتها ولهوها فيقول :

سَمْعاً لما قالَ العَذولُ وطاعـةً قدْ دينَ بالإنصافِ والإنصـاتِ
الآنَ أقْصَرَ باطلى ، وأفقتُ من داءِ الهوى ، وصحوتُ من نشواتـى
وقبضتُ عن راح الندامى راحـتى ومسامعى عن ذكر هاك وهـات

الا ان خياله يسرح به ، فيستطرد الى ذكر ماضيه ، والتحدث عن أيام لهوه وعبثه وخمره ، وبكوره لشرب الراح تحت الخمائل فى أحضان الطبيعة متذكرا نقاء خمرته وصفاءها وأثرها فيه فيقول :

ولطالما أعطيتُ منّى حَقّـهُ ونطقتُ بأسم اللّهو طوْع لهاتـى
وجررتُ أذيال الشّبيبةِ رافـلاً فيهنَّ بين دساكرٍ وسُقـاةِ
أيام لم تقضِ اللّيالي بمِرّتـى كلّا ولا غمزَ الزمانُ قناتـى[1]
ولقدْ بَكَرْتُ الى الخميلةِ وهى من وشى الحَيا كوشائع الحَـبراتِ[2]

(١) المِرّةُ : القوة .

(٢) الحَبرات : البُرد اليمانى .

والزَّهْرُ قدْ ضحكتْ مباسِمُهُ وقدْ أجرى الغمامُ سوابق العَبَرات
والنَّهْرُ فضّي المدارع لم يذُب ذَهَبُ الأصيلِ عليه والغَدَوات
بمُدامةٍ أكلَ الزّمانُ كثيفَها فأتتك صافية بغير قذاة
طلبتْ مسافتَها الدّهورُ فقصّرت عمّا لها من سائر الخُطوات
يغدو عليَّ بكأسها مُتنبّذٌ من ريقه والطّيرُ في الوُكنات(١)
أنْ كتْ مُحَيّاها بوجنته على بَرَدٍ بفيه ، بارد الرّشفات

ثم يصف أثر الخمر وما تفعله بالنفس قائلا :

هذا وهائلةُ الجمالِ تُريكَ تحت قِناعها الأقمارَ في الهالات
هيفاءُ ناطقةُ الوشاحِ وقلبُها كسوارها مَاقَلَّ طولَ صُمات
فَعلتْ بها الصَّهْباءُ ما فعلتْ به فتعارضا للحُسن أيَّ صِفات
فأرتك قد فتى يزيدك فتنة في حبها ، وأراك لحظ فتاة
وتطارحا طيبَ الغناء فأطربا وُرْقَ الحمائم في ذُرى العَذَبات
وكأنّما الأوتارُ إذْ تبعثُها عَلِقَتْ بذي وصفٍ بروقٌ وذات

ثم يعود بعد أستراحة قصيرة ، لوثبة نفسيه أخرى ، فيقف متأملا مترحما على شبابه ، وأيام صباه التي مضت كالأحلام فيقول :

أينَ الشّبابُ ، وأينَ أيْنَ زمانُهُ ذَهَبا كأحلام قضتْ وسِنات
ولّى الصبا ، وتخلّفت تبعاتُهُ لهفي لو أنَّ صِبىً بلا تَبِعات

ثم يحاول العودة بهذه النفس المحملة بالخطايا والآثام الى الله فيلجأ الى قرع أبواب رحمته ، مديا توبته وندمه ، وهو على أبواب النهاية

---

(١) المُتنبِّذ : صانعُ النبيذ .

والموت يردعه ويزجره ، وقد كفاه واعظا له ، فيتذكره ، ويتصور نفسه وقد أمسى وحيدا في قبره بعد تركه اولاده وأخواته ، ثم يتصور وقوفه بين يدي الخالق وقد تسلم كتابه بشماله ، وأدخل النار ، وهنا تلجأ نفس شاعرنا الى بارئها وتستجير بالرسول العظيم ، طالبة شفاعته ، فيقول مخاطبا نفسه :

يانفسُ آنَ لكِ الرّجوع وحـان أنْ … تتيقظي من رقدةِ الغفلاتِ
مَنْ لي إذا أُعتُقِلَ اللّسانُ وحُشْرِجَتْ … في الصّدرِ وأُعتلات شجيّ لهواتي
مَنْ لي إذا فارقتُ إخواني وَخُـلا … ني وولداني معاً ولِداتي
مَنْ لي إذا أُسْكِنْتُ مُوحِشةَ الثّرىٰ … وتركتُ رِبْعي مقفر العرصاتِ
مَنْ لي إذا وُضِعَ الكتابُ مجازيـاً … عن سَيّئاتٍ كُنَّ أو حسناتِ
مَنْ لي إذا زَفَرتْ جهنّمُ واعتلت … أنفاسُ كلّ الخلْقِ بالزفراتِ
فهناكَ أن ذُخْرُ لي شفاعةَ أحمـد … ولتلك خيرُ ذخيرةٍ لعصاةِ
وهناكَ التمسُ النّجاةَ بحُبّـه … وبحُبّهِ كمْ فائزٍ بنجاةِ

ثم يجرى حوار داخلي بينه وبين نفسه المضطربه ، الوجلة من عذاب الله فتنتابه الهواجس لما أقترفه من خطايا ، فيتعلق بشفاعة الرسول العظيم " عليه الصلاة والسلام " قائلا :

يامُكثرَ التّخليطِ مِثلي لا تخَفْ … قدْ يَحمدُ التّخليطُ في أوقاتِ
يكفيكَ في أهلِ الكبائرِ وعْدُهُ … بشفاعةٍ تُنْجي من الظُلُماتِ
فاعمدْ إليه بنيّةٍ واعطِ علـي … ماقالَ فالأعمالُ بالنيّاتِ

ثم يعمد الى مدح الرسول الكريم بوثبة نفسية أخرى ، فيصفه بأنه خير من حل على الارض ، وأتى بتشريعاته السماوية ، وخير من ضمته منى وعرفات ، وخير ساع وداع ، وأنه صاحب الصفا والمشعرين وزمزم ، ثم أنه صاحب الاعجاز والبيان كما يسمه بالعزيمة والشجاعة ، والفصاحة والنجابة والسماحة ، فيقول مستخدما أسلوب التكرار في التأكيد والتأثير :

هُوَ خَيْرُ من وطئ الثرى ، هوخيرمن سَنَّ القِرى فى شِدَّةِ الأَزمـــات
هُوَ خَيرُ سائرٍ موهناً ، هو خيرُ من جَمعَتْ مِنىً والرَّحبُ من عرَفــات
هُوَ خَيْرُ داعٍ قد دَعا ، هو خَيْرُ ساعٍ قدْ سَعَى وأَتمَّ بالعمـــرات
هُوَ ذو الصَفا والمَشْعَرين وزمـزم والمروتين ومُرتَمى الجَمَـرات
هُوَ صاحِبُ الإعجازِ فى الإطنابِ والـ إيجازِ والغاياتِ فى الآيـات
هُوَ صاحِبُ الكلماتِ والعزماتِ والـ نَقَماتِ ، والغَدَواتِ للغـزوات
هُوَ ذو الصَّباحَةِ والفصاحــةِ والـ شجابةِ والسماحةِ فى لَظى اللّزمـات

ثم ينتقل لوصف عروج المصطفى " عليه السلام " الى السماء ، وأمتطائه متن البراق وأنثناء جبريل عنه عند وصوله ، ثم يشير الى ورود أسمه فى الكتب المقدسة السابقة ، لذا كان كالقمر الذى بدد الظلام حين أخرج الناس من الضلال الى الهدى فأنظر كيف يقول :

هُوَ مُمتَطِي مَتْنَ البُراقِ ومُرتَقِي السَّبعِ الطِباقِ لغايةِ الغايـــات
حتى أنثنى جبريلُ عَنْهُ ، وقالَ : سِرْ فقد أنفرَدْتَ بأرفَعِ الدَّرجـــات
قَدْ أثبتَ اللّهُ أسمَهُ فى مُحكَمِ الـ قرآنِ والإنجيلِ ، والتَّـــوراةِ
وهدى به اللهُ الأنامَ من العَمَى والبدرُ هادٍ مِنْ دُجى الظُلُمـــات

ثم ينتقل الى سرد الاحداث التاريخية ، وما قيل فيه عند ولادتــه بوثبة نفسيه أخرى ، من حديث أحبار اليهود عنه ، وتمنى سيف بن ذى يزن أحد ملوك العرب المشهورين رؤياه قبل موته ، وضمور نيران فارس ، وانثناء ايوان كسرى ورجم الشهب للشياطين ، وتنكس أصنام الجاهليين ، وبأن الله أثبت العزة للاسلام وأذل أصنام الجاهليه فيقول فى ذلك :

كَمْ حَرَّرَ الأَخبارَ أَحْبارٌ بِـــــهِ ... قَدْ بَشَّروا الماضي كِهُشرى الآتِ

سيفُ بن ذى يزن يقولُ لِجَدِّهِ ... ياليتني رائيهِ قبل مَماتــــى

وَسَطيحُها الى ، وشِقٌّ إنَّــهُ ... عمّا قليلٍ بالنبـــــوّةِ آتِ (١)

خَمَدَتْ به نيرانُ فارس وأنثنى ... إيوانُ كِسرىٰ ساقِطَ الشُرُفـــاتِ

وَهَوَتْ رجومُ الشُّهْبِ عِنْدَ ولادةٍ ... تَنْقَضُّ خَلْفَ الجنِّ مُتبعـــاتِ

وكذلِكَ الأصنامُ خَرَّتْ هَيْبَـةً ... وَوهَتْ به وهَوَتْ على الجَبَهـاتِ

اللهُ لِلإسلامِ أَثْبَتَ عِـــزَّةً ... يا ذِلّةَ العُزّىٰ بها واللّاتِ

وينتقل الى ذكر معجزات الرسول "عليه السلام" فيشير الى ان الذئب كلمة والشاة العجفاء درت له ، وكلمته الغزالة والبعير ، ونطق الذراع ... المسموم الذى دسته اليهود يه له ، ثم يعدد معجزاته الحسية من تسبيـح الحصا بكفه وحنين الجذع اليه ، وتقهقر الشمس لدعائه ، وانشقاق البدر وجيشان البئر بالماء له ، وتظليل الغمامة عليه ، ورده عين قتاده ، واطعام الجيش الجائع بأكله من صاع ، فيقول ذلك بوثبه نفسية واحدة :

ناهيك أنَّ الذِّئبَ كلمهُ كمـــا ... دَرّت له أَخلافُ تلكَ الشّـاةِ

وكذا الغزالةُ والبعيرُ وهكـذا ... تروي ثِقاةٌ عن أَجَلِّ ثقـاةِ

وتداوَلوا نُطْقَ الذِّراعِ كما رَوَوْا ... في كَفِّهِ تَسْبيح جمع حَصَـاةِ

والجذعُ حَنَّ اليه حتى أعوجَّ من ... إتباعهِ الحَنّاتِ بالأنّـاتِ

والشَّمسُ حينَ تَقهقَرتْ لِدُعائِـهِ ... يُغنيكَ حجتُها عن الإثبـاتِ

وكذا أنشقاقُ البدرِ من آياتــهِ ... مَنْ ذا يُحيطُ بهنَّ من آيـاتِ

والبئرُ قَدْ جاشَتْ له وكذا الـ ... ـغمامُ أظلّهُ والقَيْظُ ذو جَمَـراتِ

(١) شِقٌ ، وسَطيح كاهناك من كُهّان اليمن زمن ملوك التبابعه ، تنبآ بنبوة الرسول محمد "صلى الله عليه وسلم". الروض الأنف ١/١٣٤ .

وبمثله قد رد عين قتـــادة ... أرأيت رد العين بالتفـــلات
والصاع أطعم منه جيشاً طاويـاً ... فانظر مواقع هذه البركـــات

ثم يستمر فى ذكر معجزات الرسول الكريم الحسية ، فيذكر أن الشرحه وهى الشجرة الكبيرة الطويلة سعت اليه ، ونبع الماء من كفه ، وبوجهه استسقى فأرسل الله المطر بعد جفاف لدعائه ، وكذلك فى عام الرمادة المعروف بالجدب الذى تحول الى خضره فيقول مشيرا الى ذلك :

وسعت إليه سرحة شرفت على ... أجنانها من طيب الشجـــرات
من كان ينبوع الحياة بكفـــه ... جاءت له الأشجار منتجعـــات
وبوجهه استسقى فسقوا معشـر ... أكلتهم سنة من السنـــوات
فرنا إلى جهة السماء بطرفـه ... ودعاه بين سكينة وأنـــاة
فتتابعت دفع الغمام يحثهـــا ... للبرق سيف قانئ الشفـــرات
وكذاك في عام الرمادة عمـه ... فارتد ذات الجذب ، ذات نبات

وهكذا نجد شاعرنا يسرد كثيرا من الاحداث سردا تاريخيا ، وهو متأثر الى حد كبير بقصة الاسراء والمعراج ، والمولد النبوى ، وسيرة ابن اسحق ، وكان هذا شائعا فى عصره ، لذا فهو يحدد دون طل ،بأسلوب تقريرى ،انعدمت فيه الصورة الشعرية .

ثم يعود شاعرنا الى مدح آل النبى بوثبة نفسية أخرى ، معرجا على ذكر يوم بدر ، ونصر السماء للمصطفى " عليه الصلاة والسلام " وذكر يوم أحد وشهدائها فيقول :

شرف من ابن أخيه فاز بإرثـــه ... قد تشرف الشجرات بالثمـــرات
ومفاخر عنه لآدم تنتهـــــي ... فلها انحدار ، وهى فى مرقـــاة
يا يوم بدر والملائك من سمـــا ـ ـ ء الله قد ظهرت لهم بسمـــات

ولقاء جبريل بغصر محمـــد | قد قام عند تنكس الرايــات
وغداة أحد إذ وقى فى أوجه الـ . . . | كفار بالدعوات والحصيـات
فقدوا لطير الجو أقواتاً كما | أمسوا طعام الوحش فى الفلوات
أوليس طهر قلبه فرأى بـه | أشياء دون الطرف محتجبات

وينتقل الى ذكر تقوى النبى " صلى الله عليه وسلم " الذى لا يغفل قلبه عـن ذكر الله ، والى عينيه التى نأى عنهما الكرى ، وفى ذكره لتقوى النبى ايماء الى وجوب الالتزام والطاعة بما جاء به ، فهو الذى ارسله الله سبحانه رحمة للعالمين فوحد الناس بعد فرقة ، وهداهم بعد ضلالة فهو لمكانته عند الله أول من يبعث ، ومكانه الجنة التى يأباها حتى يدخل امته فيها ، فهو يوم القيامة كالبدر يجلـو الظلمات فيقول :

وتنام عيناه يمجان الكـرى | ولقلبه ماشئت من يقظـات
الله أرسله إلينا رحمـة | وبذاك يشهد محكم الآيـات
فأتى لهذا الخلق بعد ضلالة | وأتى لجمع الخلق بعد شتات
تنشق عنه الأرض أول خارج | منها وأول داخل الجنـات
ولأجل أمته يثبت نفسـه | عنها وكم قهر العدى بثبـات
ستراه من صدر القيامة مقبلاً | كالبدر يجلو غيهب السدفـات

ثم يتضاءل شاعرنا امام عظمة المصطفى " عليه الصلاة والسلام " فيقول :

لا تنكروا ضربى له من دونـه | مثلاً بضوء البدر للقسمـات (١)
فالله قد ضرب الأقل لنـوره | مثلاً من النيران والمشكـاة (٢)

---

(١) و (٢) شطر البيت الاول والثانى يقتبسهما الوراق من قول ابى تمام الاتى :

لا تنكروا ضربى له من دونـه | مثلاً شروداً فى الندى والبـأس
فالله قد ضرب الأقل لنـوره | مثلاً من المشكاة والنبـراس

من حديث الشعر والنثر / ٩٦ .

فهو يقول : لا تنكرو مدحي له ، مشيرا الى أن الرسول فوق المدح ،
فان الله العظيم قد ضرب مثلا لنوره بالمشكاة والنيران ، وهو يشير الى
الآية الكريمة من سورة النور " اللّهُ نورُ السّماواتِ والأرضِ ، مَثَلُ نورِهِ كَمِشكاةٍ
فيها مِصباح .... " (١) وهكذا يمضي في مدحه ، مبينا بأن مدحه
لا يعظم رسول الانسانية ، فاين المدح من صفاته ، وما قيمة تعظيم الاشعار
والشعراء عند من عظمه الله في كتابه ، لكنه "عليه الصلاة والسلام" يسمع
الثناء ، ويبر الذين يثنون عليه ردا لجميلهم ، فيدعو لهم كما هو حاله
مع شعراء الدعوة ورجالها ، ومنهم عمه العباس الذي جعل الخلافة في
نسله كما يدعي شاعرنا ، وكرد لجميل حسان بن ثابت الذي نال السعادة
لقاء دفاعه بشعره عن الاسلام ، وأثاب كعب بن زهير ، وعفا عنه ، وخلع
عليه بردته بعد أن كان مهدر الدم ، وأستشهاد ابن رواحه الذي أخلده
في سبيل الله جنان النعيم .

ثم يعود شاعرنا ليطلب من المصطفى "عليه الصلاة والسلام" أن ،
يلحقه بهؤلاء الذين شملهم كرم الرسول ، لذا فهو يمدحه ليفوز عند الله
فيقول :

أينَ المدائحُ من صِفاتِ مُحمّدٍ عزّتْ عليَّ وأعوزتْ طلباتي
أتُعظّمُ الأشعارُ يوماً قَدْرَ من تَعظيمُهُ في الحِجرِ والحُجُراتِ
لكنّهُ سَمِعَ الثّناءَ وبرَّ أهـ ـليهِ بخَيرِ مواهبٍ وصِلاتِ
فلِعَمّهِ العَبّاسِ إرثُ خِلافةٍ في نَسْلِهِ عن تِلكُمُ الآياتِ
وكفى بإحسانٍ لحسّانٍ بهِ نالَ السّعادةَ في ردىً وحَياةِ

---

(١) سورة النور / ٣٥ .

فبدعوةٍ تمتْ سلامةُ ثغرهِ ... وبدعوةٍ قد فازَ بالجنّاتِ
وأثابَ كمباً بُردةً وأنا قتهُ ... بَرْدَ الحياةِ وكانَ في الأمواتِ
واستُشهدَ ابنُ رَواحةَ في موقفٍ ... أفضى به تَعَبُ الى راحاتِ
أفلا أفوزُ بمدحهِ وأفوزُ عنـ ... ـد الله منه بأعظمِ القرباتِ
وأقولُ يا خيرَ الأنام وصَفوةَ الـ ... ـشم الكرام وخيرةَ الخيراتِ

وبوثبة نفسية أخيرة يتضرع شاعرنا الى الله ، متوسلا ، لاجئا الى رسوله مادا يد الضراعه والرجاء ، كي يتشفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، لكي يقيل عثرات الماضي المدلهم ، ويرغب في الثواب عن مدحته المتواضعه التي يصفها بأنها أربت على مئة من الطاقات ، ويمنى بها القوافي ، وهو واثق من شفاعه رسول الله " عليه الصلاة والسلام " كي يدخل الجنة ، خاتما قصيدته بالصلاة والتسليم على النبي " صلى الله عليه وسلم فيقول :

لكَ قدْ مددتُ يدَ الرّجاءِ وقمتُ أمـ ... ـلأُ بالثناءِ مَسامعي ولهاتي
وعلمتُ أنّي قدْ عثرتُ ولمْ أجدْ ... الاّ لديكَ إقالةَ العثَراتِ
ورغبتُ في نَاءِ الثّوابِ بمدحةٍ ... أربتْ على مئةٍ من التّاءاتِ
ووثقتُ أنّكَ في الجوابِ مُعوّضي ... عن هذه الأبياتِ بالغرفاتِ
صلّى عليكَ اللّهُ جلّ جلالهُ ... يا خيرَ خلقِ اللّهِ خيرَ صلاةِ

هذه القصيدة تصور في اعتقادي الجو النفسي الذي عاشه شاعرنا ، فهو في حالة تأمل داخلي ، فتبدو من خلاله نفسه المرهفه المهددة بالفناء وما هذا الالحاح في التوسل سوى القلق الذي يفزعه لما أقترف من ذنوب ، فتبدو نغمه التوسل الصادقة في أنفاسه المتمثله بقافية التاء الرقيقة .

أما اذا تحدثنا عن أسلوب القصيدة ، فنجد أن الوصف التقريرى هو المسيطر بحيث لا تجاوز فيه الكلمات مدلولها الحرفى .

والشاعر يخلع عاطفته وروحه على موضوع القصيدة ، فاذا بعمله الشعرى كله تصوير لموقف نفسي موحد ، فكل الذى ذكره من بدئه بوصف حالته وآلامه ، والحديث عن ماضيه ، والتوبه منه والاستغفار واللجوء الى عفو الله بمدح رسوله ، وأمله بالفوز بالجنة ، يجعل من الوراق شاعرا تتجلى قدرته على أن يجعل هذا الشعور يسيطر على أبيات القصيدة كلها ، وهو فكرة الشعور بالذنب ، وطلب الشفاعة ، لذا كان الاحساس واحدا .

المـــــــدح :

المدح فن أصيل من فنون الشعر العربى ، ولا يعيبه أن أغلب الشعراء خرجوا به عن منهجه السوى الى التكسب والأرتزاق ، وأستحال الى ضـــرب من الملق والرياء ، فالشاعر اذا أنفعل اعجابا بعظيم ، وتأثر بصنيعه ثـــم عبر عن انفعاله فى أمانه وصدق واخلاص ، يكون قد قدم لنا فنا جميـــــلا أصيلا من فنون الشعر أسمه المدح ، ويطالعنا هذا بارزا فى المدائـــح النبوية ومدائح آل النبى " عليه الصلاة والسلام " التى تنبعث من عاطفـــه صادقة ، كما هو الحال فى المدحة النبوية التى مرت بنا ، والتى يتمثـــل فيها انفعال وصدق شاعرنا .

واذا ماعدنا للشعر العربى ، وجدنا ماقاله الشعراء الآخرون فـــى الرسول الكريم وغيره من الخلفاء الراشدين يتمثل فيه الصدق .

واذا كان المديح صادقا ، أعطانا صورة صادقة للكمال الانسانى فـــى أروع مظاهره ، كما يتمثله ويراه الشعراء المادحون ، فالشاعر يرسم صـــورة واضحة المعالم للانسان المثالى ، ويجسم خلائقه الممتازه من كرم وشجاعـــة وعفه ووقار ، وتقوى وايمان ، فيرسمها باطار فنى جميل ، فتكون قدوة لمـــن شاء الاقتداء .

ولكن مع هذا فالمدح هو الوسيلة الكبرى لنيل مايطمح اليه الشاعر، فهو وسيلة للكسب والأرتزاق فضلا عن أنه وسيلته للظهور والشهرة ، فنجـــــد شاعرنا الوراق يمدح لا حبا فى المدح ، ولكن لبلوغ مآربه . ومن الذيـــن مدحهم ، الملك الصالح علاء الدين (١) أحد ملوك مصر من الايوبيين الذى نعت ملكه بالأستقرار الذى شمل حتى الحيوانات فى البلاد فيقول : (٢)

---

(١) حكم الملك الصالح مصر سنة " ٦٣٧ هـ " .

(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٧٤ ، السلوك ١/١/٢٩٥ .

عَزْمةٌ صَحَّ فألُها بالنَّجـــاحِ بينَ ذي مِخْلَبٍ ، وذاتِ جَناحٍ (١)
من نهودٍ ، ومن صقورٍ حداها يُمنها في غدوّها والــــرّواحِ

كما مدح الملك الظاهر بيبرس ، سلطان مصر المملوكي حين أفتتح مدرسته التي سماها الظاهرية نسبة اليه سنة " ٦٦٢ " هـ ، وقد تبــارى الشعراء في ذكرها ، فكان لشاعرنا دور بارز ، فهو لم يشد بالمدرســة فحسب و بل أشاد بباني المدرسة بيبرس الذى نعته شاعرنا بالعلم وحبــه له ولأهله وذكر مدرسته التي هي من العظمه بحيث جعلت أهل العراق .. والشام يشتاقون اليها على الرغم مما عندهم من مراكز علمية ، ثم ينتقــل شاعرنا لمدح بيبرس الذى هو في نظره ملك الملوك ، وهذه نظره فارسيــة قديمة أستمرت عند الفرس حتى فترة متأخرة ، وهي كلمة " شاهنشاه " ولعــل شاعرنا قد تأثر بهذه النظرة الفارسية ، فنعت بيبرس بها قائلا " (٢)

مَليكٌ لهُ في العِلْمِ حُبٌّ وأَهْلِــهِ فللّه حُبٌّ ليسَ فيه مَــــلامُ
فَشيّدها للعلم مدرسةً غــدا عراقٌ إليها شيّقٌ وشـــآمُ
ولا تَذْكُرَنْ يوماً نظامية لهــا فليسَ يُضاهي ذا النظامِ نظــامُ
ولا تَذْكُرَنْ مَلْكاً فبيبرس مالِــكٌ وكُلُّ مليكٍ في يديه غُــلامُ

وهذه المدرسة التي بناها زعزعت بيع النصارى ، وكانت كالروض الذى نبت من غمام يديه ، مشيرا الى كرم بيبرس ، وهي صورة جميلة ، أمــا محرابها فهو الزهرة التي تفتح عنها الكمام ، فبدت تسر الناظرين :

---

(١) عزمة : ارادة قوية .
(٢) السلوك ١/٢/٤٠٥ ، الخطط المقريزية ٤/٢١٧ . نزهة النفوس ٣/٣٦ ، حسن المحاضرة ٢/١٤٢ . مصر سلاطين المماليك ٧/٢٣٤ ، وفيه البيت الاول فقط . الأدب في العصر المملوكي ٢/١٥٧ وفيه البيت الاول والثاني فقط . الأدب العامي في مصر / ٤٣ . محمد كامل الفقي : الأدب فـي العصر المملوكي / ٤٦ .

وَلَمّا بناها زُيِّنت كُلُّ بيعَــــةٍ ... متىٰ لاحَ صُبْحٌ فاستقرَّ ظـــــلامُ
وَقَدْ بَرَزَتْ كالروضِ في الحُسن أنبأت ... بأنَّ يدَيه في النـــوال غَمـــامُ
أَلَمْ تَرَ محراباً ، كأنَّ أزاهِـــراً ... تفتح عَنْهُنَّ الغداة كمـــامُ

كما نجده يمدح الملك الصالح على (١) ، وهو من ملوك المماليـــك ويدور النص على فكرة العفه التى تشمل كل شئ فى الدولة ، من أموال ، ووسائل المتعه ، والترف ، التى كان يمارسها السلاطين قبله ، كمـــا ينعته بحسن الخلق ، ومحاسبة النفس التى هذبتها كثرة المحاسبة ، ممـا جعل الناس تروى عن سلوكه الذى أمسى غريبا على مجتمع أمراء المماليـــك فيقول فيه : (٢)

لَقَدْ عَفَّ فى سُلطانِهِ وجَمالِـــهِ ... فللّهِ مُلكٌ فيهما قَـــدْ تَعففـــا
وأعزبَ في تصنيفِ أفعالِهِ الـــتى ... رَوينا بِها عَنْهُ الغَريبَ المصنَّفــا

ولم يكتف بمدح ملوك مصر لنيل عطاياهم ، بل نجده قد سافر كمـــا مربنا الى بلدان أخرى لغرض المدح والارتزاق ، فنجد له مدحا للملـــك المنصور صاحب حماة فى بلاد الشام . (٣)

كما نجده يمدح الوزراء والسلاطين والكتاب ، وأرباب المكان الرفيـــع ومن الذيـــن مدحهم من الوزراء ، الصاحب فـــتح الديـــن بـــن

١ـ الملك الصالح على تولى بعد أبيه الملك المنصور سنة ٦٨٠هـ وهو مـــن ملوك المماليك ، توفى وهو شاب سنة "٦٨٧هـ" ودفن بين مصر والقاهرة سكردان السلطان مخطوط ، الورقة / ٢٩ .
٢ـ المصدر نفسه الورقة / ٢٩ .
٣ـ المنشآت الصفدية "مخطوط" لوحة / ١٠ .

عبد الظاهر (١) ، وما ذلك الا ليحصل على بغيته منه ، ومخاطبة الوراق له مخاطبة العبد لسيده الذى جاء لمدحه ، والذى هو فى نظر الوراق فوق المدح ، ثم يشكو له الفاقة ، وما طرقه باب الفتح الا ليفتح له دنياه ، وعلى هذا فالوراق لا ينبغى له ان يشكو ويسهر مفكرا ماد امت بغيته عند الفتح ، فيصور ذلك بقوله (٢) :

أَمولاىَ فتح الدين دعوة مادح ... ثُرى قدرك العالى تَجلّى عن المدح
لَهُ بُلْغَةٌ فى الرِّزق أُغلقَ بابها ... فيم باب الفتح فى طلب الفتح
ومالِىَ أشكو فى دُجى اللّيل حيرةً ... وبابكَ نجمى بل هلالىَ بل صبحى

والفتح عند الوراق نعمة من نعم المسلمين ، فهو نصر للملك ، وفتح مبين للدين : (٣)

إذا جَدَّد اللهُ سبحانه ... لكم نعمةً عمّت المُسلمينا
فلا عدِمَ الملكُ نصراً عزيزاً ... ولا عدِمَ الدين فتحاً مُبينا

وينتقل الوراق الى مدح ابن اخت الصاحب فتح الدين بن عبد الظاهر وقيل سبطه وهو ناصر الدين شافع بن على (٤) كاتب الانشاء فى دواوين الدولة المملوكية ويطلب الوراق منه أن يشفع له فى طلب حاجة

---

(١) فتح الدين بن عبد الظاهر : من اشهر كتاب الانشاء المصريين زمن المماليك تولى كتابة الانشاء وعرف بالصاحب ، وهو ابن محى الدين بن عبد الظاهر الذى كتب للملك المنصور قلاوون وابنه الاشرف وتوفى بمصر سنة " ٦٩٢ هـ " . البداية والنهاية ١٣/٢٩٣ ، فوات الوفيات ٢/٧٩ ، الادب فى العصر المملوكى ٢/٤٦ .

(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة/٢٧٤ .

(٣) المصدر نفسه لوحة/٤٠٠ .

(٤) هو ناصر الدين شافع بن على بن عباس الكنانى العسقلانى المصرى ، عرف بنظمه ونثره الكثير واشتهر بحبه للكتب ، فكان جماعا لها ، عمل كاتبا للانشاء بمصر زمنا طويلا حتى اضر وهو سبط القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر ، توفى بمصر سنة " ٧٣٠ " هـ نكت الهميان ١٦٣ ، فوات الوفيات ٢/٩٣ ، الادب فى العصر المملوكى ٢/٥٣ .

فيصفه بالعظمة ، وبأنه يأمر وما على الايام الا طاعته ، ثم يعرج على مدح ابن عبد الظاهر ويصفه بأنه وتر في المجد الذي سرى ذكره فأصبح مثلا فيقول : (١)

قَدْ كُنْتَ لِي شافِعاً في حاجةٍ نُجِحَتْ ... بَلْ أنتَ آمِرٌ والأيّامُ تَمْتَثِلُ

والصاحبُ الفتحُ ، وِترٌ أنتَ شافِعُهُ ... في سؤددٍ لكما ، سارٍ بِهِ المَثَلُ

كما نجد الوراق يمدح ناصر الدين شافعا طالبا منه الشفاعة أيضا في أمر من الامور ، فيصفه بالمجد فضلا عن مجد النسب ، طالبا فضلا من أفضاله الكثيرة ، ~~والصاحب الوراق له فقد شغله عن ذكر أولاده وأسرته من كثرة ما يلهج~~ ~~بذكره~~ قائلا : (٢)

أَشافعُ حَسبي شافعا مجدُكَ الذي ... تأثل من أعلىْ جدودٍ وأجدادِ

وحسبي فضلٌ منكَ مُبتدِياً بِهِ ... ومن ثم قالَ القائلُ الفضلَ للبادي

وقد نسيتني أسرتي وذكّرتني ... وأوليَ بذاكَ الذِكرِ مني أولادي

ولربما حصلت بين الصاحب فتح الدين بن عبد الظاهر وبين شاعرنا جفوة ما لذا أستشفع بسبطه ناصر الدين شافع بن علي الذي ينصر شاعرنا بالمال والجاه ، فهو شافع ، لابل هو أسم على مسمى ، فقد تطابق أسمه بحسن فعله ، فيذكره بالمكانة التي له عند ابن عبد الظاهر ، لانه من الصحب والآل فيقول : (٣)

أيا ناصِرَ الدينِ أنتَصِرْ لي ظَفِرتُ بِنَصرٍ منكَ بالجاهِ والمالِ

وكُنْ شافِعاً فاللهُ سمّاكَ شافِعاً ... وطابَقْتَ أسماءً بأحسنِ أفعالِ

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٦١ .

(٢) المصدر نفسه لوحة / ٢٨٩ .

(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٨٩ ، فوات الوفيات ٢ / ٩٣ ، نكت الهيمان / ١٦٣ .

وقدرك لم تجهله عند محمـــد   لأنَّ ابن عبّاسٍ من الصّحبِ والآلِ

ومن الذين مدحهم شاعرنا ابن الخليلى الذى وزر للملك العادل كتبغا المطوكى (١) ولعل للحاجة دورا بارزا فى دفع الوراق لمدحه ، فشاعرنـــا يفدى ممدوحه ابن الخليلى بنفسه كى ينال فخرا بفدائه ، وانه رطـــب اللسان بشكره وهى كناية عن الدعاء للممدوح ، وأن النار تسعر شاعرنـــا فى جوفه من شدة حرارة حبه لابن الخليلى الذى رفع منار شاعرنا الـــذى يقول فيه : (٢)

ليتَ السّراجَ مِنَ الهواءِ فِداكــا   لينالَ فخراً لم ينلْهُ عَداكـــا
ولقدْ أتى رَطْبَ اللسانِ بشكـرهِ   والنّارُ حَشْوُ حَشَاهُ من بلواكـــا
ولقدْ رَفعْتَ منارَهُ ، وعَمَرْتَــهُ   وجَلَوْتَ من أحوالِهِ أجلاكـــا (٣)

كما نجد له مدحا للصاحب ابن الجوينى ، الذى يخاطبه شاعرنـــا بكلمة " تقبل الأرض " وهى عبارة يخاطب بها الملوك ، والأرض صار شذاهـــا أطيب من شذا المسك وما ذلك الا لحلول الممدوح فيها ، وهذا الممـــدوح فاق الروض بعطر أخلاقه ، أما احسانه فهو صافى من الأدران فأنظر اليـــه كيف يقول فيه : (٤)

تقبلُ الأرضَ التى تُربتُهـــا   كالمسكِ بل أطيبُ من ذاكَ شَـــذا
وكيفَ لا تَعْبقُ أرضٌ بهـــا   حللتم والرّوضُ أهلٌ لـــذا
لا بل أبى الرّوضُ عليَّ مـــا رأى   مِنْ طيبِ أخلاقِكم قدْ حَـــذا
وقدْ صَفا موردُ إحسانكـــم   كصفوها مِنْ شائبات القَـــذى

---

(١) جاء كتبغا الى حكم مصر سنة " ٦٩٤هـ " .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٥٤ .
(٣) عجز البيت هكذا ورد فى المخطوطة ، ولم أقف على المراد منها .
(٤) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٩٤ .

كما نجد لشاعرنا مدحا للقاضي " شرف الدين بن القيسراني " (١) فهو كريم الأصل لا يتكلف من الاحسان لأنه غريزة في نفسه ، لذا فشاعرنا يفديه بعينيه وبنفسه لاكرامه له ، فيخاطبه قائلا له : (٢)

فَدَتْ عينايَ مِنْكَ خُطاً عزيزه	دَلَلْتَ بها على كرمِ النَّحيزة
وما يتكلّفُ الإحسانَ حُــرٌّ	وهل يتكلّفُ المرءُ الغريزة
فديتك من شفيع لي وحُبّي	جلا المعنى بألفاظٍ وجيزة
ونوّه بي ، ونوّع لي الأيادي	وزهّرهُ ، فقال النُجح لي زه (٣)

وكتب شاعرنا يوما الى " شرف الدين بن القيسراني " ورقة ، وأرسلها له وهو في الميدان ، يطلب حاجة فيها ، فيصفه بالشجاعة والجود والمجد ، ويأمل منه أن يتم ما يريد ، وهو الشفاعة عند مولاه العماد ، ولعل العماد هذا أحد المتنفذين في الدولة فيقول : (٤)

بعثتُ بها الى الميدانِ رُسْلاً	فما شقّوا غُبارك يا جَوادُ
وردّتْ وهي في خَجَلٍ وأولى	بمجدكَ أن يتمَّ لها المُرادُ
وعز الدين مولانا شفيعي	لسيّدنا ومولانا العمادُ

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن أحمد ، القاضي شرف الدين بن الصاحب فتح الدين القيسراني المخزومي ، كان رئيسا دينا متواضعا ، كثير المحاسن ، له في الانشاء اليد الطولى ، توفي سنة " ٧٠٧هـ " .
ينـ الوافي بالوفيات ٣ / ٣٧٠ ، النجوم الزاهرة ٨ / ٢١٢ .

(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٢٠ .

(٣) زهّره : يقال : زهرت النار إذا أضاءت .

(٤) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٩٢ .

ويمتد مدح شاعرنا ليشمل أصدقاءه ، ومنهم الشاعر شهاب الدين محمود (١) ومدحه له تلوح منه المصلحة ، فهو يتفاءل لآماله من رجل محمود الفعال الذى يصفه بالبحر فى الكرم ، وأنه لا يمكنه النأى عنه لفضله فيقول فيه : (٢)

تفاءلتُ لآمالي ... ومَن أمّلتُ محمودُ
وما عَن بَحْرِه صادٍ ... ولا ريّان مصدودُ
وكم من فضله المشهور يومٌ منه مشهودُ

كما مدح شاعرنا أقاربه ، ومنهم الصاحب بهاء الدين حنا الذى عرف بشدة حنوه على الوراق ، والاكرام له ، كما كان شاعرنا يكن له حبا جما وأحتراما فائقا ، فيعبر عن ذلك بقصائده اليه ، ومن ذلك هذه القصيدة التى يبدؤها بمقدمة تفضى بمشاعر شاعرنا تجاه ممدوحه ابن حنا الذى لا يقدر على فراقه ، والذى برؤيته تكتحل عينه بمتعه كأنها متعه الجنه والنعيم فيقول له : (٣)

أتروم صبرى دونَ ذاك الرّيمِ ... هيهات لمتَ عليه غير ملومِ
لو شاهدتْ عيناكَ ماشاهدته ... لرجعتُ فى أمرى الى التّسليمِ
مُخضَرُّ آسٍ ، واحمرار شقائق ... أنا منهما فى جَنّةٍ ونعيمِ
ومعاطفٌ من دونهنَّ روادف ... أنا منهما فى مُقعدٍ ومقيمِ
سل طرفه عن شعره الدّاجى فلم ... يُخبركَ عن طولِ الدُّجى كسقيمِ

---

(١) هو شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد ، الامام العلامة ، البارع البليغ ، الكاتب الحلبى الدمشقى . ولد بدمشق ، وأقام بمصر متقدما ببلاغته ، وبديع كتابته وانشائه ، وتوفى سنة "٧٢٥هـ". فوات الوفيات ٤/٨٤ ، الدرر الكامنه ٥/٩٢ ، البداية والنهاية ١٤/١٢٠.

(٢) لمح السراج "مخطوط" لوحة / ٤٩٤.

(٣) الوافى بالوفيات ١/٢٥ ، معاهد التنصيص ٣/٢٠٤ ، انوار الربيع ٣/٣٢٩ وفى المصدرين الأخيرين البيت السادس والسابع فقط .
تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ١/٤٧٣ ، ٢/٦٩١ وفيه البيت السابع فقط .

بعد ذلك ينتقل الوراق لمدح ابن حنا بعد هذه المقدمة التي قدمها من نفسه فيصف قامة ابن حنا بالغصن الذى يبلغه بتحياته الخصبة التي شبهها بالمطر ومع النسيم الرقيق ، كما يسمه بالجمال ، ولعله يعني جمال النفس أو الروح ، فالوراق يجد فيه دون أن يقاسمه أحد هذا الوجد كما ينعته بأنه من أصحاب المعالي وذو نسب رفيع فيقول :

ياغصن قامته اليك تحيتي	مع كلِّ ماطرةٍ ، وكل نسيم
إنَّ الجَمالَ له بغير منازعٍ	والوجد لي فيه بغير قسيم
وكذا العُلا لمحمد بن محمد بـ	ن علي بن محمد بن سليم
نَسَبٌ كطَّرد الكعوب فلا ترى	الا كريماً ينتمي لكريم

كما يمدحه بالتقوى ، وبأنه صاحب الامر دون منازع ، ويصف كلامه بالسداد كما يسمه بالبحر في العلم والكرم . فاذا أردت أن تعرف كرمه فهو ليس بحرا فحسب بل بحران ، ومن الشهرة نجمان متالقان وليس نجما واحدا ، ومن كثرة كرمه فهو الغيث للناس ، كالحيا للأرض فيقول :

وشَبيبةٍ حرس التُّقى أطرافها	فلها محلّ الشيب في التعظيم
وإذا تحرّمت المسائل بأسمه	جلّى من التحليل والتّحريم
إن قال : لا يخلو فما من علّة	تبقى لصحة ذلك التقسيم
أما إذا جارى أخاه أحمداً	شاهدت بحري نايلٍ وعلوم
بحرانِ إنْ شِئتَ الندى ، نجمانِ إنْ	شئتَ الهُدى ، غوثانِ في الإقليم

ونكتفى بهذا القدر لننتقل الى طريقة الوراق في الوصول الى ممدوحه من خلال ما مربنا .

في الواقع نجد أن الوراق يبدأ مدحته بالغزل ، ثم يمهد لذلك بوصف حتى يصل الى الممدوح ، وهذا مانلمسه في المدحة النبوية ، ويستغرق

المدح جل القصيدة وهذا يدل على مكانة الممدوح من نفس الشاعر ، وقربه منه . كما نلمس التمهيد في قصيدته في ابن حنا ، حيث يشير فيها الى حبه له ، ومكانته في نفسه ، ثم بعد ذلك يدخل الى المدح الذي يستغرق القصيدة

اما اذا كان الممدوح بعيدا قريبا لا يستغرق من القصيدة الا بيتا واحد أو بيتين ، فالمسألة نفسية قبل كل شيء .

ويتخذ شاعرنا من الشكوى طريقا الى الممدوح ، لكي يتسرب من منافذ العاطفة الى قلبه فيسترقه ويستلينه . كما أن جل مدحه قائم على التكسب ، فقد غضب من شخص مدحه ، ولم يعطه شيئا فقال متهكما فيه : (١)

ظَننتُكَ عند المدح للمالِ باذلاً ولم أَدْرِ أَنَّ الذَّالَ تُبدَلُ بالخاءْ

وقالوا : عسىٰ في مدحِهِ لكَ خيرهُ فكانت لتأخيرِ مُقَدَّمة الراءْ

ويريد في البيت الأول أن يسمه بالبخل ، اذ بابدال حرف الذال من كلمة " باذلاً " خاء تصبح " باخلاً " ، وفي البيت الثاني يشير الى كلمة " خيره " فانك لو أخرت الياء وقدمت الراء لاصبحت . . . . . .

والوراق يشكو من صعوبة التخلص من المطلع الى المدح ، فيصور ذلك بقوله : (٢)

لئن خَفَّ صدري للقوافي ونظمها ففي مَنْ وظلُّ الجودِ عنّي مُقلَّصُ (٢)

وكم مَطْلَعٍ حَبَّرْتُهُ من قصيدة يقولُ عسىٰ لي ، أو عسىٰ لكَ مَخْلَصُ

ولا يفوتني أن أشير الى أن جل مدح شاعرنا قائم على المنفعه الذاتية ، فهو لا يمدح شخصيه لما أمتازت به من قيم انسانية ، وخلائق اسلامية أصيله .

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٤٤ .

(٢) نصرة الثائر / ٣١٦ .

(٢) عجز البيت مكسور / هكذا ورد .

أما اسلوبه وطريقته فى المدح ، فنلاحظ أنه يمدح بصفات عامة حميدة يسبغها على كل ممدوح منهم دون تخير ، ومدائحه نسخ متشابهه من حيث المعانى والأخيله والافكار ، فمن الصفات العامة ، نعت الممدوح بالبحر ، والغيث ، والنجم ، والرفعه ، والعلو ، وكرم الأصل ، وغيرها . وهذه كثيرة التداول بين الشعراء ، فنعدم الدقة فى مدح الممدوح ، فكل الممدوحين عنده سواء فى النعوت ، لأن المهم عنده هو تحقيق طلبه .

أما مدائحه فهى اقرب الى التوسل الذى تضيع فيه شخصيته ، ولا أجده صادقا فى مدحه ، بل المس تزييفا لمشاعره خلا المدحه النبوية وقصيدتـه فى ابن حنا .

كما لا تنبعث قصائده أستجابة لعاطفته التى تدين بالجميل لهـؤلاء الأمراء ، بل يغلب عليها تحقيق المأرب ، فضلا عن فتور عاطفته غالبا .

أما شخصيته فى المدح فتبدو ضعيفه ، وتغلب عليها الشكوى والرجاء كما أنه يبالغ فى مدحه مبالغة غير سائغه بحيث تخرج بالممدوح عن طـوره كانسان .

فن الوصف :

ان الشاعر المبدع فى وصفه يستطيع أن يصور لنا مايقع عليه حسه ، فيصور لنا المناظر الخلابة وينقلها الينا فنراها شاخصة بارزة للعيان ، وحينما ينفعل بهذه المشاهد ، لابد أنه يلونها باحاسيسه ومشاعره ، ويحمل المتلقى ببراعته على أن يشاركه هذه المشاعر والاحاسيس .

ومن هنا يتفاوت الشعراء فى الوصف والتصوير بحسب مواهبهم ،وتجاربهم فمنهم من يصف الواقع وصفا دقيقا ، اذ يجتهد فى ان ينقل الينا صورة الواقع دون مغالاة او تزويق قاصدا منها روائع الفتنة والجمال .

ومنهم من يتأثر بمواضع الفتنة والجمال وحدها ، مغفلا ماعداها ، وربما أثاره المنظر فوصف مشاعره وانفعالاته .

واذا أردنا أن نستعرض مافى شعر الوراق من تصوير ووصف وجدناه واسعا اذ يتسع لكل فنون شعره الاخرى ، لانه يصف مايحسه سواء فى الغزل ، او المدح أو الرثاء ، أو الهجاء ، هذا اذا عالجنا المسألة من الجانب النفسى للموضوع ، لكن اذا عالجناها من جانبها الفنى ، فلابد من التقسيم كى لا نضل فى ركام شعره .

والوصف عند شاعرنا فن أصيل ، فيه احاسيس الصدق واضحة ،فلامواربة ولا نفاق ولا تزلف للممدوح ، بل ينقل لنا ماتقع عليه حواسه ، فيصور ذلك فنلاحظ ان أروع وصفه فى فن الغزل ، اذ يكون شاعرنا فيه دقيقا فى وصف أعضاء الحبيبة وصفا حسيا مثيرا ، كوصف طلعة الحبيبة وجفنيها ، وعينيها ، وخديها ، وثغرها ، وشعرها ، وصدرها ، وخصرها ، فضلا عن وصف الغلمان وسنلم بذلك .

ومن نماذج الوصف الوصف عند شاعرنا ، قوله يصف الساقى الذى يغدق عليه خمرته الهاطلة كالسحب ، فيسمه بالكرم باسلوب فكاهى فيقول : (١)

ولنا ساقٍ جوادٌ كفُّـــهُ ، وكَفَت بالرّاحِ سُحباً بعد سُحُبْ

قال قومٌ : فاقَ كعباً فى النّدىٰ ، قلت : لا غرو لساقٍ فوقَ كَعـــبْ

ووصف شاعرنا للساقى دعاه لوصف شكل ابريق الخمر الذى يحمله ، فالابريق تميل اليه نفوس الشاربين ، وتهواه أفئدتهم ، وتشخص اليه أبصارهم ، والابريق عند الوراق عذراء تجلى له ، ويشتهى من هذه العذراء ريقها وجسمها وعنقها فهو كثيرا ماقبل هذه العذراء يشرب من فمها ماء الحياة الذى لا يغص ولا يشرق منه ، فلنستمتع بما يرسمه لنا خيال شاعرنا الوادع ، وهو يشع بالنفحات النؤاسية الجميلة فى قوله : (٢)

يا حبذا شكلُ ابريقٍ تميل به ، مِنّا القلوبُ ، وتصبو نحوه الحدقُ

يروقُ لي حين أُجلوهُ ويُعجبُنى ، منه طلاهُ ، وذاك الجسمُ والعُنُقُ

كم قد شربتُ به ماءَ الحياة ولن ، ينالنى منهُ لا غصٌّ ولا شَـــرَقُ

حتى غدا خجلاً مما أُقبلُـــهُ ، فظَلَّ يرشحُ من أعطافِهِ العَـرَقُ

وشاعرنا هنا يسير مع طبعه المتدفق بلا كلفة ولا اجهاد ، فمنظر الابريق اثار فى نفسه هذه الصور التى تنم عن عبقرية خيال جميل . ووصفه يتسم بالدقة المتمثلة فى منظره الجميل ، وطعم خمره اللذيذ ، وملمسه الندى .

---

(١) المنتخب من تاهيل الغريب " مخطوط " الورقة / ١١٠ ،
لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٦٤ ، خزانة الادب / ٣٠٥ .

(٢) حلبة الكميت / ١٧٣ .

ومجلس الخمر الذى دعاه لوصف الساقى والابريق دفعه لوصف المغنى الذى وصفه شاعرنا بالطائر الجميل المفرد ، الذى فتن الناس بتغريده فأطرب بفصاحته وجماله وحسن غنائه ، ولطافة ثغره فقال فيه : (١)

وَمُغَرِّدٍ فَتَنَ الورىٰ بفصاحةٍ ... وصباحةٍ ، فلمسمعٍ ولِمَنْظَرِ
يَفْتَرُّ عَنْ دُرينِ من ثغرٍ ومن ... شِعرٍ ، فينطِقُ عن صحاحِ الجوهري

ولننتقل مع شاعرنا الى الطبيعة ، فنراه يصف الطبيعة الصامتة ، كالريحان الذى تهتز به الغصون ، وكأنها تتهادى به ، فترتاح النفس لمنظره ، وعبق رائحته وهذا الريحان شبيه بالسودان الذين لبسوا ثياب خز وهم مكاشيف الرؤوس فيقول : (٢)

وريحانٍ تميسُ به غصونٌ ... يطيب بشمِّهِ شُرْبُ الكؤوسِ
كسودانٍ لبسنَ ثيابَ خَزٍّ ... وقد تُركوا مكاشيفَ الرؤسِ

والتشبيه فى هذه الصورة يبدو لى غريبا ولربما هو مقبول فى عصره ، أو ربما ذوق الوراق الذى اعجب بصورة السودان الذين يلبسون ثياب خزوهم مكاشيف الرؤوس .

ولشاعرنا وصف ليوم قائظ تصور فيه موت النفسيم فقال فيه : (٣)

ويومُ قيظٍ أذابَ جسمي ... والماءُ لم يشفِ لي غليلا
قَدْ صَحَّ موتُ النسيم فيه ... وكان عهدي بهِ عليلا

---

(١) حلبة الكميت / ١٥٠ ، مراتع الغزلان " مخطوط " / ١٣٨ وفيه عجز البيت الاول كالاتى : " وملاحةٍ فلمنظر ومسمعي " .
(٢) حلبة الكميت / ٤٣٥ ، سفينة الملك / ٤٣٥ .
(٣) حلبة الكميت / ٣١٨ .

وها هو الليل شاعرنا قد طال عليه ، فيتساءل : هل الصباح ضـــل طريقه للوصول الى الشرق ، وهل الكواكب عاقها عائق عن الافول ، وبأسلـوب يبدو فيه الضجر يقول مخاطبا الليل : (١)

يا ليلُ هَلْ ضَلَّ الصباحُ فما اهتدىٰ ... للشرق أم سُدَّت عليه طريقـــه

وهَلْ الكواكبُ سُيِّرت أم سُمِّــرت ... أم عاق كل مسير عيوقـــــه

والليل هنا أثار عند شاعرنا شعورا وجدانيا مؤلما ، اذ أحس بثقـــل وطئته عليه ، لذا عبر بهذه الصورة الجميلة ، فجعله كائنا ضل طريقه .

واذا ما وقع نظر شاعرنا على شيء أعجبه ، أنفعل به ، وهذه نظـرة جمالية تأملية ، أثارت مشاعره من خلال تأمله للقناطر بالجيزة والهرمين فـي أحضان الطبيعة الصامتة الملونة ، التي امتد اليها وجدانه ، فعاد بلقطـات فنية جميلة عن الطبيعة الخضراء التي يتكسر عليها خرير الماء ، على سفـــح النيل المعطاء ، بينما كانت السماء محطة بذيول الوشي المسحوبة من صنعاء الى مصر .

وهذه الارض هي حسناء جميلة ، أما نهداها فهما الهرمان ، فلننظـر الى هذه الفاتنة التي يقول فيها : (٢)

ولقد نظرتُ الى القناطر فاجتلت ... عيناي أحسنَ منظر للرائـــي

وكأنها تحكي قطار ركائـــبٍ ... تصغي ، وحاديها خرير الماءِ

وكأنما حبست بشاطئ نيلهـــا ... للورد إذْ وقفتْ من الإعيــاءِ

ولقدْ نَدَتْ قوس السماء كأنمــا ... جَرّت ذيول الوشي من صنعاءِ

---

(١) حلبة الكميت / ٣٤٥ .

(٢) لمح السراج " مخطوط " لوحة / ٢١٤ .

هَلْ شائِدُ الهرمين ثبتَ سفحها خوفَ اهتزاز الأرضِ من خُيَلاءِ
أم خالَها حسناءَ تُجلىٰ فابتنىٰ نهدين فوقَ ترائب الحسناءِ

فالوصف هنا مفعم بالحركة ، زاخر بالحياة ، فيه ايحاء وادع من هذه الحسناء وفي الابيات مجموعة من الصور الجزئية المتتابعة تعطينا صورة مجسمة عن الطبيعة .

وهناك ظاهرة عن الوراق ، هي ميله الدائم الى تشبيه الاشياء بمحاسن المرأة وهذا يعكس شغفه بالمرأة .

ويحدثنا شاعرنا عن قسوة شتاء مصر ، الذى يصوره بانسان له قلب قاس ، قسوة الحجارة ، فهو قاس باعاصيره الكثيرة ، وشمسه المحتجبة من الغيوم ، وهنا يتدخل خياله فيصورها لنا بالعذراء المحتشمة ، فلننظر اليه كيف يرسم ذلك قائلا : (١)

مُذْ قيل قلبُ الشتاءِ طوىٰ سَرَتْ له قسوة الحجارهْ
وزاد فى جوره علينا بغارةٍ منه بعد غارهْ
وستّنا الشمس فى حجابٍ عادتْ لها حِشْمَةُ البكارهْ
وخلفها للمراسِ سُحْبٌ فى كُلِّ دربٍ وكُلِّ حارهْ

ويمتد وصف شاعرنا ليشمل الامراض وفتكها ، فيصف لنا الحمى التى اصابته ، والتى ذكرها يوحى له بالفناء ، فهو يعلل حرارتها بأسلوب طريف واضح فيقول : (٢)

أساءَتِ الحُمّىٰ ولكنها لى أحْسنَت فى ذكرِيَ التوبَهْ
ترجعُ لى روحى إذا ودّعتْ فتنثنى مسرعةَ الأوبهْ

(١) لمع السراج " مخطوطة " لوحة/ ٣١٦ .
(٢) المصدر نفسه / ٣١٦ .

ولي طبيبٌ قال : لا تخْشَها ... فقلتُ : لتشهد مني النوبة

كما وصف دملا اصابه ، فهو لا يقل عن قسوة الدهر على شاعرنا ، فهو قاس القلب ، وكأن مجسه يد بخيل ، أوقلب ظالم فيقول فيه : (١)

ومن دُمَّلٍ كالدهر شِدَّةَ قسوةٍ ... منيعُ حجابٍ عن بلوغ المراهم

عسى وقعها حتى كأنَّ مَجَسَّهُ ... يمينُ بخيلٍ مَسَّ او قلبُ ظالمِ

كما نجد وصفا للبعوض والناموس الذى اضجر شاعرنا ، وشرب من دمه وهو يغنى مترنما غردا ، بينما شاعرنا المسكين يلطم وجنته من شدة اللسع وكأنه فى مأتم ، واذا مانالة البعوض وسفك دمه فهو فى الحقيقة قد سفك دمه الذى امتصه البعوض فيقول : (٢)

شربَ البعوضُ دمي وغنَّى معلناً ... غَرِداً كفعلِ الشاربِ المُتَرَنِّمِ (٣)

وجعلتُ ألطمُ وجنتيَّ فذاك فى ... عرسٍ له ، وأنا فى مأتمِ

واذا سَفَكْتُ بلطمةٍ دمه فما ... انا فى الحقيقة سافكُ الادمي

وشكا ضيوف شاعرنا من الناموس الذى ينتشى على الشرب من أجسامهم التى أمست كفقاقيع الكستبانه فيقول : (٤)

ذاكراً ماشكت ضيوفي من الـ .... ناموس لاعذّبت به ضيفانه

قطعوا ليلهم غناءً على شر ... ب دم كالمدام نحن دنانه

بزلونا بمثل حدِّ الاشافي ... عن شرابٍ لا يرتوي ندمانه (٥)

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٨٠ .

(٢) المصدر نفسه لوحة / ٣٨٨ .

(٣) عجز البيت هو تضمين من بيت عنترة بن شداد الاتى :

وخلا الذبابُ بها فليس ببارحٍ ... غرداً كفعلِ الشاربِ المترنمِ

شرح ديوان عنترة بن شداد / ١٤٥ .

(٤) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٩٣ .

(٥) صدر البيت فيه غموض فى المعنى ، هكذا ورد فى المخطوطة .

كُلّ جسم مُخَوّم لــو رآه سيدي ظَنّ انه كُسْتُبانَــه (١)

ولشاعرنا وصف طريف لشخص متكبر / تائه بكبريائه ، لا يرد التحية ، ولا ابتدأ بتحية قط ، فيسخر شاعرنا منه قائلا : (٢)

وضيعٌ مشبَّــعٌ كِبْـــــراً ... ــراً ضَنينٌ بالســـــلام
ما ابتدأ قــط ولا رَدّ تحيّات الانـــام
فلو استُصلح يوم الــــ ..... ـعرض في القوم الكرام
لابن الجَنّـــة إن قيل ادخلوها بسلام

وفي البيت الاخير اقتباس من الاية الكريمة " ان المتقين في جنات وعيـــون . ادخلوها بسلام آمنين " (٣) .

كما وصف شاعرنا حوائجه واشياءه ، ومنها عمته الخلقة البالية ، والاخـرى التي فيها رتق والتي اذا ما حاول ربطها على رأسه خشي أن تتقطع فيقـــول في ذلك : (٤)

إنّي لديَّ عمامتان فمنهمــا خَلَقٌ وأخرى جلدةٌ فيها رَتَقْ
فاذا جعلتُ اشدَّها جاءت على خُلُقي مخالفةً لهاتيك الخِلَقْ
خَلَقٌ أداريها واستُرُ رثَّهــا تصحيحها فتجيئني كيف اتفق

أما جوخته الزرقاء فهي بالية كعمامته ، لذا فهو يستخدم اسلوب الدعابـة والتندر في تصويرها ، فيصفها بانها من نسج داود ، ولقدمها فهي تتمنـــى أن تتخلص منه . وهو شعور لشاعرنا اسقطه على جوخته الرثة التي يتمنى هـــو

---

(١) كُسْتُبانَة : لم اعثر على معناها في المعاجم العربية ، ويبدو لي انها كلمة فارسية معربة .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٨٠ .
(٣) سورة الحجر/ ٤٦ .
(٤) لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٣٥٠ .

أن يتخلص منها لشدة تهريها ، فهى لو شاهدها صاحبه " الجزار " ، لظنها غطاء ، فلنشاهد جوختة التى قال فيها : (١)

هذا وجوختي الزرقاء تحسبها من نسج داود فى سردٍ وإتقانِ
قَلبتُها فغدت إذْ ذاكَ قائلةً سُبحانَ ربّي بَلا قلبي وأبلاني
لو أن صاحبنا الجزّار أبصرها عليَّ أبصرَ لبداً فوق جربانِ

وفى البيت الاخير تورية فى كلمة " جربان " فالمعنى القريب المتبادر الى الذهن هو طعام معلوم جمعه أجربة او جربان ، أما المعنى المورى عنه وهو البعيد اسم الشاعر مشهور كان فى زمانه .

أما حردان الوراق - حقيبته - فهو الاخر متهرئ خلق من كثرة القدم ولهلهلته يتبرأ من شاعرنا ، فالذى يشاهده مع غلامه وهو يحمله خلفه يظن انه تبرأ من كثرة شجار شاعرنا مع الناس فيظن به شرا ، فيقول واصفا : (٢)

لى حردانٌ كاتبٍ قد تَهَرّا وتَخلّى عنّي ومنّي تبرّا
من رآه مع الغلام إذا ما مرَّ خلفي مقطّماً ظنّ شَراً

ويبدو لى أن تصوير شاعرنا للبؤس والفقر ماهو الا تصوير حالة الشعب المصرى الذى عاش فى ظل نظام المماليك ، حيث التفاوت الرهيب بين قلة تكتنز ، واكثرية ساحقة لا تجد شيئا .

ولشاعرنا تصوير بديع للكبر والشيخوخة ، فنجده يقول مثلا فى الشيب الذى وصفه بالضيف الذى حل به ، فأقام هذا الضيف على رأس شاعرنا وهو يأبى ان يرحل عنه الا برحيله ، فيصور ذلك فى صورة طريفة ، تصور مرارة الاحساس وذاتية الشاعر التى تخشى الفناء فيقول : (٣)

---

(١) غيث الادب " مخطوط " الورقة/ ١٦ ، الغيث المسجم ١/ ٤٥ ، قطر الغيث المسجم / ٦٩ ، الادب فى العصر المملوكى ٢/ ١٥٤ .
هذه الابيات جزء من قصيدة كاملة عدتها (٢٦) بيتا لم نجد منها سوى هذه الابيات المذكورة .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣١٩ .
(٣) المصدر نفسه لوحة / ٣٦٦ .

ضيفَ المشيبِ نزلتَ أكرمَ منزلٍ   منّي وحقّ الضيفِ مالم يُجهَلِ
فأقم على رأسي فلستَ براحلٍ   عن منزلٍ الا بربِّ المنــزلِ

واثقلت السنون ظهر شاعرنا ، فناء بحطها ، فوصف لنا هرمه وهو يخاطب زوجه قائلا : (١)

أثقلَ ظهــري هرمــــي   بعدَ الشّبــابِ المَــرِمِ
وزادَ همّي فوقَــــهُ   والهَمُّ نصف الهَــــرَمِ
فها أنا شيــــخ ونصـ ... ف فالطمي وتَسَخَّمِــي

وبعد أن مر بنا فن الوصف المتسم بالدقة عند شاعرنا ، لاحظنا أن جل وصفه قائم على مقطوعات ، وهي كما يقول " د . مصطفى سويف " عبارة عن وثبة نفسية ، فشاعرنا في لحظة خصبه ، ربما تمتد الى بيتين او ثلاثة وربما الى مئات الابيات . وفي المقطوعة تنتهي اللحظة الشعورية بهذا الشكل لانتهاء الخاطرة التي نظمها .

وتظهر هذه المقطوعات بشكل بارز في ألغازه ، التي هي عبارة عن وصف لشيء ما ، وهي كثيرة ، سنلم بها عند التحدث عن فنونه البديعية .

...

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة /٣٦٧ .

فن الغــزل :

هو فن استغرق من شعر الوراق كثيرا ، عبر شاعرنا من خلاله عن مشاعره فى تصوير هذه العاطفة **الشهوية** ، ولكن ما الدوافع التى حطت شاعرنا علـــى النظم فى هذا الفن ٠ ؟

يتراءى لى من أقوال علماء النفس ،أن الترويح عن النفس هو الاول فـــى دفع الشاعر الى قول الشعر ،فان كبت العاطفة مثار للقلق والاضطراب الذهنى وتحميل للاعصاب مالا تنهض بحمله من أعباء ، وقد تناول علماء النفس ما ينشـأ من آثار الكبت من امراض نفسية وجسمية ، وأن خير علاج لهذا هو التنفيـــس، وأحد طرق التنفيس عند الأديب الكتابة ، اذ يصبح الشاعر فى حالة توتــر كما يسميها البعض الباحثين (١) تدفعه الى التعبير عن مشاعره ٠

وفن الغزل خير وسيلة للتعويض (٢) ،فهو يتيح لصاحبه أن يطلـــق لعواطفه المكبوتة العنان فى صور فنية بديعة تتيح لها التحرر والانطلاق ٠

فمن دوافع الغزل ، الظفر بثقة الحبيبة ،فهو وسيلة لارضائها واشباع كبريائها ، فيخلع الشاعر عليها صفات الجمال الحسى او المعنوى ، ويرفعها الى درجة من الجلال تنفرد بها عن بنات حواء ، كما انه تأكيد لذاتية الشاعر من خلال حبيبته ، فضلا عن تأكيد ذاتية المحبوبة من خلال محبوبها الشاعر، اضافة الى أن الشاعر يستدر عطفها عليه فى حالة الجفاء عساها تلين فتستجيب لتوسلاته ، وتغمره بحنانها ،وذلك لان ذاتيته فى الانفصال تهتز ، فيحاول أن يصف لها مايلاقيه لبعدها من جوى ، وما يعتريه فى هجرها من ذبول ٠

ولقد استجاب شاعرنا لهذه الدوافع فصاغ شعره تنفيسا عن نفسه ٠ وقـد وجدت ان لشاعرنا نوعين من الغزل ، الاول : هو الغزل بالمرأة ، والثانى : هو الغزل بالمذكر ، لذا سأتناول كلا منهما على حدة ٠

---

(١) الأسس النفسية للابداع الفنى فى الشعر/ ١٣٠
(٢) الصحة النفسية / ٤٢ ٠

- الغزل بالمرأة :

بينا دوافع الغزل وذكرنا ان احد دوافعه هو التعبير عن الشاعر المكبوتة فها هوشاعرنا ينفس عن نفسه بوصف لوحة التقطتها عدسته الفنية حين يقع نظره على فتاة يبهره ثغرها الابيض في الليل الذى أحس ببطئه فيخاله نهارا من جمالها واشراقها فيقول : (١)

١ . شِمْتُ برقاً من ثَغرها الوَضّـاحِ والدُّجىٰ سيرُهُ مَهيضُ الجناحِ (٢)
٢ . فتمارىٰ شكّي به ويقيني هل تَجَلّىٰ الصباحُ قبلَ الصباحِ (٣)

وهنا يوحى له خياله ،فيصور له انها غضبى لوصفها بالصباح ، فهى اروع من الصباح ، ومتى كان للصباح حباب ، أو لؤلؤ ، أو زهر الاقاح ، وهل للصباح رائحة المسك كالتى تنبعث منها ،اوتلك النكهة الطيبة كالتى تاتى من الراح . وهى مقارنة طريفة بين الصباح وجمال الفتاة . ثم يتصور انها تناجيه بسؤال رحيقها المسكوب ، وهو اثرها عليه كأثر من اغتبق بالخمرة او اصطبح بها فيقول :

٣ . فأجابت متىٰ تَبسّم صُبـحٌ عن حُبابٍ ،اولؤلؤٍ،أو أقاحٍ ؟ (٤)

(١) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣٢٤ ،تأهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ٥٥ . وهناك بعض الاختلافات بين تاهيل الغريب والكوكب الثاقب وهى : فى البيت الثانى " فتمادىٰ " بدلا من " تمارىٰ " .
لمع السراج " مخطوط" لوحة / ٢٧٥ ، فوات الوفيات ٣ / ١٤٤ ، فروخ : تاريخ الادب العربى / ٦٨٤ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥ / ٩١ .

(٢) شام يشيم الشيء : نظر اليه ليتحقق ماهو . الوضّاح : الأبيض الجميل الدجىٰ : ظلام الليل ،مهيض الجناح : مكسور الجناح ، يسير ببطء .

(٣) تمارىٰ : تجادل .

(٤) الحُباب : الفقاقيع التى تطفو على سطح الخمر.
أقاح : جمع أقحوان وهو البابونج " زهر قلبه اصفر وحوله بتلات بيض تشبه الاسنان ".

٤ . ومتى كانَ للصباحِ شَميمُ الـ . . . مسكِ ، او نكهة كصرف الرّاحِ [1] ؟

٥ . سَلْ رحيقَ الـسكوب تسأل خبيراً باغتباقٍ من خمرةٍ واصطباحِ [2]

ثم يعود ليتساءل : ماشأنه هو ، وشأن السكارى ؟ فيجيبه خياله الشعرى الجميل على لسانها ، بأنه هو ايضا من أثرها غير صاح ، فهو الاخر نشوان بأثرها ، وهكذا تفحمه باجابتها فيقول على لسانها باسلوب حوارى :

٦ . قلتُ مالي وللسكارى ؟ فقالــت أنتَ أيضاً من الهوى غيرُ صاحِ

٧ . حجةٌ من مليحةٍ قطعتنـــي هكذا كُلُّ حُجّةٍ للمـــلاحِ

وتغضب الحبيبة لتشبيه شاعرنا لطرفها بالنرجس الغض ، وخدها بحمرة التفاح وكيف لا تغضب وهى أجمل ، فيعتذر لها قائلا : بأنه ليس ما يقوله يقينا بل ظنا ، ومع هذا فأنت أيتها الجميلة الحسناء شبهك الشعراء مرارا كثيرة بالشمس والبدر ، فلم تغضبى ، وكان من حقك ان تغضبى لانك أجمل من الشمس والقمر ، فسامحينى اذا شبهت عينيك الناعستين بالنرجس، وخديك بحمرة التفاح ، فلننظر اليه كيف يخاطبها :

٨ . لا ولحظٍ كفترةِ النّرجسِ الغَـ . . . ضِّ ، وخَدٍّ كحمرةِ التفّـــاحِ

٩ . ما تيقنتُ بل ظَننتُ ، وما في الظ . . . نِّ ياهذه كبيرُ جُنـــاحِ [3]

١٠ . وكثيراً شُبّهْتِ بالبدرِ والشّمـ . . . سِ وسامحتِ فأرجعي للسّماحِ

١١ . واجعليني من ذا الكَواطرحي القو ل عليك اطّراحَ اللاحـــي

وفى البيت الرابع فى تأهيل الغريب " لصرف الراح " بدلا من " كصـــرف الراح " . وفى البيت الخامس " تسل " بدلا من " سل " .

(١) شميم : رائحه ، نكهة : رائحة الفم الطيبة .

(٢) الرحيق : العسل مادام فى الزهر ، الإغتباق : شرب الخمر فى المساء ، الإصطباح : شرب الخمر فى الصباح .

(٣) جُناح : اثم أو ذنب .

وتطالعنا صورة أخرى سجلتها مخيلة شاعرنا لهيفاء اخرى ، هـــذه الهيفاء التى استعارت اللين من شجرة البان ، فهى شابة يقطر ماء الشبـاب الغض من أديم وجنتها لرقة بشرتها ، ويخجل الورد أمام حمرة خديها ، وانفاسها العطرة ، أما حركاتها وصفاتها ، فهى كالغصن فى تبخترها ، وكالظبى فـى طراوتها ، وكالشمس فى وضاءتها ، وكالبدر فى اعتجارها ، اما قامتها فتتمناها الشجرة المورقة فى وادى نعمان المشهور فيقول فيها : (١)

١ • أعارتْ اللينَ عطفَ البانه النضرة — هيفاءُ كالغصنِ فوقَ الدّعصِ مؤتزره (٢)

٢ • يكادُ ماءُ الشّبابِ الغَضّ يقطرُ من — أديم وجْنَتِها من رقّةِ البشَـــرهْ

٣ • ياخجلةَ الوردِ من تلك الخدودِ وما — تفتت المسك من أنفاسها العَطِرَهْ

٤ • كالغصنِ مايسةً والظبي ناعسةً — والشمس سافرةً والبدر معتجـــرهْ

٥ • تقبلُ الارضَ قاماتُ الغصونِ إذا — ماست وتطرقُ منها وهى معتـــذرهْ

٦ • وتشتهى الورقُ لوتحظى بقامتها — عن بانِ نعمانَ لوكانت لها الخيَرَهْ

وتشبيهات شاعرنا جميلة ، اذ تمنحنا صورا جميلة لهذه الهيفاء .

وينتقل شاعرنا ليشير الى وقع جمال هذه الهيفاء عليه ، وأسره لنفســه فهى لو أدركت عصرموسى كليم الله " عليه السلام " لحشرها مع السحرة لانها تسحر بجمالها ، فهى تنفر العشاق باسبال جفنيها لتخفف منهم وقــع عينيها لكن تأثيرها لايزال مستمرا من وجنتيها ، فاشعاعها ممتد الى قلـــب شاعرنا الملتهب الذى يتمنى أن يطفىء حرارته ببرد ريقتها فيقول :

---

(١) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة/ ٣١٦ ، تاهيل الغريب " مخطوط " ، لوحة/ ١٣٨ . ونجد اختلافا فى تاهيل الغريب عما هو فى الكوكب الثاقب ، وكالاتى :
فى البيت السادس فى تأهيل الغريب " وتشتهى الارق " بدلا من " الورق " وهذا على ما أعتقد تحريف من الناسخ ، لان الصحيح هو الكوكـــب الثاقب لجلاء المعنى ، روض الادب " مخطوط " الورقة/ ٢٩ ظهر . وفيه اختلاف عن الكوكب الثاقب كالاتى :
فى البيت الثالث " من أنفاسه " بدلا من " انفاسها " .
صرف العين " مخطوط " لوحة/ ٩٢ وفيه البيتان السابع والثامن فقط .
لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٢٩٦ .

(٢) الدّعص : قور من الرمل مجتمع.

٧ - لو أنّها أدركت عصَر الكليم رأى أجفانها ، حُشِرَتْ من جملةِ السَّحرةْ
٨ - تفرّنا بانكسارٍ من لواحظها ولا تزالُ على العُشّاق مُنْتَصِرَةْ
٩ - واحَرَّ قلبي من نارٍ بوجنتها واحَرَّ قلبي لبردِ الرّيقةِ الخَصِرَهْ

ويهيم شاعرنا اذا انفرد بهذه الصورة التى أبدعها الخالق ، فيحاول تخيلها فيستعيد طيفها ليلثمه ألفا وألفا ، وفى نفسه مزيد ، ولا يترك طيفها الا ليعده بالعودة مع الحسناء فيقول :

١٠ - لَمْ أَنْسَ طيفاً لها مازلتُ أَلثمُهُ أَلفاً وأَلفاً وفى نفس المُحبِّ شَرَهْ
١١ - وسِمْتُهُ رجعةً لو كُنتُ ذا جِدَةٍ من الكرى ، فتواعدنا إلى نَظِرَهْ

يتراءى فى هذا النص كثرة استخدام شاعرنا للاستعارات البارعة مثل " ماء الشباب " و " خجلة الورد " والتى اعطت مدلولا ثريا للنص الشعرى ، فضلا عن الصور الجميلة التى رسمتها مثل صورة الصبية المتبخترة فى مشيتها وقد شبهها بالغصن النضر الذى يحركه النسيم حركة موضعية بديعة وبالظبى فى جمال لواحظها ، وبالشمس فى اشراق وجهها ، وبالبدر وهى قد وضعت على رأسها شيئا جميلا اعتجرت به .

ويعاتب شاعرنا احبابه ، شاكيا لهم مابه فيقول لهم : لنبس العتاب وندعه يمضى كمضى الايام ، ونعود للود ، فشاعرنا عاشق لا يتخذ من معشوقته بدلا ، وهو مضنى بجرح الهجر الذى امتد وطال ، لذا يتمنى منهم الوصال كى يزيلوا السقام الذى أرسلته جفونهم ، ويخاطبهم وعيناه تكتحل بدمع ساخن قائلا : (١)

---

(١) تأهيل الغريب " مخطوط " لوحة/ ١٥٨ ، روض الادب " مخطوط " / ٣٧
لمع السراج " مخطوط " لوحة /٣٢٧ .
البيت الثالث ناقص فى " تأهيل الغريب " عما هو فى المصدرين الاخرين .
صرف العين " مخطوط " لوحة/ ١٠٠ وفيه البيتان الثالث والرابع فقط .

١ . ذاكَ العِتابُ الذى قد متموهُ مضى — فقدّموا العُذْرَ سخطاً بيننا ورضا
٢ . لا تجعلوا من طريق الوّد بينكُمُ — وبيننا من طريقِ الحُبِّ معترضا
٣ . لم نتّخِذْ عوضاً منكم ولا بــدلاً — نفسٌ ، كذا ما وجدنا عنكم عِوَضا
٤ . أحبابنا انا مضنى جرح هجركم — فلا تزيدوا جراحات الهوى مضضا
٥ . ذروا السقام الذى اهدت جفونكم — منه الى كل قلب بعدكم مرضا
٦ . أهل الغضا مالعينى مع تدفقها — بالدمع قد كحلت فيكم بجمر غضا

وهذه الابيات تعبر عن مشاعر انسانية عامة ، ومن البديهى أن كل انسان لابد له أن يتأثر ، وقد رأينا كيف صور شاعرنا تأثره .

ولشاعرنا لوحة اخرى يتحدث فيها عن احاسيسه ، فيصف مايحسه وما وقع له مع حبيبته التى روى قوامها من أدمعه ، وجنى ورد خدها من تحت البرقع وعندما قبلها سكر من رضا بها الذى كان ختامه مسكا يتضوع فيقول مبينا ذلك : (١)

رويتُ غصنَ قوامها من أدمعـي — وجنيتُ وردَ الخدِّ تحتَ البرقُـع
وسكرتُ من رشفى مُدامُ رضابهـا — وختامها مِسكُ اللَّمىٰ المُتضوّع

فاذا ما التقى بها فهو يضمها ضم مودع لشدة وجده بها ، وشوقه اليها ، وتسرى يده حين يقبلها لتعبث بشعرها الفاحم ، منتقلة الى خصرها النحيف وهو تعبير عن شدة الوجد الذى اصابه ، وتنتهى بتنهيدة تنم عن ما فى الصدور من حرارة ، تعقبها ابتسامة تبين عن أسنان لؤلؤية ، وحديثها الذى يشنف سمعه . وتعترض حبيبة شاعرنا على تشبيهه قدها بالغصن ، أو بألمها ، أو بالبدر ، فهى فوق كل هذه التشبيهات ، لانها هى والشمس مقترنتان فيقول شاعرنا مصورا ذلك :

البيت الرابع فى روض الادب كالاتى : " أحبابنا انا مضنى جرح بهجركم " بدلا من " جرح هجركم " . وفى البيت الخامس " ردوا " بدلا من " ذروا " .

(١) تاهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ١٧٣ . لمع السراج " مخطوط " ، لوحة / ١٣٥ .

وضممتُها عندَ اللقاءِ كأنّـــا — للشوق أحسبُ ذاك ضمّ مُـودّع

وسرتْ يدي تحت الدّجى من شعرها — حتى بدا صُبحُ الجبين بمَطلع

وجهلتُ موضعَ خصرِها من سُقمِه — جَهلَ العواذل من سقامي موضعي

فهدى اليه (صوت) خرس سواره — وكذا الأنينُ علىَّ دلّ بمضجعي (١)

وتبسمت عن لؤلؤٍ رطبٍ غـدت — بحديثها منه يُشنّفُ مسمعي

قالت وتشبهني بأغصانِ النقـا — أو بالمها او بالبدور الطُلّـع

لا ترجعنّ ولا تَعُدْ يوماً لـذا — فالشّمسُ وهي الشّمسُ ما ذُكرت معي

ونجد شاعرنا قد قدم لنا فى هذه الابيات صورا حية ،تتظافر فى بنائها النظر والسمع ،والشم ،والحركة ، متمثلة بحديثها ،ورائحتها ،وحركتها ، واوصاف جسمها .

وما مر تبين لنا أن شاعرنا يميل الى تصوير جمال المرأة بالنحافة ، فتارة هى هيفاء " ضامرة البطن والخاصرة " وتارة يجهل موضع خصرها من سقمه .

والوراق رقيق القلب ، شديد الاحساس ،فاذا ما صدحت الحمامة، هيجته فهديلها يذيب فؤاده ، فيطارحها شكواه ، كما تطارحه شكواها ، فيجيب صدحها بالانين ، فكلاهما يبكى متشوقا ، لكن شاعرنا يفوقها ببكائه وعبراته الفائضة وعهوده لاحبته لاتبلى كما لا يبلى طوق الحمامة مادامت حية فيصور ذلك قائلا : (٢)

---

(١) البيت فيه كلمة ساقطة ، هكذا ورد فى المخطوطة ، وارى ان كلمة " صوت " مناسبة كى يستقيم البيت .
وصدر البيت فى لمع السراج كالاتى : " فهدى يديَّ اليه خرس نطاقه " .

(٢) تشنيف السمع / ٨٤ ، الوافى بالوفيات ١ / ٢٢٢ وهو المصدر الاخير البيت الاول منسوبا لابن حنا ، وما يليه للوراق .

الا قاتل اللّهُ الحمامةَ إنّهـــا	أذابت فؤاد الصبّ لما تغنّـــتِ
أُطارِحُها شكوى الغرام وبثّـــهُ	فما صدحت إلا اجبتُ بأنّتــــي
كلانا بكى شوقاً ومعتبر الهـوى	يفضلنى عنها بفائض عبرتـــــي
وإنْ قيلَ لا يبلى على الدهر طوقُها	كذلك لا بتلى عهودُ أحبّتــــي

فى هذه الابيات امتداد وجدان شاعرنا الى الورقاء كما يقول حامـــد عبدالقادر فى كتابه " دراسات فى علم النفس الادبى "(١) فقد تصور الشاعر امتداد وجـدان الورقاء اليه ، وهذا يعود لخياله فى لحظات الابداع الخصبة ، فزعم ان الحمامة تشاركه وجدانه فتبكى لبكائه ، كما زعم ان الحمامة تبكى ايضا لاحبائها ، وهـو كذلك ، فيشعر بالحزن على فراق الأحبة .

ويؤكد شاعرنا وقع صوت الحمامة فى نفسه ، فهى تغنى مدامعه من كثــرة الهديل ، حتى غدا بكاؤه دما لنفاذ دمعه ، فخضب بنانه من كثرة مسحه وهو يؤكد مواثقه وعهوده فيقول : (٢)

أفنى حمام الواديين مدامعـي	حتى غدا بدمى خضيب بنانـي
ومواثق الأحباب فى أعناقيـــه	ثبتت خلاف مواثق الخــوّانِ

ولكن ما هو الرابط بين هديل الحمام والبكاء ؟

" ذكر ان بعض العرب يزعم فى الهديل : أن فرخا كان على عهد نـــوح عليه السلام فمات ضيعة وعطشا ، فيقولون أنه ليس من حمامة الا وهى تبكى عليـه فى هديلها ." (٣)

---

(١) دراسات فى علم النفس الادبى / ٦١ .

(٢) تشنيف السمع / ٨٤ .
لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٩٠ وفيه صدر البيت الاول كالاتـــى " ابكى حمام الواديين بادمعى " .

(٣) لسان العرب ١١/ ٦٩١ .

وتبدو لي أن هذه الاسطورة نسى أصلها بمرور الزمن ، وبقى الارتباط بين الهديل والبكاء والحزن ، ثم اصبح رمزا اسطوريا يحمل هذا المضمون عند الادباء.

ويبدو فيما مر من نسيب أن شخصية شاعرنا بارزة قوية لكنها مستسلمة للحبيبة ولا أجد العنف الذى عند بعض الشعراء الاخرين ، من اقتحام ديار الحبيبة للوصول اليها ، بل كثيرا ما اسبل العبرات عليها فصورته سلبية من هذه الناحية فهو يعيش على طيف الحبيبة الذى يبكيه بدموع غزار فيقول : (١)

وكنتُ على وعدٍ من الطّيفِ برهــةً ... فلما بدا لى بعد مَطْلٍ بَدَا لَــهُ
وأعرضَ إعراضَ الحبيبِ كأنني ... أرى ميلة فى طيفه وَملا لَــهُ
وولّى ، ودمعي خلفَهُ وهو لا يرى ... كما دَتِهِ فِي الحُبِّ لا لِي ولا لَــهُ

وشاعرنا هنا فى لحظة الهام لا تهويم ، فهو ذو حساسية مرهفة جدا فى حياته الوجدانية ، وتتجلى عبقريته وتنحصر فيما يسميها د . مصطفى سويف : " بالملاقة لديه بين الخيال والواقع ، بحيث يمكن ان يقال أن ميزة الشاعر الكبرى ايا كانت عبقريته هي عقدة الخيال " (٢) .

ولولا خيال شاعرنا الخصب ، لما وصل الى هذا الحد من الاستبطان ، بحيث اعطانا عن طريق خياله بعدا نفسيا عميقا كشاعر وكانسان .

ولميىنس شاعرنا ساعة فراق مرت به فى لحظات تخللها سكون ظاهرى تحته دوى عاصف من مشاعر العاشقين فقال : (٣)

---

(١) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣١٦ ، لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٦٤ .
(٢) الاسس النفسية للابداع الفنى / ٣١٩ .
(٣) تشنيف السمع / ٦٧ ، عصر سلاطين المماليك ٣٤٧/٨ .

لستُ أنسى ساعةَ البَيْنِ وقــدْ   وَجَمَ الشَائقُ مِنّا والمشــوقْ

ويتعثر شاعرنا بعد الفراق ، ولا يكاد يبصر الطريق لا متلاء عينيـه بالدموع فهو يبكى الرحل المسافر الذى يحمل قمره الذى دونه الاقمار فى اشراقه وهاهو ذا كلما عن له الموقف ، امتلأت عيناه بدموع كأنها جمان وعقيق ، فتصور ذلك قائلا :

وجرت بى بدموعى عاثــراً   لستُ أدري بعدهم أين الطّريقْ

وعلى الاكوار منهم قمــرٌ   ليسَ للأقمار إن لاحَ شــروقْ

كلّما أمَّ العقيقَ امتزجــت   أدمعي فهي جُمانٌ وعقيــقْ

ونجد لشاعرنا لحظة انفعالية أصيلة اخرى ، يرسم فيها بكلماته ، وقفـة وداع أخرى ، عانق دمع الحبيبة فيها دمعه ، وعندما سحبت نظراتها عنـه كانت السهام التى انتزعت من القلب فمزقته ، ويفعل البعد فيه ما يفعله فهو لـم يبق شيئا من الدمع لكثرة بكائه لرحيلها ، لذا فهو يزور ربعها الذى يثيـره وجدانيا وشعوريا ، فالربع عنده اقترن بالمحبوبة ، حتى أحس الربع هــو الحبيبة فيقول : (١)

ولمّا وقفنا للوداعِ عشيّــةً   تعانقَ حتى دَمْعُ عيني ودَمْعُها

رمتني بعينيها المراضِ وأعرضَتْ   فآلمني وَقْعُ السهامِ ونزعُهــا

فليتَ النوى أبقى لدمعي بقيّةً   ليبكي بها من بعد عَزّةَ رَبْعُهــا

حتى اذا وجد الحبيبة ، كف عن ارسال الدموع قائلا لها : (٢)

ولمّا رأتْ عيني سطــور   كِ عاوَدَتْ طيبَ الهجــوعِ

وغدَتْ مآقيها تقــو   لُ مع السلامةِ يا دموعــي

---

(١) صرف العين " مخطوط " لوحة / ١٠٤ ، سحر العيون " مخطوط " / ٢٥٣ / تشنيف السمع / ١١٣ .

(٢) تشنيف السمع / ١٠٥

وتبرق السماء ، ويهطل المطر ، فيرسل شاعرنا عبراته لتجدد ذكرى حبيبته التي رمز اليها باسم " ليلى " لان الحب مقترن بهذا الاسم ، فاصبحت ليلى هي الحب ، والحب هو ليلى ، فأمسى هذا الاسم رمزا يحمل دلالة عاطفية في الوجود الشعري ، ولنرى شاعرنا كيف يقول : (١)

أشاقَكَ برقٌ باتَ طَرْفُكَ شائِمُهْ   فأرسل دمعاً لا تغِبُّ غمائِمُهْ (٢)

وارقته هذه الذكريات ، وهو في حمى نجد ، حين هتفت به ورقاء ، فذكرته بأحبابه وايامه معهم ، وها هو ذا الان في نجد - وقد مر بنا انه زارها - فيسأل الديار والرسوم والاثافي قائلا :

أرِقْتَ وَغَدْرٌ أنْ تبيتَ مؤرقاً   وقد هتفتْ وُرْقُ الحِمى وحمائمه
بكينَ وَرَجَّعْنَ الحنينَ فَصَرَّحت   دموعك بالوجد الذي انت كاتمه
سل الدّارَ عن أقطارها ولربّما   سألتَ عن الشيء الذي أنت عالمه
لَقَدْ نَزَلوا نَجداً فَطالَكَ والهَكا   ودارس رسم لم تُجِبْكَ معالِمُه
ولم يخله صوبُ الحيا من بكائه   وسل أُقحواناً ضاحكته مباسِمُه
ودونك فاستنشق صباً مَسَّ ذيلَها   لواحظُ زهرٍ قد تنبّه نائِمُه

فأرى ان الديار واثافيها التي وصفها ، قد اصبحت في نظر شاعرنا رمزا للماضي المقدس ، ماضي الشعراء الذين تطارحوا هواهم في هذه الديار ، وتركوا لنا تراثا شعريا زاخرا ، وهذه الديار ، ديار الحب العذري ، مكان مقدس عنده ، فهو يترحم عليها ، وهو يتذكر احبابه الذين هم بأرض الكنانة مستسقيا السماء لهم . وطلب بالسقيا : تقليد معروف ، قد عالجها العديد من الشعراء في أشعارهم ، وليس بدعا ان ترد في شعر شاعرنا الذي يقول :

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٧٣ .

(٢) لاتغب : لاتنقطع . البيت فيه عيب عروضي ، وهو تغير الحركة بين المصراعين .

سقى الغيثُ أيامي هُناكَ فإنَّها ـ وَسَلْ زمني ـ أعيادُه ومواسِمُـــه
بِحُبِّ الهوى العذرى نام رقيبــه واخرس واشيه وأقصر لائمُــــه

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هو : هل يعتبر الوراق فى وقوفه علـــى الاطلال مقلدا للاقدمين ؟

لا أعتقد ان شاعرنا فى وقوفه على الاطلال مقلد للاقدمين ، بل وقوفـــه ونظرته لها ،وطوافه بها هو من باب تذكر الماضى الذى طوته عجلة الزمـــن فقد ولدت هذه الاطلال التى وقف بها من تداعى الافكار الكثير ،فهى ذكرتـه بمرابع الشعراء الاقدمين واماكن الحب العذرى ، لذا تقدست هذه الاطـــلال عنده ،لا لانها أماكن لذاتها ، بل لانها " مثير صناعى "كما يعبر عنهـــا " حامد عبدالقادر "(١) لعاطفة الوراق نحو هؤلاء الشعراء ، ومن هنا تحـرك شعوره ،وجاش وجدانه فقال :

قِفْ بي على الأطلالِ وقفةَ مُغْــرمٍ أطلالَ سلمى ثُمَّ حَيِّ وَسَلِّـــمِ

فالوقفة وقفة متذكر ، مغرم باطلال سلمى ، الممثلة للماضى المندرس ، وبين الحاضر الذى يحيى الديار .

قِفْ بي فعاند المدامع وقفـــة ووراءها ما استحدثته من دمِ

ومن هنا ندرك ان وقوفشاعرنا على الاطلال ، اعطاها ابعادا رمزيـــة فيها ثراء ، تحمل مدلول عصره الذى عاش فيه .

ومن خلال ما مر بنا من نسيب ، ندرك صورة الوراق فى نسيبه ، فهو قليـــل الصبر ،كثير الوله ، مفرط الحساسية ، لا يهتم لاقوال العذال ، بل يرتـــاح لعذلهم أحيانا .

---

(١) دراسات فى علم النفس الادبى /٥٦ .

ولكن أين صورة الحبيبة ، وهل للوراق حبيبة واحدة ؟

فى الواقع لا أجد للوراق حبيبة معينة هام بها ، بل هو رجل يتعشـــــق الجمال اينما حل ، فهو كالفراشة الطائرة ، المترنمة التى تنتقل من زهرة الــى زهرة ، وما المرأة عنده الا وسيلة امتاع وايناس ، اذ لانجد له حبيبة واحـــدة اقتصر فى غزله عليها ، وتغنى بها كبعض الشعراء السابقين ، بل هو يغرم بكــل مليحة ، فيرسم لها صورة بلغته الشعرية .

ولعل لطبيعة الحياة الاجتماعية فى عصره دورا فى هذا ، اذ عاش فى عصــر ماج بالفساد والتدنى الخلقى ، وضياع القيم الاصيلة ، وانتشار الجوارى وكثرتهم لذا لم يتخذ له واحدة يهيم بها ، فكل هيفاء عنده حبيبة ، وهو لا يحــــب الفتاة لانها هى هى ، بل لانها هى انثى جميلة يستمتع بها ، وهذا يعــــود لظروف مصر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى زمن المماليك وهذا التيــــار وان كان موجودا فى الماضى ، وقد عرف فى الاعصر العباسية المختلفة ، الا أنــه فى هذه الفترة اكثر سمة وشمولا .

أما نسيج عطه الشعرى فى النسيب ، فيتسم بالاصالة والصدق ، والتماســك الداخلى ، فضلا عن المشاعر الانسانية الجياشة .

وجل تشبيهاته مادية ، لانه عاش فى عصر ضعفت فيه القيم الروحية .

• • •

ـ الغزل بالمذكر :

عرف هذا الغزل في الشعر العربي لاول مرة عند شعراء بني العباس ، وقد كان من أسباب ظهوره الاتصال بالفرس ، وتأثر المجتمع العربي العباسي بعاداتهم وأفكارهم ، ومنها هذا الغزل الشاذ .

وكان الى جانب السبب الرئيسي المتقدم الذكر ، أسباب ثانوية ساعدت على تفشي هذه الآفة الاجتماعية ، ومن تلك الاسباب : ضعف مركز المرأة بسبب كثرة الجواري وايغال الطبقة العليا العباسية في الحضارة والترف مما دفعهم الى البحث عن متع جديدة .

ولعل هناك عاملين كبيرين لعبا دورا كبيرا في شيوع الشذوذ الجنسي وهما بعد الطبقة المترفة العباسية عن الخلق العربي الاصيل ، وضعف الوازع الديني الذي يحول بينهم وبين الانحراف ، فلم يعرف العرب الشذوذ الا بعد ان تخلوا عن اخلاقهم وقلدوا الاجانب ، وكذلك يستحيل على المسلم الملتزم ان ينحرف في سلوكه وهو يعلم أن القرآن الكريم نص على ان هذا الشذوذ فاحشة من الفواحش(١).

والعصر المملوكي ماهو الا امتداد للعصر العباسي ، لذا ظهر الغزل بالمذكر في البيئة المصرية بشكل بارز ، اذ قلما نجد شاعرا الا وله غزل بالمذكر .

وقد مر بنا في الحالة الاجتماعية ظاهرة شيوع الرقيق ، سواء من الغلمان او الغلاميات اللائي يؤتى بهن من تركيا وبلاد فارس ، والروم ، والقفقاس وغيرها ، سواء للخدمة او للمتعة ، فكان منهم السقاة ، والندمان ، والخدم وهؤلاء يتميزون بالجمال ، فهم بيض البشرة ، لذا يباعون في سوق النخاسة بأثمان عالية ، فهم خير تجارة رابحة .

---

(١) الشعر العراقي في القرن السادس الهجري / ٢٥٧ .

وقد صار هؤلاء الغلمان ، والغلاميات زينة قصور الرؤساء ، حتى وصل الامر بهم الى حكم الشعب ، وسيطرتهم عليه فيما بعد ، كما هو الحال بالنسبة للمماليك .

وقد شاعت بين هؤلاء الغلمان ، الازياء غير العربية ، كالزى الخراساني وهو القُرطق والقَباء ، وكلاهما على خلاف الثياب العربية الفضفاضية ، محبوك على الاجسام ، يرسم للعين التقاطيع ، فيظهر دقة الخصور ، ومن تحتها استرسال الاعطاف ، ووفرة الارداف ، وقد اشار شاعرنا الى احد هؤلاء الغلمان وهو من الترك بقوله : (١)

مَن التُركِ أهْيَفَ طاوي الحشـا ... يشدّ علىٰ قَدِّهِ بَنْـدَهُ (٢)
جفونٌ مراض ، ولا ودّه ... وخَصرٌ ضَعيفٌ ولا عهده
شكوتُ الذي بي الىٰ خصره ... وعندي من السُّقم ماعنده

فالغلام الساقى شبيه بالجارية فى الدل والتغنج والتأنث ، والتزيين والتزين ، فضلا عن الغلامية التى تكون اشبه بالغلام فى جميع امره ، لذا هام شاعرنا بهؤلاء الغلمان ، وتغزل بهم ، ولولا ضمائر التذكير فى قصائده ، لظننت انه يتغزل بفتاة ، فهو عنده لين الجوانب ، مختال بجماله ، لذا يحلو تقبيله ومص رضا به البارد الذى شبهه بالاقحوان الذى سقى بماء الغيث . كما يرتاح شاعرنا لجبينه المشرق وشعره الفاحم موازنا بين اشراق جبينه وسواد شعره أما قامته فيتمناها الغصن النضر ، ولننظر كيف يقول فيه : (٣)

---

(١) تاهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ٩١ .
(٢) البند : كلمة فارسية بمعنى : حزام الخصر ، المعجم الذهبى / ١٢١ .
(٣) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣١٢ ، تاهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ٦١ ، فوات الوفيات ٣/ ١٤٤ ، وهناك بعض الاختلافات فى المصدر الاخير عما عليه فى المصدرين الاولين وكالاتى :
فى البيت الثانى : " واه لصب " بدلا من " واها ".
دائرة معارف القرن العشرين ٥ / ٩١ .

١ . ما حلّ عزمي مثلُ عقدِ قُبائـه ... بدرٌ يعدّ البدرُ من رقبائـه
٢ . مرحُ المعاطفِ تائهٌ بجمالـه ... واهاً لصبّ والهٍ في تائـه
٣ . يحلو مقبله وبردُ رضابـه ... "كالاقحوان غداة غِبّ سمائه" (١)
٤ . في شعره وجبينه لي موقف الـ ... ميزان بين ظلامه وضيائـه
٥ . يتشبّه الغصنُ النضير بقدّه ... ياغصنُ حسْبُكَ لست من نظرائه

كما نجد شاعرنا يتغزل بغلام آخر ، يصفه بالمحبوب ، لذا فهو سقيم بسبب احتجابه عنه ، يئن انين الثكلى للقاء طيفه ، فهو يقسم بخده المحمر قائلا : (٢)

١ . لا تحجب الطرفَ إنّي عنه محجوبُ ... لم يبقَ منّي لفرطِ السُّقم مطلوبُ
٢ . ولا تثق بأنيني إنّ موعـده ... بأنْ أعيش للقيا الطيف مكذوبُ
٣ . هذا وخدُّك مخضوبٌ يُشاكلُـه ... دمعٌ يفيضُ على خدّي مخضوبُ

ومحبوب شاعرنا يفوق الورد بجماله ونضرته ، كما ان رائحته فاقت نشر الرياحين المزهرة ، أما الغصن ففيه شيء من خلقه ، لذا فهو يخاطب محبوبه بقسوة القلب كي يعاندوه ، وهومشتاق الى جسمه الرقيق الذى يشربه شاعرنا بمقلتيه قائلا :

---

(١) عجز البيت مضمن من قول النابغة الذبياني :
كالاقحوان غداة غبّ سمائه ... جفّت أعاليه وأسفلُه نَدِي
ديوان النابغة الذبياني /٣٧ .
البيت الرابع في فوات الوفيات "لي موقف الحيران" بدلا من "الميزان".
البيت الخامس "حسبك من نظرائه" بدلا من "حسبك انت من نظرائه".
(٢) الكوكب الثاقب "مخطوط" لوحة /٢١٢ ، المنهل الصافي "مخطوط" ٦ / الورقة ١٤٨ ظهر. النجوم الزاهرة ٨٣/٨
وفي المصدر الاخير فيه البيت الاول "لا تحجب الطيف" بدلا من "لا تحجب الطرف".

٤ • وليسَ لِلْوردِ في التشبيه رتبتـــه ‏ ‏ ‏ وإنَّما ذاكَ مِنْ مَعْناهُ تَقريـــبُ

٥ • وما عِذارُكَ ريحانٌ كما زَعَمــوا ‏ ‏ ‏ فاتَ الرَّيا حين ذاك الحُسنُ والطيبُ

٦ • تأوَّدَ الغُصْنُ مُهْتزاً فانبأنـــا ‏ ‏ ‏ ان الذى فيك خلقاً فيه مكســوبُ

٧ • ياقاسِيَ القَلْبِ قَدْ أغراهُ رِقَتُـــهُ ‏ ‏ ‏ جسمٌ من الماء بالألحاظِ مشـروبُ

٨ • أرحتَ سمعي وفي جَنْبيكَ منْ عَذَلي ‏ ‏ ‏ إذْ أنتَ حتّى إلى العُذّالِ مَحْبوبُ

ومر بشاعرنا غلام جميل ، فأثخن قلبه جراحا ، حتى تصور انه فى حرب من حروب الهوى معه ، فاستسلم له لحظتئذ قائلا : (١)

١ • يالحظةً أثخنَتْ قلبي جــراحْ ‏ ‏ ‏ كانَ قتلي لَكَ أمراً مبـــاحْ

٢ • يامهجة العُشّاقِ ماذا جنَتْ ‏ ‏ ‏ عليك فى الحُبِّ عيونُ المِــلاحْ

٣ • ما حالُ عانٍ ، وجْدُهُ حاضِــرٌ ‏ ‏ ‏ مريضُ شَوقٍ غابَ عنهُ الصَّبــاحْ

٤ • غرّتك من أجفانه فتــــرةٌ ‏ ‏ ‏ وكيف تَغترُّ بلين الصفـــاحْ

٥ • أما على الألحاظِ فى قَتْلِنـــا ‏ ‏ ‏ من حرجٍ أو قَوَدٍ أو جُنــاحْ(٢)

ويعتلج الشوق فى قلبه فيبلغ ملغا يعجز عن وصفه لكثرة شوقه الـذى يميته ثم يحييه ، فشاعرنا يكتم وجده ، لكن دموعه تفضحه ، فهو يسهر ليلـه هائما فى ظبى اسمه عيسى ، وقد صرح باسمه بطريقة فنية فى بيته الاخير فقال فيه : (٣)

فى المنهل الصافى البيت الرابع كالاتى : " ياقاسى القلب قد اعداه رقته " بدلا من اغراه ، وكذا فى النجوم الزاهرة .

(١) الكوكب الثاقب ، "مخطوط" لوحة / ٣١٥ ، تاهيل الغريب "مخطوط" لوحة / ٥٥ هناك بيت فى تاهيل الغريب ياتى بعد البيت الاولى ، لكنه غير واضح فى المخطوطة .
صفحات من الادب المصرى / ٧٨ . وفيه البيت الخامس غير موجود .

(٢) القَوَد : القصاص
جُناح : الإثم .

(٣) تأهيل الغريب "مخطوط" لوحة / ١٣٨

عندي مِنَ الشّوقِ مالا أستطيعُ لَهُ وَصْفاً ولم أَستَطِع حَصْراً فأحصرهُ
يُميتُني ثم يُحييني ، فأكتمـــهُ تجري دموعي على خَدّي فيظهرهُ
سَلْ إنْ شككْتَ نجومَ الليلِ عَنْ خَبري تُخبِرْكَ أنّي لطولِ الليلِ أسْهَرُهُ
يالائمي في هوى الظبي الأغنّ عسى تطويلُ لومِكَ لي فيه يُقصـــرهُ
واجمع أوائلَ أبياتي فإنَّ بهـــا اسم الذي طابَ في سَمعي تكررهُ

وهكذا يبدو لنا من خلال ما مر بنا من غزل أن غزل شاعرنا بالمذكر هـو نفس غزله بالمرأة من حيث المعاني ، فالتشبيه لديه واحد ، اذ يكثر من تشبيه القد بالغصن النضير ، والجمال بالشمس والقمر ، والحمرة بالورد ، والعيون بعيون الظباء والرائحة بنشر الرياحين ، وهي تشبيهات جلها من الموروث التراثي للادب .

وعلى هذا يكون الغلام قد اخذ من قلب شاعرنا نفس المأخذ الذى أخذته الفتاة .

كما نلمس ونحن نقرأ ، الصدق العاطفي نحو الغلام ، كما هو الحال بالنسبة للمرأة فهل ياترى غزله بالمذكر هو تقليد فني أتهمه شاعرنا ، أو انه يصبو فعلا الى الغلام لينال منه ؟

من خلال تأملي في غزله بالمذكر ألمس ميلا حقيقيا للغلام ، فلو كان مجرد تقليد ، لتغزل به في بيت او بيتين في القصيدة واكتفى ، لكننا نلاحظ ان غزله بالمذكر يستغرق ابيات القصيدة كلها ، وهذا يعكس حالته النفسية في ميله الحقيقي ، ولنستمع الى هذه القصيدة لنرى كيف يشمل غزله فيهما كل الابيات اذ يقول : (١)

---

(١) تاهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ١٣٧ ، حلبة الكميت / ١٥٠ .

نفى النومَ عنّي صَدُّهُ ونِفــــارُهُ ... وقامَ بِعُذري في هَواهُ عِــذارُهُ
هَضيمُ الحَشا لا يستقرُّ وشاحُهُ ... عليه ، وقلبي لا يقرُّ قـــــرارُهُ
أعارفؤادي من توقـد ونـاره ... وما خِلتُهُ أن يُستعار استعـارُهُ
ومن عَجَبِ الأشياء نصرة جفنـه ... عليَّ ولا يخفى عليَّ انكســـارُهُ
أَهيمُ إلى خَمْرِ الرُّضابِ بِثَغْــرِهِ ... وليسَ نَصيبي منه إلا خمـــارُهُ
ولا عَجَبٌ مِنْ إلفِ قلبي وقلبــهِ ... وفي خَدِّهِ ماءُ الشَّبابِ ونـــارُهُ
ولم أَنْسَ إِذْ حَيّا بها فَوقَ معصمٍ ... تخافُ عليه من شُعاعٍ سِـوارُهُ
جرى من زلالِ الماء فيه لجينُـهُ ... وذابَ كلونِ الخَدِّ منه نضـــارُهُ (١)
ولم ادر دون الشرب ماكان سكرى ... امقتله ام ريقه أم عقـــــاره

اذن هو يرغب في وصال الغلام لينال منه غرضه ، ولعل الابيات الاتية اكثرا تأكيدا لما اقوله ، وهي : (٢)

يجني وأجني شقيق وجنتـــــه ... والحُسْنُ عنّي وعَنْهُ يعتــذرُ
ونامَ عنّا الرَّقيبُ ، واعتذر الــ ... ... مانِلُ مِنّا ، وساعدَ القَـــدَرُ

وهو يفضل الغلام على المرأة في اشباع نزوته لانه لا يطمث ، ولا يحمـــل فيقول : (٣)

يرى لبسَ القميصِ عليه عيبـــاً ... ولبسَ الطيلسانِ مِنَ الآثـــامِ (٤)
فهذا النعتُ نعتي فتـــاةً ... أشبهها لجهلي بالغُـــلامِ (٥)

---

(١) عجز البيت في حلبة الكميت كالاتي : " وذابَ كلونِ الخَدِّ منها نُضارُهُ " .
(٢) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٨٠ .
(٣) بهجة السرور " مخطوط " لوحة / ١٠٩
(٤) ،(٥) البيتان لابي نواس ، وقد ضمنهما شاعرنا في شعره ، ديوان ابي نواس / ٧٠٢ .

أتجعلُ من تلمسُ كل شهـــر وتنتجُ طفلةً فى كلِّ عــــام
كأمردَ واضح الخدّين حلـــوٍ يزينُكَ في البحوثِ وفى المقـام
تُكلمهُ بما تهوى جهـــــاراً بلا عذلٍ عليكَ ولا مـــلام

نخلص من هذا الى أن الوراق انسان يتسم بالشذوذ الجنسى ، وللمزيد من الادلة ، فلنقرأ أبياته آلتى يخاطب بها ابا الحسين الجزار الذى يشاركه هو الآخر فى هذه الظاهرة المرضية ، فيقول له : (١)

وغدا العذار هناك أحسن طرزها واليك فى ذا ترجع اللـــواط

فيجيبه الجوار قائلا :

أفرطتَ في التشنيع منكَ على امرىء من شأنهِ فى مدحِكَ الإفـــراطُ
وجعلتهُ ممن يميلُ إلى اللحـــى ويهيجهنَّ ، وما كذا اللُّــــواطُ

ولعل هذا الكلام مقنع ، ولكن لنصغى معا الى هذه القصة التى سيحدثنا بها " ابن فضل الله العمرى " فى كتابه " مسالك الابصار " فيقول (٢) : حُكـــى أن السراج الوراق ، وابا الحسين الجزّار خرجا فى عهد صباهما ، والشّبـــابُ أعقدُ حباهما ، يريدان النزهة ، فوجدا غلاماً زامراً يَتَمنّى منه اللقاء ، ويجتمـــع فيه الغُصْنُ والورقاء ، يتلفت بصفحة القمر المنير ، ويطرب كـأنما زمره ما أُوتـــى آل داود المزامير فلفتاهُ إليهما لأمر ، وظنّا أنه ستلينه لهما الخمر ، فأتيا بـــه دير شعران وصعدا اليه ، فوجدا راهباً يصدعُ حسنهُ الفؤاد ، ويطلع قمرهُ ، ولا شىء أحسنُ منه فى ذلك السواد ، فزاد سرورهما بحصول الزامر والراهـــب ، وأيقنا ببلوغ المآرب ، فلما حميت منهما سَوْرة الحُميّا ، وظنّ كُلٌّ منهما أنه قـــد حَصَلَ له فراشه ، وتَهيّا ، فطن الزامرُ والراهبُ مُرادهما ، فتركاهما وقضيا قبـــل

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٣١ .

(٢) مسالك الابصار / ٣٦٧ ، الغيث المسجم ١ / ٢٨٦ ، عصر سلاطيـــن المماليك ٨ / ٢١٨ .

التمام ، وتركاهما وكل واحد منهما يشكو ضجيعاً لا ينام ، فقال الوراق :

فى فخذنا لم يقع الطائـــر　　لا راهبُ الدّير ولا الزامـــرُ

فقال الجزّار :

فسمدنا ليس لـــه أوّلُ　　ونحسُنا ليس له آخـــرُ

فقال الوراق :

فالقلبُ فى إثرهما هائـــم

فقال الجزار :

والقلبُ من أجلهما حائـــرُ

وهناك من الابيات مالا استطيع التصريح بها ، يصف هذه الظواهر ، يمنعنى من ذلك أمانة القلم ، وحرمة البحث ، وقدسية الكلمة . واذا اريد المزيـــد فيرجى الرجوع الى " لمع السراج " فى اللوحات التالية : " ٢٦٥ ، ٢٨٨ ، ٣١٦ ، ٣٦٣ ، ٤١٣ " .

ومن هنا نقرر شذوذ شاعرنا نحو الجنسية المثلية كما يسميها علماء النفـس، ولكن يجب ان نعرف الدافع الى هذا الشذوذ ، على الرغم من وجود الغوانـــى والاماء ؟ .

وهل كان شذوذه طبيعيا ، او كان شذوذا مكتسبا ؟

وهل كان اندفاعه اليه نتيجة التواء فى طبيعة تكوينه ، أو ولدته ظروف نشأته، ومناسبات بيئته ، واحداث حياته . ؟

وهنا سنعرض هذه الظاهرة المرضية على علماء النفس لنرى اجابتهم .

يقولون : هناك ثلاث انواع من الشذوذ الجنسى :

منها مايسببه التكوين الجسمانى الخاص بالفرد ، ونوع نتيجة عوامل نفسانية ، ونوع نتيجة ظروف اجتماعية .

فالاول : وهو نتيجة مرض طبيعى ، اوعاهة طبيعية لا ذنب للفـــرد فيها ، فهو كمن يولد اعمى ، فالشذوذ الجنسى الذى ينجم عن اضطراب طبيعى فى الجسم خليق بان يحملنا على الرثاء للفرد المصاب ، والاسف عليه ، فهـــو نتيجة لاضطراب فى الافرازات الهرمونية ، زيادة جانب ونقصان جانب آخـر ، وقد توصل العلم الحديث الى علاج الالتواء الطبيعى بالتغذية الهرمونيـــة ، ووسائل أخرى . (١)

والنوع الثانى : ينشأ عن عوامل نفسانية ، أهمها تربية خاطئة فى الصغـر تجره الى السلوك الشاذ ، اذ كونت فيه عقدة نفسانية صعبة ضد مواصلـــة النساء ، ولو لقى تربية سديدة حكيمة لما انساق فى هذا الطريق الملتوى ، منهما : اسراف الام فى تدليل طفلها ، واغراقه فى الحنان الكاذب ، وكثيرا ما تنشئــه تنشئة البنت ، فحين يشب المسكين ، يشب ضعيفا ، عظيم الميوعة ، فيسقــط فريسة سهلة للغاصبين من الرجال .

وفى احوال اخرى تمنعه أمه من مصاحبة النساء لغيرتها عليه ، واباؤهـــا أن تتودد اليه انثى غيرها ، فيظل شديد الهيبة للجنس الاخر ، ينفر مــــن الاناث ، ولا يجد راحته وامنه الا فى مصاحبة الرجال .

ومن الغريب ان الشذوذ قد ينشأ عن العكس ، اذا اهملت الام ولدهـــا وذلك لافراطها فى حب زوجها ، او لانها ارملت فتزوجت غير ابيه ، فتكون سبب نفوره من جميع النساء .

وفى كل هذه الاحوال يتعلق الطفل بأمه تعلقا شديدا ، وحين يشب يعجز عن التخلص من هذه العلاقة ، والاستواء على قدميه والاستقلال بشخصيته واستكمال

---

(١) الصحة النفسية / ٥١٩ ، علم نفس الشواذ / ٢ ، الموسوعة المختصرة فى علم النفس والطب العقلى / ٢٣٦ .

رجولته ، ويبقى طول حياته يحن الى الام ، ويتوق الى حمايتها ، فتكرهه هذه العقدة فى سائر النساء ، وتعجزه عن مواصلتهن بالمواصلة الطبيعية بين الرجل والمرأة .

والنوع الثالث : العوامل الاجتماعية ، ماينشأ عن انحلال حضارة من الحضارات الانسانية ، فحين تصل حضارة ما الى طور نضجها ثم تبدأ فى الانحلال ، نجد المجتمع يصاب بآفات خلقية كثيرة ، منها انتشار الانحراف الجنسى ، وأسباب ذلك متعددة ، منها اضطراب المقاييس الخلقية ، وانتشار الشك ، والاستهانة بالتقاليد الموضوعة ، والقيم الصحيحة ، حتى لا يميز الكثيرون بين صحيحها وزائفها ، فيتحدونها جميعا ، ووصول الترف والتنعم الى أقصاه بسبب الغنى الواسع ، وهدوء احوال الدولة وزوال اخطارها ، فيلجأ بعض المترفين الى تجربة انواع جديدة من اللهو ، واستكشاف فنون مختلفة من اللذة . (١)

فياترى من اى نوع من انواع الشذوذ الثلاثة شذوذ الوراق ؟

فى اعتقادى ان شذوذ شاعرنا يعود للعوامل الاجتماعية ، وذلك للانحلال الذى اصاب مصر فى هذه الفترة ، اذ تباينت الاجناس وكثر الغلمان والغوانى والاماء وشاع الخمر والمجون والزنا والحشيش وغيرها من الاغراض التى تساعد على انتشار هذا المرض الخطير ، وظهور مايسمى بالعاهر الذكر ، فهذه كلها كانت جراثيم تنخر فى جسم الشعب المصرى ، فانقلاب القيم الصحيحة دعا احد ملوك مصر من المماليك الى استحصال ضرائب على البغاء ، وهذا يعنى أن العفونة وصلت حتى الرأس . والحقيقة ان رؤوس جل هؤلاء المماليك عفنة

---

(١) نفسية ابى نؤاس / ٦٤ ، الصحة النفسية / ٥٢٠ الحان الحان / ٢٧٠ ، علم نفس الشواذ / ٤ .

لاتهمها الا شهواتها ، والناس على دين ملوكهم .

فضعف الالتزام بالمثل التى نص عليها القرآن الكريم ، وأكدها الرسول العظيم قولا وعملا ادى الى حلول قيم فاسدة فى المجتمع او صلته بعض مشارف الانحلال .

ومن هنا سرى هذا الداء عند الكثيرين من الادباء ، وهذا الموضوع على ما أرى يستحق ان يفرد له بحث خاص لدراسته .

ناهيك باختلال توازن المجتمع نتيجة اصابته بهزات نفسية كثيرة نتيجة لانتشار الامراض وشيوع الفقر ، وكثرة المجاعات التى اضطر الناس أن يأكلوا بسببها حتى الكلاب والقطط .

ومن هنا يتضح أن لبيئة شاعرنا دورا بارزا فى ترديه الى هذا الدرك على الرغم من كونه متزوجا ، فضلا عن توفر الجوارى ، فهو على ما ارى شخصية ازدواجية شبقة .

• • •

- فن الرثاء :

الرثاء فن شعرى فيه تعبير عن خلجات قلب ، وفيه لوعة صادقة ، وحسرات حرى فهو من الموضوعات القريبة الى النفس ، لان الرثاء الصادق تعبير مباشر قلما تشوبه الصنعة او التكلف.

والذى يمعن النظر فى شعر الوراق يقف منه على اوصاف وتعبيرات للرثاء تختلف من حيث الاسلوب باختلاف المرثى ، فاذا كان الميت اميرا بكت عليه السيوف واستوحشته ظهور الخيل ، وانقطعت الرغائب بموته ، واذا كان المرثى من حملة الاقلام بكته المحابر والقماطر ، وان كان شاعرا بكته القوافى ، وان كانت المرثية امرأة ، فهى البدر الغصون الحبيبة الطاهرة .

ومن نماذج رثائه مرثيته لصديقه وخليله الشاعر "ابى الحسين الجزار "(1) فشاعرنا فى رثائه له يراوح فى تشكيل صورته الموسعة ، صورة الحزن

---

(١) هو الشاعر جمال الدين يحيى بن عبد العظيم ، ولد سنة "٦٠١ هـ" ، وقد جمع فى حياته الى جانب الادب مهنة الجزارة ، فعمل جزارا فى القاهرة ، لذا سمى بالجزار . وهو احد فحول الشعراء زمانه عاش فقير الحال ، وطال الى التكسب بشعره . توفى سنة " ٦٧٢ هـ " وقيل سنة " ٦٧٩ هـ " ودفن بالقرافة . ترك ديوان شعر اسمه " تقطيف الجزار " ومنه نسخه بخط الصفدى كتبت سنة " ٧٤٧ هـ " فى خزانة ايا صوفيا بتركيا ، منها نسخة مصورة على مكروفيلم فى خزانة معهد مخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة بعنوان " منتخب شعر الجزار " للصفدى برقم " ٨١٤ " أدب .
البداية والنهاية ٢٩٣/١٣ ، ذيل مرآة الزمان ٦١/٤ ، جوهر الكنز/ ٤٤٩ ، النجوم الزاهرة ٣٤٥/٧ ، مطالع البدور ٢٥/١ ، انوار الربيع ٢١٣/١ ، نصرة الثائر / ٢٤١ ، كشف اللثام / ٥٨ ، شذرات الذهب ٣٦٤/٥ ، الفن ومذاهبه فى الشعر العربى / ٥٠٤ ، الادب فى العصر المملوكى ١٣٥/٢ ، الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الايوبى والمملوكى الاول / ٢٨٦ ، قصة الادب فى مصر ٤٩/٢ ، مجلة العربى العدد ١٤٩/ ٧٣ .

بين جيشان حركته النفسية المروعة فى الداخل حين ينقلها بما يشبه الصراخ فيقول : (١)

أمانتنا لهذا يا فلان | تأمّل ليس كالخبر العيانُ
امانى بالنفوس لها خداعٌ | وليس من الحتوف لها امانُ
ومن بعد الحراك لها سكون | وصمتٌ بعد ما سَرَحَ اللّسانُ

وبعد أن رسم صورة للحياة ، ذاكرا انها فانية مهما جد الانسان وعمل ، ينتقل الى أسلوب اقرب الى الحكمة والتعقل ، يتحدث فيه عن حقيقة الانسان الذى سيصير الى الفناء فيقول :

أيا مَنْ جَدَّ للآمال رَكْضاً | تأنّ ففى يد الأجل العِنانُ
تروقُكَ زهرة الدنيا ومنها | جنىٰ ثمر الردى إنسٌ وجانُ
ويُخدعُ لا ميّ منها بلمس | أبوْ مَنْ أن يمسَّ الأفعوانُ
فحاذر مكرها او لا تحاذر | فما يبقىٰ الشّجاعُ ولا الجبانُ (٢)
لقد وعظَ الزمانُ لو اتعظنا | وبالغَ فى نصائحه الزّمانُ (٣)
ونحنُ على اغترار من هوانا | وليسَ مع الهوىٰ إلاّ هوانُ (٤)
بلغتَ أبا الحسين مدىً إليه | لمستبقٍ ومسبوقٍ رهانُ
وكُنتَ وطالما قَدْ كُنتَ أيضاً | تقول عن الأُلىٰ سبقوا فكانوا
أقولُ لمن نَماكَ ولا امتناع | لأحزانى عليك ولا امتنانُ

وليس شاعرنا وحده يبكيه ، بل تشاركه البكاء البكر والعوان من القوافى ،

---

(١) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣١١ ، لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٩٤ ، ذيل مرآة الزمان / ٧٦ ، الغيث المسجم ٢ / ٤١٧ ، الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٥٢ .

(٢) ، (٣) ، (٤) : هذه الابيات الثلاثة ناقصة من القصيدة فى المصادر المذكورة خلا ذيل مرآة الزمان .

فيخاطبه بتعزية القوافي التى شقت جيوبها عند معانيه المتدفقة وبيانه ، فهذه القوافى هى الاخرى تشارك المصاب ، فلها مواط ء ، حزن بعد حزن عليه فيقول :

أُلا عزّ القوافيِ اليومَ عَمّن ... بكتْهُ البكرُ منْها والعَوانُ (١)
وَشقّتْ عندَ مَعناهُ جيوبٌ ... عليه ، والبيانُ لها بنانُ
لها إِيطاءُ حُزْنٍ بعْدَ حُزْنٍ ... وإِكفاءٌ لدمعٍ ، لا يُصانُ (٢)
وإِقواءٌ برفعٍ فوقَ نَعْشٍ ... وخفضٌ في اللحودِ لَهُ مكانُ (٣)

ولم يكتف باشراك القوافى ، بل اضاف اليها نصيب النحو ، ونياحة البلاغة ، ولو اخرجت كل بحور الشعر دررها رثاء للجزار لوفته حقه فيقول :

وناحَ النَّحْوُ بعدكَ والمعانى ... لها معْ كل ناحيةٍ حَنَانُ
فلابَدَلٌ بِحلٍّ عنك يُرجى ... ولا عطفٌ لمن غدروا وخانوا
فلا تحتج الىَ تمييز حالِ ... لنا حفظتْ فقد سَخُنَ الزمانُ
ولو نَزَفَتْ بحورُ الشّعرِ دَمْعاً ... وكانَ علىّ الخليلِ لها ضَمانُ
لما وفّتهُ لا واللهِ حقّاً ... ولو بسلوكها نظمُ الجُمانُ (٤)
كفاها ذوقه التقطيع فيما ... يُجوّزهُ ويأباهُ الوزانُ

---

(١) العوان : النّصفُ فى سِنّها من كل شيء .
(٢) الإيطاء : مصطلح عروضى وهو ان تتكرر القافية فى قصيدة واحدة بمعنى واحد قبل سبعة ابيات كالرجل ، ورجل ، وهذا من عيوب الشعر .
الإكفاء : مصطلح عروضى ، وهو اختلاف حرف الروى فى قصيدة واحدة ، واكثر مايقع ذلك فى الحروف المتقاربة المخارج ، وهو ايضا من عيوب الشعر .
(٣) الإقواء : مصطلح عروضى ، وهو اختلاف حركة الروى فى قصية واحدة ، وهو ان يجيء بيت مرفوعا واخر مجرورا ، وهذا من عيوب الشعر .
الكافى فى العروض والقوافى / ١٦٠ .
(٤) الشطر الاول فى ذيل مرآة الزمان كالاتى : " لما أدّت ولا وأبيه حقاً " .

ولجَّ سالكاً في كل بحـــر عزائمه جواهره الحســـان

ولكن اليوم ، وما ادراك ما اليوم ، انه يوم حزن فريد ، لان الموت طـوى الجزار ، فأسف عليه شاعرنا كما اسف عليه علم البديع الذى كان يجول بكل فنونه فيقول :

فَنَالَتْ مِنهُ فاصلةُ الرَّزايــا ودائِرةُ الحِمامِ ولا امتنــانُ
فيا أسَفَ البديعِ على بديـعٍ لكُلٍّ فنونه منهُ افتنـــانُ

وكيف لا يأسف البديع على اديب نحرير ، اذا التفت استطال على جرير شاعر العصر الاموى ، ويخرس بشاعريته وفصاحته الفرزدق ، وهو لا يقاس به سحبان وائل فصيح العرب المشهور ، ودونه فى الفصاحة والطلاقة خطيب العرب المعروف قس بن ساعدة الايادى ، ولو رآه هرم بن سنان لسلا زهير بن ابى سلمى ، فالجزار كانت تموج به المحافل عكاظ ، وتنصت له الملوك فيقول :

إذا التفتَ استطالَ على جريـر وأُخرِسَ من فرزدقِهِ اللسانُ
فلا تَقِسا به سحبان يومــاً ولا قساً إذا ذُكِر البيــانُ
ولو هَرِمٌ رآهُ سلا زهيــراً وكان له عليه ثَمَّ شـــانُ
وكم عادَتْ مَحافِلنا عكاظــاً به وله بها ذاك الجنــانُ (١)
فأدْنَتْهُ الملوك فكانَ منهـــا بحيثُ السَّمع ينصت والعيانُ (٢)
وأسْنَتْ من جوائزِهِ فلـــولا غناه غدا نداه يستعـــانُ (٣)

والجزار له ثقة بربه ، فهو كريم ، مدح رسول الله " عليه الصلاة والســلام " بشعره ، فسيكون مكانه الجنة لمدحه خير الورى فيقول :

له بالله خالقه وثـــوقٌ يعزُّ به ودرهمهُ يهـــانُ (٤)
وفى خير الورى أبياتُ مـدحٍ جوائزه عليهنَّ الجنـــانُ (٥)
وكل بديعة الألفاظ تعــزى لحسّان بدائعها الحِســانُ (٦)

---

(١) - (٦) هذه الابيات زائدة فى مرآة الزمان عنها فى المصادر الأخرى .

ثم يعود شاعرنا الى ماضيه ، فيتخيل أيام لهوه معه ، ومجونه واياه ، اما صاحبه الان فهو بين يدى الرحمن ، فيخاطبه بأسلوب مناجاة لطيف طالبا منه أن تكون ثقته بربه عالية ، وظنه بالله حسنا ، لان عفو الله اكبر من كل الذنوب التى اقترفوها ، كما ان لهم على الرسول الكريم الشفاعة لمد حهما اياه ، فهو يوجه كلامه لنفسه ولصديقه المرثى فيقول :

جَمالَ الدين أنتَ جميلُ ظَنٍّ بربِّكَ جَلَّ دَيَّاناً يُـدانُ
وعفو اللّهِ أكبرُ من ذنوبٍ لنا وعلى الشَّفيعِ لنا ضَمانُ

لعل روح العصر تتجلى فى طريقة رثائه بهذه الطريقة التى ربما احسسنا بغرابتها وهى لا تخلو من التكلف ، ومع هذا فالشاعر صادقة فى هذه المرثية .

وله رثاء لابن أبى الاصبع الذى مر ذكره علينا ، اذ كانت تربطه به صلة قوية ، فاذا ما وافاه الاجل المحتوم يحار شاعرنا فى قوله ، ولا يعلم ماذا سيقول فى رثاء ملك النحاة ، وسيد الشعراء ، فقد استنزف الشعراء معانى الرثاء لكثرة الراثين له ، وها هو ذا شاعرنا يسهم بقلمه فى رثائه بمرارة فيقول : (١)

ماذا أقول وقد أتيتكَ راثيـاً ملك النُّحاة وسيِّد الشُّعراءِ
نرثيك بالدر النظيم فهـذه للدال قافيةٌ ، وتلك لـراءِ

ثم يخاطبه شاعرنا واصفا اياه بالفضل والمحاسن ، والشهرة الذائعة ، وها هو ذا قد غادر حبيبه الوراق ، غادره صبا يستعذب ماء بكائه حزنا عليه ، داعيا له بالرحمة وسقيا السماء ، فهو قد أقام بموته قيامة الشعراء فيخاطبه قائلا :

---

(١) معاهد التنصيص ٤/١٨١ .

يا مَنْ طوى بفضائلٍ وفواضـــلٍ ذكرينِ للطائيِ بعدَ الطائيِ (١)

غادرتني وأنا الحبيبُ مـــودةً "صباً قد استعذبتُ ماءَ بكائي" (٢)

فسقاكَ فضلُ اللّهِ فيضَ عطائـهِ فلقد أقمت قيامةَ الشّعـــراءِ

والابيات فيها عاطفة الحزن واضحة ، ومرارة الفقد لا تخفى على المتأمـــــل فهي تصور مشاعره تجاه الفقيد ، فاذا ما صورت الابيات احاسيس الشاعر تجـــاه الميت تراءى لنا صدقه فيها .

كما أن لشاعرنا مرثية اخرى رثى فيها الشاطبي الذى مر ذكره في حياتـه ، ولم أجد منها سوى بضعة أبيات ، والتى من خلالها نرى تعبير شاعرنا فيهـــــا عن مشاعره تجاه الشاطبي الذى يترحم عليه ، داعيا له بسقيا السماء ، فيقول :(٣)

سقى أرضاً بها قبرُ الرّضِـــيّ حَيا الوسميّ يردفُ بالولـــيّ

فقد تركَ الغريبَ غريبُ دارٍ وأذكَرهُ لفقد الأصمعـــــي

وفي البيت الثاني اشارة الى أنه مات غريبا ، ويعني غربته عن بلاده الاندلس بعد أن تركها مهاجرا الى مصر .

وعرض الشاطبي تمرض اللغة العربية ، وتبكيه كتبها فيقول :

ولمّا اعتلَّ قالوا اعتَلَّ أيضـــاً لشكواهُ صِحاحُ الجوهـــري

وجاري كلّ عينٍ قد بكتـــــهُ كتابُ العينِ بالدمعِ السّدَوي

لشيخ السبع أبين مــــا رواه وصال كصولةِ السّبعِ الجــريّ

فحزن الشاطبية ليس يخفى من العُنوانِ عن فهم الغبـــيِ

وفي علم الحديث له اجتهادٌ به يعلو اجتهادَ البيهقــــي (٤)

وفي الانساب لا يخفى عليــه دعاءٌ من صحيح أو دَعـــيّ

لو أدركَ عصرهُ الكلبيّ ولّـى وهرولَ خوفَ ليثٍ هزبـــري

---

(١) يقصد بالطائيين " أبا تمام ، والبحترى " ظهر الاسلام ١/١٧٧ .

(٢) عجز هذا البيت قد ضمنه شاعرنا وهو لأبي تمام وهو كالاتي :

لا تسقني ماءَ الملام فإنني صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بُكائي

ديوان ابي تمام بشرح التبريزي ١/٢٢ .

(٣) حدائق الحدائق الازهار "مخطوط" الورقة/ ١٦ ، روضات الجنات ٣/ ٣٤٨ .

(٤) في روضات الجنات عجز البيت كالاتي : " به يتلو اجتهاد البيهقي "

والواقع انى أرى أن رثاءه يتسم بكثرة بكاء الكتب على المرثى اكثر من بكاء شاعرنا عليه ، وعاطفة الحزن فاترة ، ولعل هذا يعود الى تفكك القصيدة واختيار بعض أبيات منها ، فبدت مفككة بهذا الشكل .

ومن الذين رثاهم شاعرنا الملك المعز ايبك التركمانى ، الذى يقيم عليه الوراق مأتما بعد مأتم ، ويسفح دمه عليه بدلا من دمعه فيقول : (١)

نقيمُ عليه مأتماً بعد مأتـــم	ونَسْفَحُ دمعاً دونَ سفحِ المُقطَم
ولو أننا نبكي على قَدْرِ فقده	لدمنا عليه نتبعُ الدّمعَ بالدّم
وَسَلْ طَرفي يُنبيكَ عنّي بأنني	دعوتُ الكرى من بعدهِ بالمُحَرَّم

ونلمس العاطفة فى رثائه ، فلا أراه منفعلا بالحدث لبعد الممدوح عن نفس شاعرنا ، وهذه الظاهرة ، أعنى التكلف المتسم ببرود العاطفة نجدها ايضا فى رثائه لحسام الدين الدوادار ، أحد امراء المماليك، والذى تبكيه السيوف والاقلام ، والعلم والعلماء والاعلام ، وقد استوحشته ظهور جياده ، وتعطل لجامها فيقول فيه : (٢)

بكت السيوفُ عليه والاقـــلامُ	والعلمُ والعلماءُ والأعـــلامُ
واستوحشت منه ظهورُ جيادهِ	وتَعَطّلَ الإسراجُ والإلجـــامُ
وأظنهُنَّ به يَلُفنَ محمّـــداً	فظهورهُنَّ على السروج حَـرامُ
تبكى الجفونُ دماً عليه وكيف لا	تبكى الجفونُ عليه وهو حُسامُ
ومضى ومن فخر الحسام إذا مضى	وسواهُ نابى المضربين كهـامُ
اسفى على لاجينَ كان رجاءهم	لاجينَ إذْ فاجا حماهُ حِمامُ

---

(١) النجوم الزاهرة ٨ / ٨٤ ، الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٥٣ .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٧٤ .

ولعل فى رثائه لهؤلاء الامراء غرضا ، هو عطاء ابنائهم واهليهم ، لذا فهو يشارك رغبة فى أموالهم ، فصورة رثائه اقرب الى مدحهم بصفات معينة منه الى رثائهم وتبيين لواعج القلب عليهم .

ومن الذين رثاهم والدة الصاحب ابن حنا ، فهو ينعتها بنعوت عامة ، اما اثر موتها عليه فلا يبدو ، فهى عنده صاحبة مكارم ، وفداء للكرام من أسرتها ، وهى طيبة الاعمال ، طاهرة ، حييه ، مصونه ، ذاقت نعيم الدنيا ، وستذوق نعيم الاخرة ، وهى صالحة لذا سيكون قبرها روضة يسقيها غمام الرحمن ، وسيصبح الثرى منها كأزاهر الروض ، والقبور وعاء طلع ، وغطاء النور[1] ، وهى فى قبرها كنوز تدل عليها معالم المعالى ، فلنستمع اليه وهو يقول : [2]

فدىً لكرام الحىّ منكم كرائـــــم	تمنين ان تبقوا لتبقى المكــارمُ
وهانَ عَلَيْهِنَّ الرّدى فى حياتكم	وبعض الامور المؤلمات مغانمُ
ولو فرضَ التخيير مااخترنَ غيره	وللّطفِ أسرارٌ بهااللّهُ عالِـــمُ
خَرجْنَ من الدُّنيا وماذُقْنَ لوعــةً	لمكروهها تذرى الدموع السواجمُ
وإنْ كُنَّ فارقْنَ النعيمَ الذى انقضى	فثمَّ نعيمٌ فوقَ ذا وهو دائــمُ
وتمَّ من الأعمالِ ماالقبرُ روضَــةٌ	بها ومن الرّحمن عليها غمائــمُ [3]
فإنْ عبقَ اليومَ الثرى فمن الـورى	أزاهرُ روضٍ والقبورُ كمائـــــمُ

واذا ما جامل شاعرنا اتسم رثاؤه ببرود العاطفة ، وتعامل مع الاشيـــاء تعاملا عقليا ، فيكون اقرب للحكمة ، ومن ذلك مثلا قوله : [4]

---

(١) النَّور : الزهر .

(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٧١ .

(٣) عجز البيت فيه خلل عروضى ، هكذا ورد فى المخطوطة ، واراه يستقيم كالاتى :
" بها ومن الرحمن فيها غمائم " .

(٤) تشنيف السمع / ١٠٣ .

فواعجباً من واثقٍ بحياتـــهِ   وجيش المنايا للرزايا منازلــه
إذا بلّ من داءٍ به ظَنَّ أنــه   نجا وبه الدّاء الذى هو قاتلـه

ومن صور الرثاء الطريفة ، صورة يصف فيها جنازة امرأة ، اذ يصور الميتـة داخل الصندوق بالمبرقعة المصونة داخل الخدر ، فيقول : (١)

وجوهٌ عليها للحياءِ براقــعٌ   وللصون من بعد الخدور خدورُ
فكم من رداءٍ طاهر باتَ جارياً   على فقدها دمعٌ هناك طهــورُ

وقد كنى فى البيت الثانى عن المرأة بالرداء الطاهر ، وهى كناية جميلة .
والموت سهم يصيب كل انسان ، ملكا كان او مملوكا ، وهو دين الاجسـاد للارض فيقول ذلك بأبيات حكيمة : (٢)

والمنايا نحنُ أغراضهـــا   تقصدُ منها بكل سَهْمٍ مُصيـب
ومتى ما دعت مليكـاً ومملـو   كا دعت كل سامع ومجيــب
وما علينا للأرض واجبُ ديــنٍ   سوفَ نقضيه واجبات الحبــوب

أما الميت فتارة عنده هو الليث ، وتارة هو البدر ، فانظر اليه كيـف يقول : (٣)

أخذتَ يا موتُ منا الليث مستبقاً   والبدرَ متسقاً والغصنَ ممطـورا
ولو رددتَ رددتَ الليث منعفراً   والبدر متسقاً والغصنَ مهصـورا
اقول اذا سَطَّرَ الناعى منيتَــهُ   قد كانَ ذا فى كتاب الله مسطورا (٤)

---

(١) تشنيف السمع / ٥٦ .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٥٧ .
(٣) المصدر نفسه / لوحة / ٢٩٦ .
(٤) عجز البيت فيه اقتباس من الاية الكريمة " والطُّورِ وكِتابٍ مَسْطُورٍ " سورة الطور / ١ .

ونرى أن تشبيهاته هى نفسها التى يستخدمها فى فنونه الاخرى ، اما طريقته فى الرثاء ، فهى أن تشاركه اقلامه فى البكاء ، وتئن وهى تنقش الحداد على الدواة من مثل قوله : (١)

أقرة ناظرى أبكيت حتى ... يراعى بالدموع الجاريات
وأن صرير أقلامى بكاء ... كما نقش الحداد على الدواة

• • •

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٦٦ .

- فن الهجـــاء :

واذا ما أتينا لدراسة فن الهجاء عند شاعرنا ، وجدناه يتسم بالتهكم والسخرية وهذه طريقته في الهجاء ، واسلوب التهكم والتندر يعتبر من اقسى الاساليب في الهجاء ، وهجاء شاعرنا لاذع ، فهو يتناول جانبين في المهجو ، الاول هو شخصية المهجو وسلوكه ، وحركاته ، وشكله ، والثاني نفسية المهجو ، وذلك بالنفوذ الى أغوار نفسه ، ووضعها على المشرحة .

ولعل ابرز من تناولهم بالهجاء هم البخلاء ، اذ نجد له شعرا كثيرا في هجائهم وذلك بسبب الحرمان الذي قاساه ، فاذا ما طلب من أحدهم حاجة ضن بها عليه ، وقد هجا احدهم فصوره بالبحر الذي لجته الحرمان ، واللؤم ساحله ، ولو جاءه مغص بالطعام يسأله ان يعطيه قطرة لضن بها فيقول فيه : (١)

هو البحرُ حتىٰ الملحُ لم يُنتَفعْ بهِ فلجتُهُ الحرمانُ واللؤم ساحِلُهْ

ولو جاءَهُ الغَصّانُ يسألُ قطرةً لَضَنَّ بِها فَليتَّقِ اللّه سائلُهْ .(٢)

والبخيل عنده كالثور الذي يقلع الارض ، لكنه لا يستطيع ان يقلع شيئا من ماله ، وما ذلك الا لغريزة وطبيعة شبوا عليها ، فانظر اليه كيف يقول : (٣)

دع الباخلينَ الغافلينَ عن العُلا فلم تستطعْ نقلاً لنا في الغرائزِ

هُم بقر الدولاب إن رُضتَ مدحهم فلا تَطمَعَنْ منهم بقلع الجوائزِ

والبخلاء ايديهم متشنجة من المسك شحا وبخلا ، لذا اعتادوا على قبض أيديهم دائما ، فاذا ما ارادوا اللعب في عيد النوروز (٤) ، الذي يتسم

---

(١) لمع السراج "مخطوط" لوحة/ ٣٦٥ .

(٢) عجز البيت تضمين لعجز بيت ابي تمام الاتي :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

ديوان ابي تمام بشرح التبريزي ٣ / ٢٩ .

(٣) لمع السراج "مخطوط" لوحة / ٣٢٠ .

(٤) يقول المقريزي عن النوروز في مصر : "في النوروز يكون اللعب بالماء ، ووقود =

بالمزح والهزل ، والصفع البسيط ، حولوا صفعهم الى لكم لانهم لا يستطيعون بسط ايديهم ولنرى صورتهم فى قوله : (١)

وأيدٍ لهم مقبوضةٌ قد تشنّجت ... أناملُها حرصاً على الشُّحّ والمنعِ

ومن جبهم في قبضها دون بسطها ... رأوا لعب النيروز لكماً بلا صَفْعِ

وتبدو لنا طرافة تصويره وسخريته منهم ونفوذه الى اغوار نفسياتهم . والبخيل عنده عديم الشرف فانظر اليه كيف يقول : (٢)

حاشاكَ أنْ ترضى بصحبة مَعْشَرٍ ... كُلٌّ بانماطِ المكارمِ راضِ

قد أهملوا أعراضهم لهوانها ... والجودُ قالوا : حارسُ الأعراضِ

وهكذا يندد شاعرنا بالبخلاء ويذمهم ، ويخرجهم من الانسانية وما ذلك الا لبخلهم ، كما نجده يندد بالمرابين الذين يمتصون دماء الشعب المصرى آنذاك ولما كان اليهود هم أصحاب هذه الاعمال ، لذا كانت صورة اليهودى بشعة عند شاعرنا ، فاليهود معروفون بحبهم لاكتناز المال باى صيغة كانت ، قديماً وحديثاً ، فلا غروأن نترك تصويرهم لشاعرنا الذى وصمهم بالخزى ، وصفرة الوجه ، وهو كناية عن السم الناقع فى أمثال هذه الوجوه التى يقول فيها : (٣)

= النيران ، والطواف بالاسواق ، وعمل الفيلة والخروج الى القاهرة بلعبهم ، وفيه تتعطل الاسواق وتلبس فيه الكسوة ". خطط المقريزى / ٢ / ٢٧٩ .

وارى ان النوروز : كلمة فارسية مركبة من كلمتين "نَو" بمعنى جديد ، و"رُوزْ" بمعنى يوم ، فيكون معناهما "اليوم الجديد".

والنوروز من اعياد الفرس المجوس قبل الاسلام ، وعند ما جاء الاسلام أبطله لما فيه من اشياء ترمز الى عباداتهم ، كالنيران التى ذكرها المقريزى .

(١) لمع السراج "مخطوط" لوحة / ٣٣٩ .

(٢) المصدر نفسه لوحة / ٣٢٩ .

(٣) المصدر نفسه لوحة / ٣١٨ .

للبهودى مخـــــاز | نسأل اللهَ السلامَـــهْ
صفرُ الوجهِ يُحاكـــى | خرقةً فوقَ العمامَـــهْ
هو ردّ الرّد فاحـــذ | رهُ وإن أبدى الملاقـــهْ

والخرقة التى فوق العمامة ، يقصد بها اللون الاصفر ، وهو اللون الـــذى كان يميز اليهود عن غيرهم -كما مر بنا فى الحالة الاجتماعية - كما اراه يستخدم كلمة " خرقة " للاحتقار ، وهو يؤكد الحذر من اليهود لما عرفوا به من قذارة .

وشاعرنا عندما يهجو البخلاء ، والمرابين فانه ينطلق من اشفاقه على الوضـع الاجتماعى السيئ نتيجة لتحكم قيم سلبية ، جعلت المجتمع يسير بهذا الشكـل ، فالوراق رقيبعلى مجتمعه ، وهو رقيب فطن يتصيد الاخطاء والسلبيات ، ويبرزهـا أمام عين المجتمع ، وداخل سمعه ، ولا يمل من تكرارها الحين بعد الحيـــن فى القوالب مختلفة - كما هى فى صورة البخيل - حتى يوقظ فى المجتمع احساسا مرا بها ، فيعمل بالتخلص منها .

وهكذا يغدو الاتصال الروحى بين شاعرنا وقضايا مجتمعه عميقا ومفيدالكليهما فهو يخاطب جمهورا مهما كان افتراضيا . (١)

ولشاعرنا هجاء للنصارى ، اذ قذف لنا خاطره بأبيات تنعى نظرة تأمليـــة فى ديانتهم ، التى اشركوا فيها بالله ، وما ذلك الا لجهلهم ، لانهم غيـــروا النبوة بالبنوة ، وعبدوا صورا ، فيصفهم بانهم بنو ابليس ورهبانهم وراث النبـوة فيقول : (٢)

جَهْلُ النّصارى مُفْـــرِطٌ | أَلفاهُمُ في شَــرِّ هَـــوَه

---

(١) مجلة الاقلام العدد / ٨ لسنة ٨٠ ص ٥١ .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٤١٢ .

نظروا المسيح فصحفوا ... فيه النبوّة بالبنوّة
وتعبدوا صوراً بلا ... معنى فلا حول ولا قوة
فهم بنو ابليس ... والرهبان وراث النبوة

كما هجا شاعرنا بعض الوزراء لاسباب سياسية ، كهجائه للشجاعي [1] ، وهو وزير حصل بينه وبين الصاحب ابن حنا عداء ، مما دفع ابن حنا الى تحريض الوراق على هجائه ، فهجاه ناعتا اياه بالحماقة ، قائلا فيه : [2]

أبادَ الشُّجاعِي رَبُّ العبادِ ... وعقباهُ في الحَشْرِ أضعافُ ذلك
عصى رأسُهُ فالعصا نعشُهُ ... وشَيّع للدّفنِ في نارِ مالِك

ولشاعرنا ذم لعبده ، فهو يصفه بتلون الخلق ، وسواد اللون ، وسوء الادب ، والغباء ، والكسل ، والفضول ، والاهمال ، وغيرها من النعوت فيقول فيه : [3]

متلونُ الأخلاقِ حَرْبا واتها ... وسَوادُهُ يمتازُ منهُ القارُ [4]
ويَسوءُ آداباً علىَّ ودأبِي الا ... غضاءُ عنهُ ، ودأبهُ الاصرارُ
ولهُ ذكاءُ إياسَ في حاجاتِهِ ... واذا قضى لي حاجةً فحمارُ [5]

---

(١) هو علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعي المنصوري ، كان من ماليك السلطان المنصور قلاوون ، وترقى حتى ولي الوزارة في اوائل دولة الناصر وساءت سيرته ، وكثر ظلمه فقتل عام "٦٩٣ هـ" .
الطالع السعيد / ٢٣٣ .

(٢) لمع السراج "مخطوط" لوحة / ٣٠٥ .

(٣) المصدر نفسه لوحة / ٢٩٨ ، تمام المتون / ١٢١ ، ١٦٧ .

(٤) صدر البيت في تمام المتون كالاتي : "متلون الاخلاق خزيا بها"

(٥) هو اياس بن معاوية بن قُرّة المزني ، ولاه عمر بن عبد العزيز "رضي الله عنه" قضاء البصرة ، وهو احد اعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء . يضرب المثل في ذكائه فيقال : "أذكى من اياس" . توفي في واسط سنة "١٢٢هـ" .
البيان والتبيين ١ / ٩٨ ، ميزان الاعتدال ١ / ٢٨٣ ، ثمار القلوب / ٩٤ .

ورُقادُ أَهلِ الكهفِ دونَ رُقادهِ ... ما جَنَّ ليلٌ أو أضاءَ نهارُ

وسائلٍ: من ذا؟ وما هذا الذي ... تحتَ الغطاءِ؟ وما لِمَن ذي الدّارُ؟

ودخولُه بينَ اللّذينِ تضاربَا ... والحكمُ بينَهُما وذا مدرارُ

ومصيرُهُ لذوي الفضولِ لَعلّهُ ... يمتازُ بين القومِ أو يمتارُ

ومغيبُهُ عنّي وإن سألتُهُ ... فجوابُهُ لي ضَجْرةٌ ونفارُ

ولكم أقولُ ولا تفيدُ مقالتي ... زِنهارُ من حركاتِهِ زِنهارُ(1)

• • •

(١) زِنهار: كلمة فارسية تستعمل للتنبيه والتحذير . المعجم الذهبى / ٣١٧ .

- فن الشكوى :

الشكوى قد تنبعث من مزاج سوداوى يضيق بكل أمر ، ويتبرم بكل شأن لا عن نظر وتفكير ، وانما عن قلق واضطراب ، وقد تنبعث من نظرة فلسفية عميقة تضيق بأوضاع الحياة ، وما تنتهى اليه من مصير رهيب .

واذا ماجئنا الى هذا الفن عند شاعرنا وجدناه لا يصدر عن نظرة فلسفية عميقة ، ولا مزاج سوداوى كما يسميه علماء النفس ، فشاعرنا ليس متشائما "كالمعرى" ولا سوداوى المزاج "كابن الرومى" وانما هو رجل مقبل على الحياة ينهل من لذاتها ، وينعم بمسراتها مادامت مواتية ،فاذا حالت بينه وبين مايصبو اليه حوائل ،أو حلت به نكبة جأر بالشكوى .

فهو يشكو قيم مجتمعه السيئة ، نتيجة لتحكم قيم وضيعة دفعت المجتمع كله الى أن يتخبط فى مساره ،فها هو ذا عصره الذى وسمه بالجرب والمرض والوباء قائلا فيه :(١)

زَعَموا لبيداً قال فى عَصْرٍ لَهُ ... "وبَقيتُ فى خَلْفٍ كَجِلد الأَجرب"(٢)

وأراهُ اعدى خلفهُ من خلفِهِ ... جَرَباً وأعيا الدَّاءُ كلَّ مُجَرِّبِ

وتضاعفَ الجَرَبُ الذى عدواهُ لا ... تنفكُّ عن ماضٍ ولا مُتَعقِّبِ

وتَفاقَمَ الداءُ العُضالُ فَخَلْفنا ... بَلَغَ الجُذامَ،وعَصْرُنا عَصْرٌ وبى(٣)

---

(١) الدر الثمين فى محاسن التضمين "مخطوط" الورقة/ ٣٥ ظهر ،لمع السراج "مخطوط" لوحة/ ٢٦٥ ،الغيث المسجم٢/ ٢٢٣ ، معاهد التنصيص ٤/ ٦ ، الادب فى العصر المملوكى ٢/ ١٥٦ .

(٢) عجز البيت هو تضمين لعجز بيت لبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلى وهو كالاتى :

ذهبَ الذينَ يُعاشُ فى أكنافِهِم ... وبقيتُ فى خلْفٍ كجلدِ الأجربِ

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى/ ١٥٣ .

(٣) الوبى : اصلها الوبىء ، ومعناها :الموبوء وقد اسقطت الهمزة للضرورة الشعرية .

ولكن هناك سؤال جوهرى فى مجال الشكوى ، وهو أنه اذا ما عدنا بذاكرتنا الى الوراء نجد ظاهرة الشكوى عند جل الادباء ، الاغنياء منهم والبائسين وهذا يعنى انه غرض تقليدى درجوا عليه ، فهل ياترى كان شاعرنا مقلدا كهؤلاء ؟

ان من يمعن النظر فى شعر شاعرنا يجده يشكو الواقع حقا ، وذلك لحياته البائسة ، فهو يشكو الفقر وتقلب الايام صدقا ، لذا جاءت صورة الشكوى منبعثة عن معاناة حقيقية فهو بائس حقيقى وليس متباكيا كالشعراء الاخرين ، فهو يصف الدراهم وصفا يفجر فى نفس القارىء الالم والاشفاق لحالته ، فالدراهم عنده يعسر عليه مسها لانها تحبس منذ ان تضرب فى ايدى اللئام ، وهذه الدراهم المسكينة تعانى من الحبس ، وهى لخشيتها من محاسبة اللئام تفر من ايدى الكرام دائما ، وهى صورة طريفة لتصويرها بهذه الصورة ، صورة حبسها ، ومقاساتها ، وهربها ، فانظر اليه كيف يقول : (١)

إِنَّ الدَّراهِمَ مَسُّهـــا	أَلَم يَشُقَّ علىٰ الكِـــرام
الضَّربُ أَوَّلُ أَمْرِهـــا	والحَبْسُ في أيدِي اللِّئـــام
ماذا على شُؤمِ الـــدرا	هم مِن مُقاساةِ الأَنـــام
ولخوفها مـــن ذا وذا	كَ تفرُّ من أيدِي الكِـــرام (٢)

فهو هنا ابرز حالته فى صورة مجسمة ، فتجربته هنا مستمدة من واقع حياته ، كما انها تمثل مساوىء الحياة فى محيط الشاعر ، وهذا ما دفعه الى شكوى الحكام الجهلاء من المماليك وحجابهم ، فيصف لنا حالته وقد أتى لمدح هؤلاء الحكام ،

---

(١) معاهد التنصيص ١ / ٢٠٨٨

(٢) وقع شاعرنا هنا فى عيب عرضى يسمى الإيطاء ، اذ كرر القافية فى كلمة واحدة وبمعنى واحد ، والكلمة المكررة هى " الكرام ".

لينال شيئا يدفع به فاقته ، فيمنعه هؤلاء من الدخول ، ولنترك الكــــلام لشاعرنا يسوقه بلغته الشعرية فيقول : (١)

لا ذقتُ ذلَّ حجـــــابٍ	ولا وقوفاً ببــــابِ
فقد حنِقتُ وقــد قــا	مَ شاربُ البـــوّابِ
ورحتُ أجري وصفحـــ ...	ـتُ موضعين لما بـــي

فقد جسم فى بيته الاول تجربته المتسمة بالمرارة ، المنبعثة من كلمة " لا ذقت " فهى تصور مقاساته من طرق ابواب السلاطين ، لذا صور ذلك البواب الاعجمى وقد وقف على الباب سدا لا شاربه الطويل الذى انتصب عند رؤية شاعرنــــا ، وهى صورة " كاريكاتيرية " طريقة ولاذعة ، فهو يستخدم اسلوبه الساخر فـــى السخرية من البواب الذى هرب من عذله وجهله فاصطدم بالاشياء دون وعيه .

وتمتد شكواه الى الصد وعين الذين لا يعرفون قيمة الشعراء لجهلهــــم باللغة العربية ، لذا فهو يشكوهم ويسأل ربه ان يصون وجهه عنهم ، فهـــؤلاء يتسمون بجفاف الايدى ، وهى كناية عن البخل ، فاسمعه يقول : (٢)

يا ربِّ صُنْ وجهى عن الكُرمـاءِ	فضلاً عن الحاجاتِ للؤمـــاءِ
فلقد رأيتُ القومَ جفّوا أيديـاً	حتى كأنْ لم يُخلقُوا من مـاءِ

كما شكا من تقدم غير من لا يستحق ، وتأخره فقال : (٣)

إذا لم نرتفعْ عَنْ سِفْلِ قَـــوم	علوا وعلَتْ مراتبهم علَينـــا
صَبرنا والزّمانُ يُرى علينـــا	تعاظمهم فينزلهم إلينـــا

---

(١) مطالع البدور ١ / ٢٨ ، الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٥٥ .

(٢) عز الادب " مخطوط " لوحة / ١٠

(٣) الغيث المسجم ٢ / ٢٠٦ ، الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٥٥ .

ونغمة الشكوى تستمر لتشمل جوانب اخرى من حياته البائسة ، فيشكو الوحدة والانفراد ، وما ذلك الا لبؤسه ، فهو يعتب على الايام التى افردته عن اصدقائه وجلسائه وأخلائه ، ويمتد المدى النفسى به حتى يتصور عداوة الدنيا له ، بنظرة فيها شئ من السوداوية حين يتصور انه لو مشى فى شهر آب المعروف بحرارته لما وجد له ظلا حتى فى وقت الاصيل فاستمع اليه كيف يقول : (١)

أفردتني الأيامُ عن كلِّ خدنٍ … وأنيسٍ وصاحبٍ وخليلِ
فتراني في شمسِ آبٍ ولا ظلَّ (م) … لشخصي مع الضحى والأصيلِ

وتبلغ به العزلة الشعورية حدا ، حتى ليخال نفسه غريبا احيانا عن وطنه ومرابع صباه وشبابه فيقول : (٢)

فتخلفتُ وخلفتُ غريباً في بلادي

ويبدو ان شكواه من الوحدة والغربة حصلت فى كبره بعد ان طوى الردى اصحابه ، لذا شكا سوء حاله فى الكبر ، فهو يصور نفسه وشيخوخته وضعف قوته فى قوله : (٣)

أصبحتُ أعجنُ إذ أقومُ وشرُّ ما … وقعتْ عليه العينُ شيخٌ عاجنُ
وإذا أردتُ أدقّ شيئاً لم اجد … عندى يداً ، والبيتُ فيه الهاونُ

بعد كل هذه الشكوى المطوفة بالمرارة ، يذكر ان عتبه على الاقدار لا يفيد فالاقدار هى التى وضعته حيث شاءت ، فيسلم امره لله طائعا ، ويعتبر ان هذه مشيئة الله فيرفع يده بالدعاء طالبا توفيقه فلنستمع له وهو يقول : (٤)

---

(١) الغيث المسجم ١٥٩/١ ، قطر الغيث المسجم/ ٧٦ ، الادب فى العصر المملوكى ١٥٥/٢ .

(٢) قصد السبيل " مخطوط " لوحة/ ١٠ ، تشنيف السمع / ٢٥ .

(٣) الغيث المسجم ٢٣٩/٢ ، فوات الوفيات ١٤٢/٣ .

(٤) عز الادب " مخطوط " لوحة / ١٠ .

عتبى على الأقدارِ ليسَ يفيـــدُ   وأُريدُ والأقدارُ ليس تريــــدُ
فالحكمُ للّهِ العليِّ فما لنــــا   أمْرٌ ونحنُ مكلفونَ عبيـــــدُ
يارَبِّ وفّقنا لما ترضى بـــهِ   منّا فأنتَ إلهنا المقصـــودُ

وصورة شاعرنا فى بيته الاخير فيها استكانة تامة لله ، وهو رافع يده قائــــلا " يارب " بما لهذه الكلمة من جرس ووقـــع عند الدعاء .

• • •

- فن الخمرة :

أحب شاعرنا الخمرة ، فهو يتلذذ بشربها ويرتاح لطعمها ، ويسر بفعلها في جسمه واعصابه ، ويطرب لتنشيطها لروحه ، وصقلها لمزاجه كما يظن ولذة الخمر تأتلف وذاتية شاعرنا ، وتتصل باعماق نفسيته فهو قد أدمن عليها يشربها صباحا ومساء ، فيعبر عن ذلك بقوله : (١)

وَصَلْتُ غبوقي بالصبوح وإنَّما ... حياتي غبوقٌ مسعدٌ وصَبوحُ

ثم يتحدث عن ندمانه وكأسه فيقول :

ونبهت ندمانى فلم يبعث الصبا ... بعود ولم ينطق عليه صدوح
كأني سَلَبْتُ الديكَ في الكأسِ عينه ... فقام مروعاً من كَراهُ يصيحُ

وتلازم الخمرة شاعرنا حتى في مشيبه ، فهو شره في حبها ، وهي ملجؤه الذى يلجأ اليه في حياته فيقول : (٢)

أُديرُ بلحيتي البيضاءَ كأسي ... بكيس زائد منّي وفطنه
ألَمْ ترَني وعفوُ اللهِ راجٍ ... ومن شَرَهي أُصَفّيها بقُطنه

وكان شاعرنا يكثر من تردده على الاديرة ، كدير شمران ، ودير البغل(٣) للمنادمة وشرب الخمرة ، ولنستمع لابن فضل الله العمرى ، ليحدثنا عن احدى زيارات شاعرنا لدير شمران فيقول (٤) : حكى ان السراج الوراق كان يغشى

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٧٦ ، حلبة الكميت ٢ / ١١٢ ، نشاط الصفدى في النقد والبلاغة / ٢٤٦ .
(٢) الحواضر ونزهة الخواطر " مخطوط " الورقة / ٣٦٣ .
(٣) دير شمران : هو في حدود "طرا" من ضواحى القاهرة القبلية ، في خلف الجبل الاحمر المعروف بالمقطم ، وهو من ديارات اليماقبة .
ودير البغل هو شمالى دير شمران ، وهو من ديارات اليماقبة ايضا ، مسالك الابصار ٢ / ٣٦٩ .
(٤) مسالك الابصار ١ / ٣٦٨ ، عصر سلاطين المماليك ٨ / ٣٢٣ .

راهباً بدير شعران ، وافر العقل ، كامل الفضل ، فخرج اليه جماعة من أهل الادب وشعبان قد بقى على أقل من نصفه ، وبدره قد اخذ يتقهقر الى خلفه وشهر رمضان قد آن له ان تغل فيه شياطين الانام ، ويختم فيه على الافواه بالصيام فألفوا الراهب قد لبس مسحه وساح ، وعزل الدير فما هبت فيه رائحة الراح ، فلما رأوا أن دين رمضان قد حان حلول أجله وأن وجه الدير الوقاح (١) ما دبت فيه من الخمرة حمرة خجله ، خافوا ان ياتى الصيام ، وما تشعشع سوى قنديل سموره الذى بان ولا ملك مدام يأتى منه أوائل ورد في أواخر شعبان ، فندب السوراق اليه راهبا من شباب الدير ليتبعه ، وكتب معه ابياتا يبلغ فيها رئيس الدير الذى شبهه بالزهرة المتفتحة تحياته واسماً إياه بالحكمة مترقباً مجيئه كترقب ظهور الهلال حتى يكمل بدراً ، مخاطباً إياه بابي الملة المسيحية ، ولنستمع لرسالته الشعرية التى يبدأها بقوله : (٢)

أبلغ الفاضل الرئيس السلاما ... شق عن زهره الصباح كماما (٣)
قل له : أيها الحكيم الذي في ... دين عيسى قد برهن الأحكاما
كم رقبناك كالهلال الى أن ... لحت للناظرين بدراً تماما
يا أبا الملة المسيحية أرحم ... معشراً قد ظعنت عنهم يتامى (٤)

فشاعرنا يسم نفسه وندمانه باليتامى الذين شبههم بالرضع الذين فطموا عن الكأس ، ومن العسير فطم الرضيع ، فهم يستحلون وضع الصليب عن وضع الكأس ، فيخاطبه بادراك ارواحهم بخمره المعتقة لتحيا اجسامهم ، فهم قد هبوا عند صياح الديك كعاشقين لا يعيرون اهتماما للائمين فيقول :

---

(١) الوقاح : الصلب .
(٢) مسالك الابصار ١ / ٣٦٨ ، عصر سلاطين المماليك ٨ / ٣٢٣ .
(٣) الكم : وعاء الطلع ، وغطاء النور ، وجمعه اكمام ، وكمام .
(٤) ظعن : سار .

فُطِموا مِنْ رضاعِ كأسِ الحُمَيّا ... وهي أنكى للمرضعينَ فِطاما

واستَحلّوا وَضْعَ الصليبِ عن الرّا ... حِ فَداركْ بالأنفسِ الأجساما

واطالوا حَبْسَ المُدامةِ في الدّ ... نِّ ويكفي حبسَ المدامةِ عاما

فاسقهم من سُلافةٍ تطرُدُ الهَـ ... ـمَّ وعَجِّلْ لهم بذاكَ اهتماما

وهنا يحس شاعرنا انه اكثر من الكلام على الخمرة ، وتلهفه على شربها فيعتذر عن ذلك ويعلل ذلك بقرب حلول شهر رمضان الذى لا يمكنه فيه شرب الخمرة فيقول :

وعسى قائلٍ يقول لحظّـي ... ونَصيبي : أطلتَ في ذا الكلاما

كَذَبَ المدّعي وآخِرُ شعبا ... نَ يُناديني الصِيامَ الصِياما

وتلوح لنا عاطفة الوراق كامنة وراء ابياته ، وهي عاطفة الشوق نحو الخمرة المعتقة ، وذلك لانها تجعله بعيدا عن احزانه ومآسيه وهمومه .

ولعل تردد شاعرنا الى الاديرة خشية السلطة في زمانه ، لتحريمها الخمر احيانا ومعاقبة الفاعل ، فها هو ذا الشيب قد وخط شاعرنا ، لكنه لا يكف عن زيادة الاديرة لانها تعيد له ذكرياته ، فيذهب الى دير شمران ، ولنصغ للقصة التالية التي يحكيها ابن فضل الله العمري في كتابه " مسالك الابصار " فيقول (١) : حكي أن السراج الوراق مَرّ على دير شمران ، فنزل به فرأى جماعة من أودّائه على راح تُقَدِّحُ لهم أقداحُها ، وتهدي اليهم أفراحُها ، وكان السراج قد طُفئت فتيلتُهُ من شُعْلةِ ذلك اللّهب ، ونكرت قافيته صفرة ذلك الذهب فأتاه بها الساقي فردّها ، وواصلته في الكأس فَصدّها ، هذا حينَ نكّسَ الكِبَرُ صَعْدَتَهُ ، وأنفدَ العمرُ مُدّتَهُ وذكر بجلسائها فقد إخوانه وذهاب زمانه ، فلامه من حَضَر إذْ صَدَّ الكأس وقال : أمالكَ أُسوةٌ بهؤلاء الجُلّاس ؟ فقال :

---

(١) مسالك الابصار ١/٣٦٦ .

عَجِبَ السَّاقِي لِردِّي القَدَحا ... ولأمرٍ في التَّصابي قدحا
وأتانا بِحُمَيَّا كأسه ... حَيثُ جئنا دَيرَ شعرانَ ضُحى (١)
قُلتُ : ياقُرَّةَ عيني بِمَا ... غُضَّ طَرْفٌ بعد ما قَدْ طَمَحا
لم أكُنْ أوَّلَ ولهانٍ سَلا ... لا ولا أوَّلَ نَشْوانٍ صَحَا
أشْرَبُ الرَّاحَ أُرَجِّي فَرَحاً ... فيتُيحُ الحَظُّ مِنْها تَرَحا
سوءُ حَظِّي لورما الصُبحَ دجا ... أوْرمَى ليلَ عِذارٍ وَضُحا
وخمولُ مَنطِقٍ بالشتم لي ... من رأى دَهرِى له مُمْتَدِحا
زادَ في سَبِّي الَّى أن خِلْتُهُ ... شَهِدَ اللّهُ به قَدْ سَبَحا

واخيرا أناب شاعرنا الى ربه ،فتاب ،فنراه يسأل الله الغفران وحسن الخاتمة فيقول : (٢)

أدعو وحجبُ ذنوبي ... تَسدُّ طُرقَ الدعاء
فيرجعُ اليأسُ إذْ ذا ... كَ غالباً للرَّجاء
فلا تكلْني لنفسي ... يا أرحمَ الرُّحماء
واختم حياتي بخير ... ياخاتم الانبياء
عليه صَلِّ صلاةً ... ما لاح نجمُ السَّماء

...

(١) الحميا : حُمَيَّا الكأس ، أوَّل سَورتها .
(٢) عز الادب " مخطوط " لوحة / ٧٠

- النظم العلمى :

هو شعر تقتضى طبيعة موضوعه خلوه من تصوير العواطف والانفعالات النفسية ،وتستوجب امتلاءه من الالحان الموسيقية ، والالفاظ السهلة الرقيقة لتسهيل حفظه عن ظهر قلب ، واجتذاب الناشئين برقة الفاظه وعذوبة تراكيبه .

وقد وهب الله لغة العرب من تناسق الحروف وتوافق المقاطع ، وترافق الالحان مايسحر الارواح ، ويستهوى الاذواق ، ويستميل القلوب ، فأشعارها تحتوى على انواع من افانين الموسيقى وضروب الالحان الشائعة الفائقة لكثير مما عرف من اوزان الشعر فى الشرق والغرب ،وهذه الخصيصة الكريمة فيها كانت من اسباب تحبيبها الى الامم غير العربية ، ومن اقوى البواعث على تعلمها واتقانها وتدارسها والتأليف فيها ، والنظم بالفاظها على اوزان شعرها ، وسجعها اللذين تغلب فيهما الموسيقى على المعنى غالبا .

فلا عجب اذن من أن الشعر العربى تناول فنون العلم مذ اتسعت آفاق العلوم على العرب ، وأخذ الشعراء والمؤدبون منهم خاصة يقيدون تلك الفنون للمتأدبين بأوزان موسيقية ، وقواف منسجمة يسهل معها استظهارها ، وترسخ بها قواعدها ، ويكون كل بيت منظوم فيه كالكلمة الواحدة ، اذا تذكرة الحافظ تهيأ له انشاده بتمامه ، وتأتى له القاؤه بكماله ، ثم لاعجب ايضا من ان الشعر العربى فاق أشعار الامم الاخرى فى هذا الموضوع لما قدمناه من كون اللغة العربية موسيقية بطبيعتها وجبلة أبنائها .

" وقد بدأ النظم العلمى " ابان بن عبد الحميد " وهو من الشعراء الموالى وكان اكثر اختصاصه بالبراكمة وزراء الرشيد ، فنظم باشارتهم كتاب " كليلة ودمنة" لابن المقفع ، وكان منظوما بالفارسية ، وابان فارسى ،وقد ترجم كتبا منها الى العربية "(١)

---

(١) التاريخ الادبى للمصرين الاموى والعباسى الاول ٢ / ٨٩ .

أما حامل لواء الشعر التعليمى من العرب ، وابن بجدته ، ومعلى مناره فهو كما يقول د . مصطفى جواد (١) : " ابو العباس عبد الله بن محمد الانبارى المعروف بابن شرشير (٢) ، الملقب بالناشئ الاكبر ، الشاعر المجيد كان من شعراء العراق ، معاصرا للبحترى وابن الرومى ومن طبقتهما ، وقد نظم قصيدة تعليمية نونية فى فنون العلم تبلغ اربعة الاف بيت على روى واحد وكانت اولى نوعها ، وكان هذا الشاعر الكبير نحويا عروضيا متكلما ، متبحرا فى عدة علوم " .

وقد شاع فن " الشعر التعليمى " بعد القرن الثالث للهجرة حتى اصبح بابا واسعا وحاجة ماسة من حاجات المؤلفين والمعلمين والمؤدبين وكثر النظم فيه وزاد زيادة عظيمة ، فمن ذلك مثلا قصيدة فى الاداب الشعرية ، وعقائد اهل السنة وسيرة الرسول وضبط قراءة نافع للقرآن الكريم ، ثم ظهرت الالفيات فى الفقه والنحو وغيره . (٣)

وقد انتشر هذا الفن فى القرن السابع انتشار الخضرة فى الربيع ، فنظمت الكتب ، والمؤلفات ، والالفيات ، والقصص ، حتى نظموا فى العصور المتأخرة الجغرافيا والحساب . (٤)

---

(١) فى التراث العربى ٢ / ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) اصله من الانبار ، وأقام مدة طويلة ببغداد ، ثم خرج الى مصر ، وفيها توفى سنة " ٢٩٣ هـ " .
تاريخ بغداد ١٠ / ٩٢ ، وفيات الاعيان ٣ / ٩١ .
وشرشير فى الاصل اسم طائر يصل الى الديار المصرية فى البحر زمن الشتاء وهو اكبر من الحمامة بقليل ، ولعله من طير الماء ، يكثر فى ساحل دمياط ، ولعل تسميته بان شرشير لحقته فى مصر . وفيات الاعيان ٣ / ٩٢ .

(٣) تاريخ آداب العرب ٣ / ١٥٢ ،

(٤) التاريخ الادبى للمصريين الاموى والعباسى الاول ٢ / ٨٩ .

ولشاعرنا الوراق مساهمة فى هذا الفن ، فقد نظم كتابا مشهورا فى اللغة ـ سبق ان مربنا فى الحديث عن آثاره ـ وهو " درة الغواص فى أوهام الخواص " للحريرى ، وقد نظمه شاعرناهو وحواشيه ، وسماه " نظم درة الغواص فى اوهام الخواص " وهذا الكتاب من الاهمية بمكان ، لذا عمد شاعرنا الى نظمه ليسهل على الدارسين استظهاره .

وسنتناول نموذجا من نظمه يقول فيه مثلا عن كلمة " أزف " : (١)

وأزِفَ الوقتُ بمعنى قد دنا | لانه حَضَرا وتَعَيّنا (٢)
وقوله : أزفت الآزفة | ليس لها من دونِ اللّهِ كاشفة (٣)
معناه حانَ وقتُها واقتربتْ | واقرأ على آثار ذاكَ اقتربت
وجاء فى ذلك بيتُ النابغة | بحُجّةٍ للسامعينَ بالغة

ثم يأتى قول النابغة :

أَزِفَ التَرَحّلُ غير أَنَّ ركابنا | لمّا تَزُل برحالِنا وكأنْ قدِ

ثم واصل نظمه بعد ذكر الشاهد فيقول :

قال ابنُ بَرّي : مالمُرادِ قد حضر | وانّما الآزِفُ وقتٌ ينتظَر
وضاقَ يعنونَ به ماقد بقى | من زمنٍ بما تَلاهُ يلْتقى
وافعل التفضيل اذ يضافُ | جزءٌ من الجملةِ لا خلافُ
وخالدٌ أفضلُ إخوتِهِ أبا | ذاكَ القياسُ فاقفُ فيه العربْ
قال : ابن برّى وابن خالويه | اجاز ذا مُبرهناً عليه
وجاء فى الجواز بالرواية | واضحة السُّبل وبالدراية
قولُ ابنُ غالبٍ وقل فى لغته | يصيبها أشمر أهل جلدته
وأولوا اخوته بالإخْوَةْ | وأفضل الاخوة ينحو نَحْوَهْ
يتلونه حقَّ تِلاوتِه كذا | قد أوّلوهُ وتخطّاك الأذى

---

(١) نظم درة الغواص " مخطوط " / ٨

(٢) البيت فيه نقص ومكسور ايضا .

(٣) يقصد بها قول الله عز وجل " أَزِفَتِ الآزِفَةُ ، ليسَ لها من دونِ اللّهِ كاشِفَة " النجم / ٥٨ .

ـ الشعر العامي :

ان غزو العامية وتسللها الى اللغة العربية الفصحى يرجع الى زمن بعيد جدا عن القرن السابع الهجري اذ نجد اول كتاب يؤلف في لحن العامة من تأليف العالم اللغوي المشهور علي بن حمزه الكسائي المتوفى سنة "١٨٩هـ".

وفي القرن الثالث ، وبسبب سيطرة الاتراك على مقاليد الامور في قصر الخليفة ببغداد وصل الامر اخيرا الى أن صار الوزير نفسه يتكلم اللغة الدارجة ، بل ان النحويين انفسهم في ختام هذا القرن ، لم يكونوا يستعملون اللغة الفصحى في سامراتهم ومحاوراتهم .

وفي القرن الرابع كان من المظاهر البارزة ، انتشار العامية الى جانب الفصحى ، حتى اصبح اكثر الناس يتكلمون العامية ، واقلهم الفصحى ، وصار لكل بلد عاميته وهكذا استمر دخول المبتذل والدخيل في القرن الخامس ، أما في القرن السادس والسابع فقد سيطرت على معظم النتاج الشعري وخاصة في غرض السخف والهجاء. (١)

ونشأت العامية نتيجة لظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية ، كنتيجة لاحتكاك العربية بغيرها من اللغات الاعجمية ، أدى الى تداخلها بالعربية اضافة لتولي السلطة من هم أعاجم كالاتراك مثلا ، فهذه الامور مجتمعة ساعدت على اشاعة العامية .

والأدب العامي هو ذلك الأدب العاطل الملحون ، الذي لا يلتزم بعمود الشعر العربي ، والذي يكتب بلهجة البلد الذي قيل فيه ، فالمصريون مثلا قد استخدموا الالفاظ حسبما اتفقت وفنونهم ، ولم يلتفتوا الى مقتضى

---

(١) الشعر العراقي في القرن السادس الهجري / ٣٠٢.

الشعر والكتابة ، فأضافوا حروفا الى بعض الكلمات ، وحذفوا اخرى ، وحركوا الساكن ، وسكنوا المتحرك ، وتصرفوا فى صيغ الالفاظ ونقلوها الى صيغ أخرى بزيادة او نقصان فى الحروف او تبديل مراعاة لاستقامة الوزن وانسجام الموسيقى .
ويقول الباحث "أحمد صادق الجمال" فى كتابه "الشعر العامى فى مصر" "بأنه قد طرق هذا الادب ـ العامى ـ الشعراء المصريون فى عصر المماليك عامة "(١) .

وقد غلب على الادب العامى روح الفكاهة المصرية ، فمن الشعراء من اتخذ الفكاهة للاضحاك والمداعبة ، ومنهم من اتخذها للسخرية اللاذعة والنقد الشديد (٢) كما هو الحال عند شاعرنا ، كما لعب الهجاء دورا فى الشعر العامى .

وأسوة بالشعراء ، ولربما ارضاء للجمهور الذى هبط مستواه الفنى ، يشارك شاعرنا فى النظم بالعامية ، اذ عثرت له على بليقة واحدة يهجو فيها شخصا يدعى الناصحى ، وهو شخص كان يجتمع بالسلطان فينم عنده عن الناس ، فيحصل للناس به ضرر ، فينظم شاعرنا بليقة فى هجائه .

والبليقة تختلف عن الزجل ، اذ تتضمن موضوعاتها الاشياء الخفيفة الساخرة الفكاهية ، اوالساخرة ، وتكون رقيقة الاسلوب ، وهى غالبا خفيفة الوزن ، مسفة الالفاظ ، فاحشة ، ماجنة الاسلوب ، وغالب ماقيلت فيه البلاليق هو الهجاء والمجون وجملة النواحى الاجتماعية . (٣)

فلننظر الى شاعرنا وهو يهجوالناصحى فى بليقته فيقول : (٤)

---

(١) الشعر العامى فى مصر / ٨٠ ، ١٤٦ .
(٢) المصدر نفسه / ١٥٧ .
(٣) النجوم الزاهرة ٩ / ١٣٩ ، الطالع السعيد / ٣١٢ ، ٤٥٦ ، الفن ومذاهبه فى الشعر العربى / ٥٠٢ .
(٤) التذكرة الصفدية "مخطوط" ٣٨ / الورقة ٤٩ ظهر .

في الحلو نسيب قلمك والمالح راحتْ روح الناصحي
ماكان لذاك الأذىْ بارايس
واليوم شيء غير أمس
وذا الجربات الليلة قابس للغادى والرّايحْ
كم كان يْجُور ، كم كان للناس يعسف
كم من روح قَدْ كان يتلف
ويدّعي القوّاد مايعرف إيشْ اتمشَّ البارحْ
بالليل يجي بالفانوس والشمعه
آتي من صوب القلعه
فتش تجد ذا القوّاد القلعه جاء من كوم الجارحْ
وقال سالني السلطان في خفى
من احوال الدُنيا
وقال وطال واتحدث عن اشيا ابن ذا القوّاد رايحْ
اما ترى أنفه ذاك الشايل
يبقىٰ عقلك ذاهل
عمامه قنطار فوق جسم ناحل كانه عصور مالحْ
والمصطبة والبواب والحاجب
والكاتب والنايب
وداخل الدار سموه الصاحب لا وِيّاك الصايحْ
والمرتجه والمنديل والخاتم
والمحتل والخادم
انه كان في زي إبن آدم مثل الثور السارحْ

وهكذا يستمر شاعرنا على هذا النحو في هجاء النمام واتهامه بأشياء غير خلقية .

ولشاعرنا لون آخر من الوان الشعر العامي ، هو الدوبيت ، والدوبيت كلمة فارسية معناها "بيتان" ف "دو" بالفارسية معناها "اثنان" و "بيت" معروفة انه بيت الشعر ، وهي كلمة عربية ، ومن هنا يسهل ملاحظة ان الذي اخترع هذا الفن هم الفرس ، لان ماينظم على وزنه انما هو بيتان اثنان فقط " والدوبيت هو الشكل الوحيد الذي يمكن ان يعد ابن القرن السادس لانه شاع وذاع في هذا القرن بعد أن أخذه العراقيون عن الفرس ، ومن العراق انتشر الى الاقطار العربية الاخرى "(١) ولننظر الى شاعرنا كيف يقول : (٢)

قلتُ وقد عانقته منه فما قاسوهُ الى خاتم يمناهُ فما

والمسك فلو نافسته منه فما واجلت الى أن يعرف الفرق فما

ولشاعرنا ايضا نظم بلون آخر من ألوان الشعر الشعبي اسمه "الحلاوي" فانظر كيف يقول : (٣)

قالت : اريد الضحيا ، قلت ياستار وحياة شبابك كوانوا ما معي قيشار

قالت : فاي ناس بانت الاشعار ماكان يصلح يسلخ هولي سوى الجزار

والالوان العامية نادرة في أدبه ، ولعله نظم بها مجاراة لهوى التيار المعاصر له ، والذي كان سائدا ، فضلا عن اثبات قدرته كشاعر على نظم أمثال هذه الالوان .

• • •

---

(١) الشعر العراقي في القرن السادس الهجري / ١٤٢ .
(٢) لمع السراج "مخطوط" لوحة / ٣٧٩ .
(٣) المصدر نفسه لوحة / ٣٠٧ ، المنشآت الصفدية "مخطوط" لوحة / ٥ .

الفصل الثاني

" الخصائص الفنية لشعـــره "

بعد أن فرغنا من الدراسة التفصيلية للفنون الشعرية عند شاعرنا ، حان لنا أن نلقي عليها نظرة كلية شاملة ، لنعرف الروح التي تهيمن عليها ، والاسلوب الذي يكونها ، اذ لكل شاعر اسلوبه الخاص ، ولغته الخاصة التي تنبعث مـــن طريقة تفكيره ومزاجه وانفعالاته .

فنتناول بالدراسة ، لغته الشعرية ، واسلوبه ، وخياله ، والصورة فـــي شعره وموسيقاه ، فمن العسير أن ندرك فكرة دون صورة ، اوعاطفة مستقلـــة او خيالا بعيدا من التفكير ، او موسيقى منفردة عن التصوير ، ولكني ســـادرس كلا على حدة داخل الاطار الكلي للنص.

ـ لغته الشعرية :

اللغة هي الوسيلة للتعبير عما يجول في النفس ، وهي عبارة عن نظام مـــن العلاقات المكونة من صورة لفظية وصورة فكرية " معنوية " وبينهما تلازم بحيث لا يمكن فصل احداهما عن الاخرى .

" واللغة اداة زمانية لانها لا تعدو ان تكون مجموعة من الاصوات المقطعـــة الى مقاطع تمثل تتابعا زمنيا لحركات وسكنات في نظام اصطلح الناس علـــى أن يجعلوا له دلالات بذاتها . وبهذا المعنى تكون اللغة الدالة تشكيـــــلا معينا لمجموعة المقاطع او الحركات والسكنات خلال الزمن ، او هي في الحقيقـــة تشكيل للزمن تشكيلا يجعل له دلالة معينة تماما كما ان الرسم تشكيل للالـــوان في المكان له دلالته ، او هو تشكيل للمكان ، للمادة بحيث تكتسب معنى خاصا غير ان اللغة وان كانت زمانية في طبيعتها الا انها تحمل في الوقت نفسه دلالا ت

مكانية حتى اننا لنستطيع أن نمد تشكيل الاصوات الزمانية تشكيلا فى الوقت نفسه لحيز مكانى "(١).

وللشعر لغته الخاصة ، يقول د . جابر عصفور(٢): " الشعر تفاعل حسى ولغة وكونه كذلك يعنى ان الشاعر يحاول - دائما - ان يكتشف طبيعة الانفعالات والمشاعر الغامضة - والمراوغة التى تؤرقه اثناء التجربة من خلال اللغة ، واللغة بهذا المعنى ليست وعاء للفكر ، او كساء له ، بل انها الوسيلة التى نكتشف بها الفكرة الشعرية ذاتها . انها اداة الشاعر ووسيلته فى الاكتشاف والتحديد والتعرف ولا يرجع نجاح الشاعر فى سيطرته على تجربته وتمكنه منها الا الى قدرته على تكوين علاقات لغوية جديدة تتكشف من خلالها التجربة ويتحدد بها الفكر ذاته . ان الشاعر يحتضن الكلمات ويتأملها ويعيد تشكيلها ، بل انه قد يغير من صياغتها ويحطم من انسقتها ونظامها العرفى الثابت ، ويخلق لنفسه نظاما فريدا خاصا به ".

فما هو نظام الوراق فى لغته الشعرية ؟

لعل اول ما يطالع القارئ لشعر الوراق الوضوح والسهولة ، ويمكننى أن أدرج جل شعره امثلة للسهولة ، فما مر بنا من شعر فى فنون شعره تعتبر نماذج تؤكد ما اقوله ولست ارى هنا داعيا لذكر نموذج وذلك لكثرة ما مر بنا .

ويمكننى تعليل هذه السهولة فى لغته الشعرية ، وضعف البناء أحيانا بتدنى المستوى الادبى العام فى العصر المملوكى ، ونزول الشعر الى واقع

---

(١) التفسير النفسى للادب / ٥٥ .

(٢) الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى / ١٢٨ .

الحياة بعد أن كان يعيش فى أبراجه العاجية ، فضلا عن عدم اهتمام الحكام بالعربية لكونهم أعاجم ، لذا هبط نسبيا المستوى الشعرى للعصر بأجمعه "لان اللغة كائن حى تخضع لما يخضع له الكائن الحى فى نشأته ونموه وتطوره ، وهى تتطور بتطور هذا المجتمع ، فترقى برقيه وتنحط بانحطاطه "(١).

فنرى مثلا بعض التراكيب الضعيفة فى شعر شاعرنا من مثل قوله : (٢)

ومهفهفٍ عنّى يميلُ ، ولم يَمِلْ يوماً إلىّ ، فقلتُ من ألم الجوى
لم لا تميلُ إلىّ يا غُصنَ النّقــا فأجاب : كيف وأنت من جهة الهوى

فالتركيب هنا فى " كيف وانت من جهة الهوى " قريب من الاساليب الشعبية وقد استخدم فيه فن التورية ، فورى فى كلمة " الهوى " والتى معناها القريب المتبادر الى الذهن هو الهواء والبعيد هو " الحب ".

لكن أحد الباحثين يعتقد ان ميل الشعراء الى امثال هذه التراكيب على أنها تراكيب مولدة ، فيها مافيها من جمال وخفة ، فكأنما هى اضافة فى تصور شعراء العصر ، لذا شاعت امثال هذه التراكيب فى القرن السادس والسابع ، وما تلاه من عصور (٣) .

كما يستخدم شاعرنا احيانا بعض الكلمات البذيئة من مثل قوله : (٤)

---

(١) الشعر العراقى فى القرن السادس الهجرى / ٢٩٧ .
(٢) مراتع الغزلان " مخطوط " لوحة / ٨٩ ، خزانة الادب / ٣٠٥ ، فوات الوفيات ٣ / ١٤٦ ، تمام المتون / ٣٤٢ ، كشف اللثام / ٢٢ ، انوار الربيع ٥ / ٢١ ، ثمرات الاوراق ٢ / ٢٨٤ ، الوسيلة الادبية ٣ / ١٢٢ ، عصر سلاطين المماليك ٨ / ٤٧٦ .
(٣) الشعر العراقى فى القرن السادس الهجرى / ٢٩٨ .
(٤) الغيث المسجم ١ / ٢٦٥ ، ٢ / ٣٠٠ ، خزانة الادب / ٣٠٣ ، فوات الوفيات ٣ / ١٤٤ ، انوار الربيع ٢ / ٢٠٨ ، كشف اللثام / ١٩ وفى المصدر الاخير صدر البيت كالاتى : " وقائل لى لما ان بدا قلقى " معاهد التنصيص ٢ / ١٨٣ وفيه عجز البيت الاول كالاتى : " لطول وعد وآمال تمنينا ".

وقائلٍ لي لَمَّا أَنْ رأى قلقــي   لطول وعدٍ وآمالٍ تُمَنِّينــا
عواقبُ الصَّبرِ فيما قال أكثرهــم   محمودةٌ قلتُ: أخشى أَنْ تُخَرِّينا (١)

ولا تعدم لشاعرنا كلمات أعجمية يستخدمها فى شعره مثل كلمة " جاويــش " التى فى قوله : (٢)

وقد أعلنَ الجاويش باسمك فى غدٍ   فذكرك فى اقطارها مَدَدَ الفَرْشِ

وكلمة " زنهار " التى فى قوله : (٣)

ولكم أقولُ ولا تفيدُ مقالتـــى   "زنهارُ" من حركاته زنهــارُ

وكلمة " السَّمَنْدَلُ " والتى لا تسعفنى المعاجم فى فهم معناها فى قوله : (٤)

حتى لَقَدْ تَعَجَّبَ السَّمَنْدَلُ   من بقا جسمي وحشوهُ جمــر *

ولعل استخدامه للكلمات الاعجمية لغرض فنى ، اذ يحاول اعطاء ابعــاد أوسع للنص ، وربما للاستملاح ، وهى ظاهرة من ظواهر العصر المملوكى ، ولا يمكن تفسيرها على انها ضعف فى شاعريته لانه شاعر متمكن .

كما يستخدم شاعرنا أحيانا المصطلحات العلمية فى شعره ، فمن ذلك مثــلا قوله : (٥)

لها إبطاءُ حزنٍ بعد حُــزنٍ   وإكفاءٌ له مع لا يُصــانُ
واقواءٌ برفعٍ فوقَ نَعْــشٍ   وخفضٌ فى اللحودِ له مكــانُ

---

(١) محمودة باسم نبات يتخذ للاسهال . فوات الوفيات ٣/ ١٤٤ .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٢٥ .
(٣) تمام المتون / ١٢١ .
(٤) لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٣٠٨ .
(٥) الكوكبة الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣١١ ، ذيل مرآة الزمان / ٧٦ ، الغيث المسجم ٢/ ٤١٧ ، الادب فى العصر المملوكى ٢/ ١٥٢ .

* السمندل : طائر بالهند لا يحترق بالنار . القاموس المحيط .

والابطاء ، والاكفاء والاقواء ، مصطلحات عروضية .

وشاعرنا يستخدم الصيغ المهجورة احيانا ، ولربما يريد ان يعطى لغته الشعرية الوانا وافاقا اخرى من مثل استعماله لكلمة " القصود " فى قوله : (١)

ضاعت وضاعت برغمى   قَصائدي وقصودي

فهو قد جمع قصد على قصود ، حتى ان الصفدى اعترض على جمع كلمة قصد على قصود ، وقال : " لو قال مقاصدى وقصيدى لاستراح من جمع قصد على قصود " (٢) .

. . .

(١) و (٢) نشاط الصفدى فى النقد والبلاغة /١٥٦ .

- أسلوبه :

الملاحظ على أسلوب الوراق المتسم بالوضوح ، كثرة استخدامه للجمل الاعتراضية فمن ذلك قوله : (١)

إنَّ عيني - وهي عضوٌ دنفٌ - ماعلى ماكابدتهُ جلدُ
ماكفاها بُعدها منك السوى أن دهاها - وكُفيتَ - الرمدُ

ويستخدم الجمل المعترضة للتوضيح والدعاء ، فمن ذلك قوله : (٢)

إنَّ الثمانين - وبلغتها - في صحبة حادثات الزمان
قد احوجت سمعي وطرفي معاً ومنطقي ايضاً الى ترجمان

فقوله : وبلغتها يفيد الدعاء ، وهى جملة معترضة بين اسم ان وخبرها والواو فيه اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية .

كما يستخدم مجموعة من الممكنات التى أبيح للشاعر استعمالها دون غيره ، وهى المسماة بالضرورات الشعرية ، مثل قصر الممدود ، ومد المقصور ، وتنوين مالا ينصرف من مثل قوله : (٣)

وذي بُخلٍ بجمع المال أضحى وهو مشهورُ
كأنَّ دراهماً نبتت بكفيه مساميرُ

فالوراق فى بيته الثانى يصرف الممنوع من الصرف وهى كلمة " دراهم " ويمكن ان نشير بهذا الصدد الى أن شاعرنا مد كلمة " الزنا " المقصورة وجعلها " الزناء " وذلك ليقيم الوزن فى قوله : (٤)

---

(١) انوار الربيع ١٤١/٥ ، معاهد التنصيص ٢٧٣/١ ، الوسيلة الادبية ١٢٦/٢ .

(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٤٠٦ .

(٣) المصدر نفسه / ٣١١ .

(٤) سحر العيون " مخطوط " ... / ١٧٢ ، فوات الوفيات ١٧/٣ ، تشنيف السمع / ٥٤ .

ودموع في إثرهنّ دمـــاءٌ   كانسكاب الولىّ بعد الوسمـي
يتراكضن بين شُهب وحمـر   والغواني يبكين حولي بدهـم
وزناء العيون تطهيره مــن   شُهب الدّمع في الظلام برجـم

بينما قصر الممدود في موضع آخر لاستقامة الوزن ، من مثل كلمة " الثناء " اذ يجعلها " الثنا " في قوله الاتي : (١)

انا مالمتك في رفض الثنـــا   وأرى العاقل أولى من عـــذر
أيّ ودّ وولاء يُرتجــــى   من شريف حلّ بيّ في عُمــر

بيد أن شاعرنا كان أحيانا يتجاوز تلك الممكنات المباحة وذلك في مواضع قليلة كرفع كلمة " الصواب " في البيت التالي تمشيا مع : قافية القصيدة وان كان من حقها النصب في قوله : (٢)

ووافقه عليّ ما قال أهلـــي   كذاك يُعانُ من قال الصـــوابْ

ووصف المثنى بالجمع في قوله : (٣)

رمتني بعينيها المراضي وأعرضت   فالمني وقع السهام ونزعهــــا

وعدم جزم الفعل المضارع في جواب الطلب مع أن قصد الجزاء واضح كقوله : (٤)

وبسحر ذاك الجفن فأت لبابل   تأتي بسحّار هناك عليـــم
ياغصن قامته اليك تحيتــي   مع كل ماطرة ، وكل نسيـــم

فالفعل " تأتي " في البيت الاول لم يجزم للضرورة ، وكان من حقه الجزم .
ويستخدم شاعرنا اسلوب الرسائل في شعره ، فمن ذلك قوله يخاطب أحد أصدقائه قائلا : (٥)

---

(١) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٨ .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٦٠ .
(٣) صرف العين " مخطوط " لوحة / ١٠٤ ، سحر العيون " مخطوط " / ٢٥٣ ، تشنيف السمع / ١١٣ .
(٤) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٧١ .
(٥) المصدر نفسه لوحة / ٢٤٣ .

وهي في طيّ خدمتي هذه جا ـئك بكراً تمشي على استحياءِ
ولي العذرُ فيك عن حسن ظنّي ـبك إِذْ لم أخف على العذراءِ
فأقبلنها ولا تدبر معانيـــــ ـها فتأتي إِذن لها من وراءِ

ويطالعنا هذا الاسلوب غالبا في اخوانياته ، ومساجلاته الشعرية مــــع اصدقائه ،وستطالعنا هذه الظاهرة عند الحديث عن مطارحاته الشعرية .

وفي بعض المواضع يستخدم اداة الفصل بين فكرتين ، وأداة الفصل عنده هو " هذا " كقوله : (١)

لا تحجب الطيف ،إنّي عنه محجوبُ لم يبقَ منّي لفرط السُّقم مطلوبُ
هذا وخدّك مخضوبٌ يُشاكلُـــهُ دمعٌ يفيضُ على خدّيَّ مخضوبُ

وكثيرا مايستخدم الوراق اسلوب الحوار ، ولربما لخيال الظل تأثير كبيـــر عليه في هذا المجال ، وخاصة ان صديقه ابن دانيال اشتهربباباته ،فشاعرنــا يقيم حوارا بين الاشياء التي لاتنطق ولا تعقل ، كالحوار الذي حصل بيــــن المطبخ والصابونة الذي اتسم بالحدة والمناوشة في قوله : (٢)

دل بها صابونة خاصمت لي مطبخاً فانتصفا شتمـــــــا
قال لها : من بعض ما قــــا ل : يا رمداء ،قالت : أفّ يا أعمى
قال لها : فيك رماد ، فقالت : جزت يا بارد بي علمـــــا

وكالحوار الذي حصل بين حبتين من القطائف في قوله : (٣)

---

(١) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٢١٢ ، المنهل الصافي " مخطوط "/ ٦ / الورقة ١٤٨ ظهر ، النجوم الزاهرة ٨٣/٨ .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٣٧٤ .
(٣) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ١١ .

قطائفُ الحشو قالت لاختها في المقالي

كل الورى لي محبٌ بحيث مالي قالي

وفي حسن معانٍ على خوان معالي

فجاوبتها بنضج وحدة في المقالِ

الدستُ لي وأنا وحدي فَسَلْمي لي حالي

وإن تجلى بنا الصدر حلى ذاتِ الجمالِ

أين اللجين من التبر قيمه عند حالِ

وهو في أبياته الحوارية السابقة يقوم بعملية اسقاط لشاعره على الاشياء .

كما يستخدم اسلوب الحوار ، وهو ما يسميه البلاغيون المراجعة ، ويسميه بعضهم السؤال والجواب . من مثل قوله : (١)

قالت السُّمرُ لأغصانِ النَّقا إذْ ثَنى عطفيهِ هذا الهَيَفُ

وكذا الغزلانُ قالت لِلمَها إذْ رأتْ جفنيه هذا الوَطَفُ

ماعرفنا البدرَ من طلعته لا اشتباه ثم لولا الكَلَفُ

ياغنيَّ الحسن دمعي سائلٌ فتصدق ، قال : لم لا يقفُ

قلتُ : ماتعرفُ ما أوجبَ ذا قال : لاتسألنْ عمّا أعْرِفُ

ومن المراجعة ايضا قوله : (٢)

لقنتهُ العُذْرَ من تر ك حاجتي لو تَصَوَّرْ

قلتُ : أنسيتَها والنسـ . . . يان أمر مقدَّرْ

قال : لستُ بناسٍ قلتُ : مولايَ أخبَرْ

---

(١) تاهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ١٨٤ ، صرف العين " مخطوط " لوحة / ١٠٦ ، مراتع الغزلان " مخطوطة " لورقة / ٥٧ ظهر، خلع العذار " مخطوط " الورقة / ١٣ .

(٢) الغيث المسجم ١/ ٢٦٣ ، معاهد التنصيص ٣/ ١٨٣ ، انوار الربيع / ٢/ ٢٠٨ .

ولشاعرنا حوار مع حبيبته فيقول لها (١) :

شكوتُلها لهباً فى الحشـــا   فقالت: وكل سراج كـــذا
فقلتُ: ولمتُبعد ينـــو إذاً   فقالت: بنارك اخشى الأذى
فقلتُ: سَتُخْمِدُها أدمعـــى   فمنّى بقرب فقالت: إذا

ومن حواره قوله مخاطبا الجزار (٢) :

قلتُ يحيى ، فقالتْ لى ابن زيا   د قلتُ لا ،قال لى بأراهُ تزندق

ومن خصائص اسلوب شاعرنا التهكم والسخرية والصراحة والجرأة فى التعبيـــر
وقد مر بنا سخريته اللاذعة فى هجائه للبخلاء ، ومن ذلك ايضا قوله : (٣)

وسائلٍ يسألُ منّى وقـــد   أنشدتُ شعراً دونَه الشِعـــرى
يقول لى: إنْ كنتُ فى معشـرٍ   قد عبدوا البيضاء والصّفـــرا
هل حصلتْ دائرةٌ بينهـــم   قلتُ: بلى بطيخة خضـــرا (٤)

ومن تهكمه وسخريته قوله أيضا : (٥)

كُلّما جئت اليـــه   قال لى البواب : راقـــد
قلتُ : هذا صارفـــى   عدّة أهل الكهف زائـــد
قال : لا بل هو فـــى   بابهم ثانٍ لواحـــد

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٩٥ .
(٢) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣٠٧ .
(٣) خزانة الادب / ٣٠٣ ، الغيث المسجم ١ / ٢٦٣ ، كشف اللثام / ٢٠ ،
مصاهد التنصيص ٣ / ١٨٢ .
وعجز البيت الاول فى الغيث المسجم ومصاهد التنصيص كالاتى :
" أنشدتُ شِعراً يُشْبِهُ الشِعرى " .
(٤) عجز البيت فى الغيث المسجم ١ / ٢٦٣ ، ومصاهد التنصيص ٣ / ١٨٢
كالاتى : " قلتُ نعم بطيخة خضرا " .
(٥) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٨٨ .

فقد جعل الذى أتى عليه ، وقيل له انه راقد ،كلبا زاد على كلب اهل الكهف ، فكان كلبا ثانيا .

وهذا الاسلوب يتسم بالجرأة والتهكم فى قوله الذى مر بنا .

ولشاعرنا قدرة على تناول الناحية النفسية ، وما وراء الصور والاجسام الماثلة ، وقد مر ذلك بنا فى ذمه للبخلاء .

ويميل فنه عموما الى الهدوء ، فهو ليس بالصاخب ، ولا العنيف ، ولكنه اشبه بالابتسامة العميقة الحلوة ، أو النغمة العذبة الفاتنة .

وهو فى شعره يقتبس من واقع الحياة ،فجعل مادته الشعرية تعالج امورا حياتية ، فهو يتناولها ويشكلها بشعره ، من ذلك مثلا وصفه لبيته ومطبخه وخادمه ، وزوجه ، واولاده ، وما يدور بينه وبين اصدقائه من مراسلات وهدايا وحديثه عن البخلاء ، ووصفه لادق الاشياء سواء من الطبيعة الصامتة أو المتحركة .

ويميل شاعرنا الى الصنعة فى اسلوبه ، وما ذلك الا لاعجابه بالفنون البديعية ، ففى شعره الوان البديع المختلفة كالتورية التى غلبت على شعره كما نجد الكناية ، والتدبيج ، والتكرار ، والتضمين ، والجناس ، والاعتراض ، والاكتفاء ، والتعريض ، والتلميح ، والتوجيه ، والاطراد ، والطباق ، والقول بالموجب ، والالغاز ، والنوادر ، وحسن التعليل .

وسأتكلم عن هذه الفنون منفردة عند دراسة الفنون البديعية فى شعره فى الفصل التالى .

وجمل الوراق عموما تميل الى البساطة فى تركيبها ، وما ذلك الا نتاج نفسه البسيطة ، فهى تشبهها تركيبا وتنوعا ، وما مر بنا من امثلة يكفى شاهدا على ذلك .

ويكثر شاعرنا فى اسلوبه من استخدام التشبيه بطريقة فنية بارعة والتشبيه هو "علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما ، او اشتراكهما فى صفة او حالة ، او مجموعة من الصفات والاحوال ، وهذه العلاقة قد تستند الى مشابهة حسية وقد تستند الى مشابهة فى الحكم او المقتضى الذهنى الذى يربط بين الطرفين المقارنين "(١) ومن تشبيهاته قوله مثلا :(٢)

وليلةَ زارت والثريا كأنهـــا ... نظاماً وحسناً عقدها وابتسامهـا

وحيّت ، فأحييت مالأماتَ صدودها ... وردّت ، فردّ الروح فيّ سلامهـا

وكم ليلةٍ سامرتُ فيها نجومهـا ... كأنّي راعٍ ضلّ عنه سوامهـا

كأنّ الدراري والهلال ودارة ... حوته وقد زانَ الثريا التئامهـا

حبابٌ تعالى فوقَ زورقِ فضّـة ... بكف فتاة طاف بالرّاح جامُهـا

كأنّ نجوماً فى المجرّةِ خـرّد ... سواقٍ رماها فى الغدير رخامها

كأنّ رياضاً قد تسلسل ماؤها ... فشقّت أقاحيها ، وشاق خزامهـا

كأنّ سنا الجوزاء اكليل جوهـر ... أضاءت لآليه ، وراق انتظامهـا

كأنّ له النسرين فى الجوّ غلمةً ... رماة رمى ذا دون هذا سهامهـا

كأنّ سهيلاً والنجـوم وراءه ... صفوف صلاةٍ قام فيها إمامهـا

كأنّ الدجى هيجاء حرب ، نجومه ... أسنتها ، والبرق فيها حسامهـا

كأنّ النجوم الهاويات فوارس ... تساقط مابين الاسنّة هامهـا

كأنّ سنا المريخ شعلة فـارسٍ ... تلوحُ على بُعْدٍ ، ويخفى ضرامهـا

كأنّ السُهى صبٌّ سهانحو إلفه ... يراعي الليالي جفنه لاينامهـا

كأنّ خفوق البرق قلبُ متيّـم ... رأى بلدة الاحباب اقوى مقامهـا

كأن الثريا أُفقه فى انبساطها ... يمين كريم لايخاف انضمامهـا

---

(١) الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى / ١٨٠ .

(٢) حلبة الكميت / ٣٧٠ .

فالقصيدة كلها تشبيهات فضلا عن التكرار المتمثل بالأداة " كأن " .

ويشبه الوراق القد بالغصن ، والنهد بالرمان فيقول : (١)

أقولُ لهم : شَبّهتُ بالغُصن قَدّها   فقالوا : رأينا قدّها منه أرشقا

فقلتُ : وبالرّمان شبهت نَهدَها   فقالوا : إذن شبّهت شيئاً محققا

كما يشبه تراكيب الوجه بالحروف ، فيشبه الحاجب مثلا بحرف النون ، والفم بحرف الميم ، والقد بحرف الالف ، ومن ذلك قوله : (٢)

إنَّ في وجهك للراجي نِعَم   وعلىٰ ذلك دَلّت أحرفُ

حاجبٌ نونٌ ، وعينٌ وفمٌ   هو ميمٌ ضاق عنّا أَصِفُ

قال قد صرّح من حسني بلا   عارض لام وَقَدٍّ أَلِفُ

كما يكثر شاعرنا من استخدام الاستعارة في شعره ، وقد حدد لنا الرماني الاستعارة فقال : (٣) " هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل للابانة " . ومن استعارات شاعرنا قوله : (٤)

يابني الآداب قد مات الحِجا   وقد اشتد ، وقد عزّ النجباء

سفن الآمال في بحر المنى   وجلت منّا ، فأين الرؤساء

---

(١) المنتخب من تأهيل الغريب " مخطوط " الورقة / ٥١ ، كشف اللثام / ٢٣ ، خزانة الادب / ٣٠٥ .

(٢) تأهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ١٨٤ ، صرف العين " مخطوط " لوحة / ١٠٦ ، خلع العذار " مخطوط " الورقة / ١٢ ، مراتع الغزلان " مخطوط " الورقة / ٥٧ ظهر .

(٣) نهاية الارب ٤٩/٧ .

(٤) عز الادب " مخطوط " لوحة / ١٠ ، خزانة الادب / ٣٠٣ وفيه البيت الاول كالاتي :

يابني الآمال ، قد خاب الرّجاء   وقد اشتدت ، وقد عزّ العزاء

مجلة العربي العدد ٧٢/١٤٩ .

فتأمل جمال الاستعارة المتمثلة " بسفن الامال في بحر المنى " ومن استعاراته الجميلة قوله : (١)

وأضحك دمع الغيث من زهر الربا   ثغور الأقاحي ، من شفاه الكمائم

والاستعارة اللطيفة في " دمع الغيث " و " ثغور الاقاحي " و " شفاه الكمائم " وهذا يعود لخياله الخصب .

ومن استعاراته قوله أيضا : (٢)

أدارت من لواحظها كؤوسا   فعطلت المدام الخندريسا

فجمال الاستعارة في كون لواحظها كؤوسا .

ومن خصائص اسلوب شاعرنا ، الدقة في اختيار الكلمات ، وطريقة استخدامها بحيث تكون اكثر أمانة في حمل المعنى المراد ، كقوله مثلا : (٣)

ولي راتبٌ في كل شهر ينضُّ لي   ثلاثين يوماً جاريات لقسطاسِ

ثلاثين صحّت عن حساب محرّر   لضربي في الاسداس منّي بأخماسِ

فكلمة " ينض " التي تعني انه يخرج رشحا ، او يسيل قليلاً قليلا ، هذه الكلمة مستعملة في موضع لا يمكن اقصاؤها عنه ، ووضع البدائل بدون تشويه الشعر ، وهي تصور مدى شح راتبه ، والترقب المصحوب بالشوق الى اكتمال الثلاثين الصحيحة ، والتي يحسبها الشاعر خمسة خمسة ، وستة ستة .

ومن دقة استخدامه للالفاظ قوله : (٤)

وسكرتُ من رشفي مُدام رضابها   وختامه مسك اللمى المتضوّع

فانظر كيف استخدم " مسك اللمى " بموقعها الجميل ، ومعناها

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٧٥ .

(٢) المصدر نفسه / لوحة / ٣٢٠ .

(٣) المصدر نفسه لوحة / ٣٢٢ .

(٤) المصدر نفسه لوحة / ٣٣٥ .

البديع ، حيث يقصد فيه لعاب الحبيبة الذى رطب الشفتين السمراوين نتيجة القبلة ، فكان كالمسك المتضوع .

ولشاعرنا هفوات عروضية احيانا ، فمن ذلك بناء القافية على حرف ليس عروضيا كقوله : (١)

أَدِيرُ بلحيتي البيضاء كأسي بكيس زائدٍ منّي وفضّه

فالهاء ليس من حروف القافية ، وهذا يعد عيباً عروضياً .

كما نلمس الايطاء احيانا فى شعره ، والايطاء من العيوب العروضية ، وهو تكرار الكلمة الواحدة فى القصيدة بين البيتين والثلاثة من مثل تكراره لكلمة " الكرام " فى قوله : (٢)

إنَّ الدراهمَ سُمُّها أَلمٌ يشقُّ على الكرام

ثم ياتى بعد بيتين ليقول :

ولخوفها من ذا وذا ك تفرُّ من أيدي الكرام

وهناك ظاهرة غالبة على شعر الوراق ، هى كثرة المقطعات الشعرية ، فما الدواعى التى دفعته الى النظم على شكل مقطعات ؟

لقد لاحظ الدارسون لهذا العصر ، شيوع ظاهرة المقطعات بشكل واسع فحاول الاستاذ أحمد أمين تعليلها بأن قائلها يريد النكتة ، أو سرد طرفة (٣) ، بينما حاول د . عز الدين اسماعيل تعليلها بقوله (٤) : " انها تجسم موقفا بسيطا " .

---

(١) الحواضر ونزهة الخواطر " مخطوط " الورقة / ٣٦٢ .

(٢) معاهد التنصيص ١ / ٢٠٨ .

(٣) ظهر الاسلام ٢ / ١٠٢ .

(٤) الشعر العربى المعاصر / ٢٤٦ .

والواقع ان الآراء التي مرت هي من باب التعليلات العامة ، لكن اذا جئنا الى شاعرنا ، وحاولنا دراسة وتحليل ظاهرة المقطوعات عنده ، دار في الذهن السؤال التالي : هل ظاهرة المقطوعات تعود لضعف القابلية الشعرية لدى الشاعر ؟ .

في اعتقادي أن الوراق شاعر متمكن ، وهو شاعر زمانه بلا مدافعة كما يقول ابن تغري بردي [1] ، فهو ينظم القصائد الطوال الى جانب القصار ، فلا وجه للقول بتدني شاعريته .

أما كثرة مقطوعاته فأراه يعود لسببين :

الاول : هو كثرة المجالس الادبية التي شاعت في زمانه ، وقد عرف شاعرنا بحبه لهذه المجالس ، ومشاركته فيها ، ومطارحاته الشعرية مع اصدقائه من الشعراء .

والثاني : ويعتبر على جانب من الاهمية ، هو غرام شاعرنا بالفنون البديعية ، وانه من اصحاب مدرسة البديع ، وعلى هذا ينظم البيتين والثلاثة لنكتة بلاغية ، وستطالعنا هذه الظاهرة بشكل بارز في الفنون البديعية التي سندرسها في شعره في الفصل القادم بحول الله .

• • •

---

(١) النجوم الزاهرة ٨ / ٨٣ .

- خياله :

لم يعرف النقد العربى الاحتفال بالقوى النفسية ذات الشأن فى انتاج الشعر فالشعر العربى فيه اشارات عن الطبع والذكاء ، وحدة القريحة والفطنة .

أما الحقيقة الشعرية فقد فهموها فهما خاطئا ، اذ تتردد عند النقاد بين " القصد والمبالغة " فقد قرب بين الشعر والخيال المقصوص الجناح آنا ، واعتبر الخيال آنا آخر تجاوزا وانحرافا يحمد أو لا يحمد ، وهذا الانحراف هو الذى يطلق عليه لفظ الكذب. (١)

أما الدلالات العربية القديمة لكلمة " الخيال " فانها لا تشير الى القدرة على تلقى صور المحسوسات واعادة تشكيلها بعد غيابها عن الحس ، بل انها تشير الى الشكل والهيئة والظل ، كما تشير الى الطيف او الصورة التى تتمثل لنا فى النوم او احلام اليقظة ، او فى لحظات التامل عندما نفكر فى شىء أو شخص .

وجلى أن مثل هذه الدلالات ليست هى ما نشير اليه بالكلمة فى المصطلح النقدى الحديث ، وربما كانت الصلة الوحيدة التى يمكن ان تقوم بين الدلالات القديمة والحديثة هى أن بعض الدلالات القديمة لكلمة " الخيال " تشير الى مانسميه الان بالصورة الذهنية ، أى انها تشير الى مادة الخيال لا الى ملكة الخيال نفسها .

فالمعروف عند العرب التخيل ، وكلمة تخييل ترادف لغويا " الوهم " و " التمثيل " تقول مثلا تخيلته لى ، كما تقول تصورته فتصور ، وتوهم الشىء تخيله وتمثله ، سواء أكان فى الموجود ام لم يكن .

---

(١) الصورة الادبية / ١٠ .

ويمكن أن نجد لكلمة " التخييل " بهذه الدلالات شواهد من الاستعمال اللغوى فى عصور الادب المختلفة. (١)

فالخيال اذن فى المفهوم القديم هو والوهم شئ واحد ، وهذه النظرة كانت عند أرسطو والنقد العربى ، وحتى عصر الكلاسيكيين الذى عبر عنهم لابروبير الكلاسيكى الفرنسى ، فقال (٢) : " يجب ان لا تحتوى احاديثنا أو كتبنا على كثير من الخيال ، لانه لا ينتج غالبا الا افكارا باطلة صبيانية ، لا تصلح من شأننا ، ولا جدوى منها فى صواب الرأى ، او قوة التمييز او السمو بحالنا ، فيجب ان تصدر افكارنا عن الذوق السليم ، والعقل الراجح ، وان تكون اثر لنفوذ بصيرتنا ".

بل ان الكلاسيكيين يرون الخيال قسمة مشتركة بين الانسان والحيوان ويقيدون الشاعر بقيود نظرية " المحاكاة " لئلا يضل فى متاهه.

وقد تحقق اعظم تحول فى مفهوم الخيال بفضل الفيلسوف الالمانى "كانت" اذ يرى " كانت " أن الخيال اجل قوى الانسان ، وانه لا غنى لاية قوة اخرى من قوى الانسان عن الخيال.

وبعد كانت اتى الرومانتيكيون ، ثم اصحاب المذاهب الحديثة اليوم فتتبعوه فى تقدير خطر الخيال عند الادباء وفهمه فهما حديثا.

ويفرق ورد زورث بين الوهم والخيال ، ويقرر سمو الثانى ، وخطر الاول ، فالوهم سلبى يغتر بمظاهر الصورة ويسخرها الشاعر فردية عرضية ، اما الخيال فهو العدسة الذهبية التى من خلالها يرى الشاعر موضوعات مايلحظه اصيلة فى شكلها ولونها. (٣)

---

(١) الصورة الادبية / ١٠

(٢) الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى / ١٥ .

(٣) النقد الادبى الحديث / ٤١٢ .

وتأثر "كولبردج" بفلسفة "كانت" فى دراسة الخيال ، وقسم الخيال الى نوعين الخيال الاولى ، والخيال الثانوى .

فالخيال الاولى : هو القوة الحيوية والعامل الاول فى كل ادراك انسانى ، وهو عملى فى وظيفته ، ويقابل مايدعوه "كانت" الخيال الانتاجى ، فكل ادراك عملى لابد فيه من هذا النوع من الخيال .

أما الخيال الثانوى : فهو صدى للخيال السابق ، ويصطحب دائما بالوعى الارادى وهو يتفق مع الخيال الاولى فى نوع عمله ، ولكنه يختلف عنه فى درجته وطريقة عمله ، لانه يحلل الاشياء ، أو يؤلف بينها ، او يوحدها ، او يتساوى بها ليخرج من كل ذلك بخلق جديد ، ومجاله الفن ، وهذا النوع من الخيال يدعوه "كانت" الخيال الجمالى (١) .

والواقع ان خير من اهتم بالخيال ، وتفرد به هم الرومانسيون من شعراء القرن الثامن عشر ، اذ خلعوا على الخيال اهمية خاصة ، فهو عندهم شىء أساسى لانهم يعتقدون أن الشعر بدونه مستحيل ، وهم يرون ان الخيال وحده هو الذى يجعل منهم شعراء . (٢)

يشير الاستخدام اللغوى المعاصر لكلمة "الخيال" الى القدرة على تكوين صور ذهنية لاشياء غابت عن متناول الحس . ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة فى مجرد الاستعارة الالية لمدركات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه بل تمتد فاعليتها الى ماهو أبعد وارحب من ذلك ، فتعيد تشكيل المدركات وتبنى منها عالما متميزا فى جدته وتركيبه ، وتجمع بين الاشياء المتنافرة ، والعناصر المتباعدة فى علاقات فريدة ، تذيب التنافر والتباعد وتخلق الانسجام والوحدة .

---

(١) الصورة فى الشعر العربى / ٢٣ ، النقد الادبى الحديث / ٤١٤ .
(٢) الخيال الرومانسى / ٥ - ٦ .

ومن هذه الزاوية يظهر جانب القيمة الذى يصاحب كلمة " الخيال " فى المصطلح النقدى المعاصر ، والذى يتجلى فى القدرة على ايجاد التناغم والتوازن بين العناصر المتباعدة والمتنافرة داخل التجربة . ويجنح الناقد عادة الى القول بأن نوعية الخيال وامكانيته وفاعليته هى ماتميز الفنان المبدع عن غيره . وكأن قيمة الشاعر واصالته ليست الا هذه الخاصية . وليس ذلك بالامر الغريب ، فاننا عادة ماتصف ابداع الشاعر على اساس قدرته الخيالية المتميزة ، وعادة مانذهب الى القول بأن خيال الشاعر هو الذى يمكنه من خلق القصائد ، وينسج صورها من معطيات الواقع ، ولكنه يتجاوز حرفية هذه المعطيات ، ويعيد تشكيلها سعيا وراء تقديم رؤية جديدة متميزة للواقع نفسه . والخيال الشعرى بهذا الاعتبار نشاط خلاق لا يستهدف ان يكون مايشكله من صور نسخا او نقلا لعالم الواقع ومعطياته او انعكاسا حرفيا لا نسقه متعارف عليها ، او نوعا من انواع الفرار ، اوالتطهير الساذج للانفعالات ، بقدر مايستهدف ان يدفع المتلقى الى اعادة التأمل فى واقعه ، من خلال رؤية شعرية ، لاتستمد قيمتها من مجرد الجدة او الطرافة ، وانما من قدرتها على اثراء الحساسية وتعميق الوعى .

ومن خصائص الخيال الشعرى الاصيل انه يحطم سور مدركاتنا العرفية ويجعلنا نجفل لائذين بحالة من الوعى بالواقع ، تجعلنا نشعر كما لو كان كل شىء يبدأ من جديد ، وكما لو كان كل شىء يكتسب معنى فريدا فى جدته وأصالته . (١)

---

(١) الصورة الفنية / ١٣ .

والصورة هى أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التى يمارس بها من خلالها فاعليته ونشاطه (١).

ومصدر جمال الصورة ينبع من كونها صورة كما يقول الناقد جان بارتليمى (٢).

والخيال فى شعر شاعرنا الوراق يخلق لنا صورا لطيفة ، تخضع لطبيعة تشكيله الحسى ، وفكرته هو ، اذ يكشف لنا موقفا من مواقفه مع وجه صبوح حين يطارح الهيفاء الهوى بنظراته الدافئة ، فيصطنع بخياله صورة من صور الاتصال الجنسى فيقول : (٣)

نَظَرتْ من خلل السجـ ..... ـف كشمس من دجـون
وعلينا رُقبـاء هجروا نومَ العيـون
فتطارحنا هوانـا برسالاتِ الجفُـون
وَزَنَينا بعيـون وَرُجِمْنا بظُنُـون

فقد صور لنا بخياله هذه الصورة ، والتى هى لون من تفكيره الحسى تجسم فى هذا المشهد ، فلم يجد شاعرنا بدا من ان يتبناه حتى يعانق نفسه .

وبخياله الوادع يصطنع صورة اخرى من صور الاتصال الذى يقتضى الاغتسال ، ولما كان الاتصال من نوع خاص ، فهو يغسل العين الزانية بماء من نوع خاص ، وهو الدمع فيقول : (٤)

---

(١) الصورة فى الشعر العربى / ٣٠
(٢) بحث فى علم الجمال / ١٧٧ .
(٣) تشنيف السمع / ٥٤ .
(٤) الحجة فى سرقات ابن حجة " مخطوط " الورقة / ١٣٠ ، روض الادب " مخطوط " / ١٨٣ ، سحر العيون " مخطوط " / ١٧٢ ، ريحانة الالبا ١ / ٢٦ ، وفيه صدر البيت الاول كالاتى : " يانازح الدار مُرْ نومى يعاودنى " ، فوات الوفيات ٣ / ١٧ ، ١٤٦ وفيه عجز البيت الاول كالاتى :
" فقد بكيتُ لفقد النازحين دما "
تشنيف السمع / ٥٥ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥ / ٩١ .

يانازحَ الطَّرفِ مُّرْ تومي يُحاود نسي فقد بكيت لفقد الظا عنين دَمَا
أوجبت غُسلاً على عيني بأدْ مُعِها فكيف وهي التي لم تبلغ الحُلُما

فقد كنى كناية جميلة عن الزنا فأتى بتعبير جميل يبعد الزنا في حين ان بعض الشعراء يصرحون بلفظ غير مقبول ولا مستساغ.

وتأمل معي توضيحاً لما عرنا الذي يصور الحمى بفتاة تزور ضحى دون احتشام ثم تطرقه ليلا في المنام ، فيصورها بالعهر لا بالعفاف ، مستعيذا بالله من طرقها ، فيصف لنا اثر زيارتها عليه ، وما تفعله بجسمه ، وأحشائه ، ما تجعله يئن من وطأتها فيبتكر لنا بخياله الابتكاري صورة جميلة وطريفة للمضاجعة أترك تأملها للمتأمل كي يستلذ بها ، فانظر اليه كيف يقول : (١)

وزائرتي ، وليس بها احتشام تَزورُ ضُحىً ، وتَطْرُقُ في المنامِ
بها عُهْرٌ ، وليسَ لها عَفافٌ عن الشيخ الكبير ولا الغُلامِ
إذا طرقتْ أعاذَ اللهُ منها سلوتُ عن الكرائمِ ، والكِرامِ
لها في ظاهري حَرٌ وبردٌ بقلبي ، والفتورُ ففي المظامِ
تلهوجُ نارُها لحمي طعاماً وتشربُ من دمي صرفَ المُدامِ
وأصواتُ الغناءِ لها أنيني فما تنفكُّ من هذا المقامِ
تضاجعني على ضعفي وشيبي وقد أعييتُ ربّاتِ الخيامِ
إذا ما فارقتني غسّلتني لأني قد وصلتُ الى حِمامي (٢)

وتأمل خيال شاعرنا وهو يرسم لنا صورة لسجود اجفان الغزال فيقول : (٣)

وكذا الاقمارُ تحـذو حَذوَها عندَ الكمال
والى أجفانها تسـ .... جُدُ اجفان الغزال

---

(١) نصرة الثائر / ٣٣٣ .

(٢) وهو في هذه القصيدة متأثر بالمتنبي ، وسنتناولها عند دراستنا لاثر الشعراء السابقين فيه .

(٣) صرف العين " مخطوط " لوحة / ١٠٤ .

وهى صورة ابتكارية ابدعها خيال شاعرنا ، فرسمتها كلماته .

ولنتأمل صورة جمال اللواحظ الآسرة التى تجعل شاعرنا يحتكم الى القاضى لوقعها عليه ، فيتهم الحاكم الحاظ الحبيب، ويحكم لشاعرنا بالحق ، الا انه يتراجع عن الحق امام جمال اللواحظ ، ولنشارك شاعرنا بخياله لنرى مايراه وهو يقول : (١)

حاكمتُ في شَرْعِ الهوى قاتلي ... وَلي دَمٌ حلوٌ على خَدِّه
واتّهم الحاكمُ لحظاً لَهُ ... تَحقّقَ الفِتْنةَ من عنده
ومال للحقِّ فلمّا رأى ... قَدَّ حَبيبي مالَ مع قَدّه

ولنا أن نستمتع بما يفرزه لنا خياله ، الذى يوحى له بأن صد احبابه هو الموت ، ومواصلتهم هو النشور فيقول : (٢)

وكَمْ حلفتُ بأنّي لا أُعاتبُهُ ... ولستُ أول صبٍّ في الهوى حَنثا
ويحَ المُحبِّ متى صدّت حبائبه ... يَوْماً قضى ، وإذا ما واصَلُوا بُعِثا

• • •

---

(١) مراتع الغزلان " مخطوط " الورقة / ٨٩ .
(٢) تاهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ٤٨ .

ـ الصورة الشعرية :

الصورة الشعرية وسيلة من وسائل استخدام اللغة على نحو يضمن به الشاعر انتقال مشاعره ـ انفعالاته وأفكاره ـ الينا على نحو مؤثر ، والشاعر فى بحثه وتركيبه للصورة يستخدم اللفظ المفرد كما يستخدم مجموعة من الالفاظ ، وبذلك يمكننا أن نقول ان القصيدة مجموعة من الصور(1) . ويعرف د . على البطل الصورة فيقول : " الصورة تشكيل لغوى يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس فى مقدمتها ، فأغلب الصور مستمدة من الحواس ، الى جانب مالا يمكن اغفاله من الصور النفسية والعقلية ، وان كانت لاتأتى بكثرة الصور الحسية ، أو يقدمها الشاعر احيانا كثيرة فى صور حسية ، ويدخل فى تكوين الصورة بهذا الفهم مايعرف بالصورة البلاغية من تشبيه ومجاز الى جانب التقابل والظلال والالوان ، وهذا التشكيل يستغرق اللحظة الشعرية والمشهد الخارجى وتشكيل الصورة ـ وبخاصة ـ الحسية منها ـ ليس تسجيلا فوتوغرافيا للطبيعة أو محاكاة لها ، بل يخضعها الشاعر لتشكيله ، فتأتى صورة لفكرته هو وليست صورة لذاتها "(2) .

أما د . عز الدين اسماعيل فيقول : " بأن فى الصورة الشعرية ظاهرة التكثيف الزمانى والمكانى فى انتخاب مفردات الصورة وتشكيلها ، ففى الصورة الشعرية تتجمع عناصر متباعدة فى المكان و فى الزمان غاية التباعد ، لكنها سرعان ماتأتلف فى اطار شعورى واحد ، وهذا هو وجه الشبه بين العمل الفنى والحلم ، ففى الحلم تتحطم الحدود المكانية والزمانية ، وتصطدم الاشياء بعضها ببعض معبرة عن النزعات المصطرعة فى نفس الشاعر ، عن الهواجس والمطامح ، عن التفكير الذى تمليه الرغبة "(3)

---

(1) الادب وفنونه / ١٣٩ .
(2) الصورة فى الشعر العربى / ٣٠ - ٣١ .
(3) التفسير النفسى للادب / ١٠٨ .

ان ألوان الاشياء واشكالها فى الصورة هى المظاهر الحسية التى تحدث توترا فى الاعصاب ، وحركة فى المشاعر ، انها مثيرات حسية ، يتفاوت تاثيرها فى الناس ، لكن المعروف ان الشاعر ـ كالطفل ـ يحب هذه الالوان والاشكال ويحب اللعب ، غير انه ليس لعبا لمجرد اللعب ، وانما هو لعب تدفع اليه الحاجة الى استكشاف الصورة اولا ، ثم اثارة القارىء او المتلقى ثانيا . (١)

اى ان عالم الاشياء المألوف ، ينحل فى نفس الشاعر ، مثيرا ترابطات وتداعيات فى النفس ، تدفع الشاعر الى اعادة تركيب جديد لعالم الاشياء بمعطية ولادة شعرية .

ولم يكتف الباحثون بالوصول الى الصورة الشعرية ودراستها حتى صنفها بعض علماء النفس ، وعلم الجمال الى صور متعددة " فليس هناك فقط صور ذوقية وشمية ، بل توجد ايضا صور حرارية وصور ضغطية من اصل جمالى لحس مشتقة من التقمص الوجدانى . ويقول الباحث ميدلتون مورى : " ان الصورة قد تكون بصرية وقد تكون سمعية ، او قد تكون بكاملها سيكولوجية" (٢) . ويعتبر الناقد الفرنسى باشلار ان الصورة عملية تكثيف للنفس بكليتها . (٣)

بينما يقسم الباحث كمال ابو ديب الصورة الى مستويين فيقول : "ان للصورة مستويين من الفاعلية هما ، المستوى النفسى ، والمستوى الدلالى ، او الوظيفة النفسية ، والوظيفة المعنوية ، وأن حيوية الصورة وقدرتها على الكشف والاثراء وتفجير بعد تلو بعد من الايحاءات فى الذات المتلقية ، ترتبطان بالاتساق والانسجام اللذين يتحققان بين هذين المستويين للصورة." (٤)

---

(١) الشعر العربى المعاصر / ١٢٩ .
(٢) نظرية الادب / ٢٤٠ .
(٣) جماليات المكان / ٢١ .
(٤) جدلية الخفاء والتجلى / ٢٢ .

واذا تناولنا دراسة الصورة فى شعر شاعرنا الوراق ، وجدناها بسيطة واضحة ، بعيدة عن التعقيد ، تلتمس باحاسيسه وشاعره ، فمن ذلك مثلا قوله متغزلا : (١)

من رأى بدراً وغصناً ونقـا	قد تجلّى وتثنّى وترجرج
ورأى ابلج فاق البدر فى	تمّه وانظرهما فالحق أبلج
وجهه نسخةُ حسنٍ حُـرّرت	ولها من عارض سطر مخرّج
خُطَّ بالمسك على الورد فما	لاح الا فاحَ طيباً وتأرّج

لنتأمل صورة البدر المتجلى فى كبد السماء وهى صورة وجه الحبيب وصورة الغصن الجميل المخضر ، وهى صورة قوام الحبيب ، بينما حركة الحبيب شبيهة بحركة كثيب الرمل ورجرجته ، وهذه الصور جميعها فى البيت الاول والحبيب المشرق الوجه فاق اشراق البدر فى تمامه ، فالحبيب والبدر ناصعان نصاعة الحق الذى وسمه بالابلج ، وهذا ايماء الى النقاء وهذه الصورة كانت فى البيت الثانى . بينما يقول فى البيت الثالث والرابع ، ان هذا الحبيب قد حررت صورة وجهه على ورق ، وقده السطر المستقيم المخرج ، فهذا الحبيب وجهه نسخة حسن خطتها ريشة المبدع بالمسك الشذى على ورق الورد الجميل المعطر ، فما لاح الا فاح طيبا ، وما هب عليه النسيم الا حمل أريجه .

فنلاحظ تنوع صور شاعرنا ، اذ أن صورة وصف الحبيب بالبدر فى الجمال والنصاعة ، ووصف قوامه بالغصن ، وحركته بالرجرجة ، كلها صور حسية ، بينما يعطينا صورة شمية حين يصف رائحته بالمسك الذى يحمل اريجه النسيم .

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٧٢ .

أما الصورة النفسية فتتمثل بالنصاعة والنقاء والطهر .

واذا ما تحسسنا الترابط بين المستوى الدلالي والمستوى النفسي ، وجدنا أن الشاعر هنا يمايز بين القمر ممايزة جمالية من حيث حسنه ، ويستثير علاقة تقليدية شائعة بين الوجه الجميل والقمر .

كذلك تنبض الصورة بشعور شاعرنا تجاه كلا الموضوعين ، القمر ، والوجه الجميل ، فيربط بين الغصن الغض وجسم الحبيب ، وهو يعبر عن مشاعره تجاه الجسم الذي يريد ان يملأ به نفسه . وبهذا تعبر الصورة عن واقعه الداخلي ، وحين يحول حبيبه الى عطر يفوح ، وتحمل اريجه النسمات ، فهو يحول الزهرة التي في العالم الخارجي الى مكونات لعالمه النفسي ، فحبيبه مثالي في جماله ، ورشاقة جسمه ، وحركته ، وأريجه فتهفو اليه النفس لتنعم به .

ولنتناول مثالا آخر حيث نجده فيه يصف صديقا قدم من حجه فيقول : (١)

قدمت بدراً ، والهلالُ حاجب وقد نفرّت عنكما الغياهب

اقبلت للناس ربيعاً جاء في شهر الربيع أنّ ذا مناسب

فهو قد رسم في بيته الاول صورة هذا الحاج القادم من بيت الله ، فهو كالبدر المضيء في كبد السماء ، وما الهلال الحقيقي الا حاجب لهذا القادم فالممدوح والهلال مضيئان بددا الظلام .

والصورة الثانية نجدها في بيته الثاني ، اذ جعل الممدوح ربيعا ، ولنتأمل صورة الربيع الذي يكسو الأرض خضرة تسر الناظرين ، وتريح النفس ، فهذا الممدوح جاء ربيعا في شهر الربيع ، فكانت الدنيا ربيعين .

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٥٤ .

فشاعرنا فى الصورة الاولى أخذ من القمر جانب الاشراق وأراد به البركة والخير ، وكذلك كان الربيع خصبا وخيرا فى وجدان شاعرنا فى الصورة الثانية .

والوراق يكثف صوره أحيانا فى بيت واحد كقوله مثلا :(١)

تُريك طلعتُه بدراً ، ومقلتُهُ ظبياً ، وقامته الميّاسة البانا

نلمس ثلاث صور ، وهى صورة وجه الحبيب الذى طلعته بدر ، وصورة مقلة الحبيب الجميلة جمال عين الظبى ، وصورة قامة الحبيب المتبخترة الشبيهة بحركة غصن البان .

ومعاينة شاعرنا فى الصور الثلاثة جمالية ، والصور جميعها حسية ، والتشبيهات فى صور الوراق عموما هى من الموروث التراثى للغة .

• • •

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٣٩١ .

- موسيقى شعـــره :

من خلال دراستنا لشعر الوراق تبين لنا أنه شاعر محافظ ، سار علـــى سنة من سبقه من الاسلاف ، فحافظ على عمود الشعر العربى وأبقوعليه ، واستخدمه فى كل فن من الفنون على وزن ارتآه يعود لملائمة ذلك البحر لانفعالاته النفسية او تأملاته الفكرية .

وهو فى شعره يستخدم كل بحور الشعر العربى المعروفة خلا بحـــــرى المقتضب والمضارع . وقد حظيت البحور الاتية عنده اكثر من غيرها ، وهـــى حسب الاكثرية كالتالى : الطويل ، وهو بحر معول عليه عند جل الشعـــراء " حتى ان ثلث الشعر العربى قديمه ، ووسيطه ، وحديثه قد نظم على هـــذا البحر "(١) . ثم يليه فى الكثرة الكامل فالخفيف والسريع والبسيط والوافر .

وشاعرنا أميل الى الطويل والكامل ، فضلا عن استراحته للسريع . ثـــم تليهما بحور اخرى استخدمها فى شعره وهى : مجزوء الكامل ، المنســـــرح ، مجزوء الرمل ، مخلع البسيط ، الرمل ، الرجز ، المجتث ، ومجزوء الرجـــز ، ومجزوء الوافر .

والوراق شاعر مرهف الحس ، لذا جاء تركيب الالفاظ وتنسيق الجمل فـــى شعره بحيث تنتظمها روح موسيقية واحدة ، فان شاعرنا كان حريصا عليهـــا وقد استخدم فى هذا جل الفنون البديعية ، كالمقابلة ، والطباق وغيرهـــا ، فأمدته باعذب الالحان .

ونلاحظ انه كلما كانت العاطفة قوية عنده ، وجدنا بروز الموسيقى بروزا قويا ، وهذه الظاهرة نلمسها فى فن الغزل بالذات لما فيه من صدق أكثر .

ـــ أما قوافى شعره فموسيقية ، بالغة منتهى الرقة ، من مثل الهمزة ، والتاء ، والهاء ، والفاء ، والقاف ، والنون ، والميم .

---

(١) فن التقطيع الشعرى والقافية / ٤٣ .

الفصل الثالث

" الفنون البديعية والبيانية في شعره "

١ ـ الفنون البديعية في شعره :

البديع لغة كما جاء في لسان العرب " بدع الشيء يبدعه بدعا ، وابتدعه أنشأه وبدأه . والبدع : الذي يكون أولا ، وفي التنزيل : " قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ "(١) أي ماكنت اول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير .

والبدعة : الحدث وكل محدثة ، والبديع : المحدث العجيب ، والبديع : المبدع ، وابتدعت الشيء : اخترعته لاعلى مثال . والبديع من أسماء الله تعالى ، لابتداعه الاشياء واحداثه اياها ، وهو البديع الاول قبل كل شيء . (٢)

أما مصطلح البديع بمعناه الفني فقد ذكر الجاحظ (ت : ٢٥٥) أن الرواة أول من أطلقه على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية ، وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسنا وجمالا . وقد دفع الجاحظ غلوه في حب العرب ، والرد على الشعوبية الى أن يقول (٣) : "والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان ."

وقد حده ابن معصوم المدني فقال (٤) : "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ، ووضوح الدلالة ".

---

(١) الاحقاف الاية / ٩ .

(٢) لسان العرب " مادة بدع " ص ٩ .

(٣) البيان والتبيين ٤ / ٥٥ .

(٤) أنوار الربيع ١ / ٢٩ ، نحو بلاغة جديدة / ١٦٠ .

وكان المولدون من شعراء العصر العباسى قد أكثروا فى أشعارهم من الصور البيانية التى سميت " البديع " ويعدد الجاحظ اسماء مجموعة من الشعراء الذين يكثرون فى شعرهم من فن البديع.

" وظاهرة البديع ليست غريبة بعد أن خرج العرب من جزيرتهم ، واتصلوا بالامم ، ودخل الترف مجتمعهم الجديد وتأنقوا فى حياتهم ، وكان لابد من أن يصطبغ أدبهم بهذه الصبغة الجديدة ، وأن يكثر الشعراء من البديع. وقد حمل اللواء هذا الاتجاه بشار ، وابن هرمه ، ومسلم بن الوليد وابوتمام. وشاع هذا اللون فى الادب ، ولج المولدون فى اصطناعه وتباهوا بأنهم السباقون اليه ."(١)

وهكذا يسير فن البديع ويتوسع على أيدى العلماء ثم يفصل من علم المعانى والبيان ، ويتجه الادباء الى الاكثار منه .

وقد شهد القرن السابع للهجرة لونا جديدا من التأليف فى البلاغة ، هو البديعيات ، والتى هى قصائد شعرية تتضمن فنونا بلاغية مختلفة ، ومعظمها فى مدح النبى الكريم "عليه الصلاة والسلام" وكان الاهتمام بالصنعة قد شغف شعراء البديعيات حبا .

ومن هؤلاء المعجبين بفنون البديع شاعرنا الوراق الذى طغت فنون البديع على شعره ، والدارس لشعره يلاحظ جل ألوان البديع فى شعره ، ويعترف شاعرنا بشغفه بفن البديع فيقول فى ذلك : (٢)

وعلىَّ مقامات القوام شواهدي ... جسمي الحريري ، والبديع مقالي

---

(١) فنون بلاغية /١٩٧ .

(٢) تأهيل الغريب" مخطوط " لوحة / ٢٠٩ .

ولعل أبرز فنون البديع فى شعره ، التورية ، والاقتباس ، والجناس، والتدبيج ، والانسجام ، والاكتفاء ، والالغاز ، والتوجيه ، والتكرار، وتشابه الاطراف ، والتلميح والاكتفاء ، والاطراد ، والقول بالموجب ، والطباق ، وحسن التعليل ، كما نجد بعض الفنون البيانية وهى الكناية والتعريض .

وسنتكلم عن كل واحد من هذه الفنون .

وللتدليل على أهمية هذه الفنون البديعية فى القرن السابع والقرن الذى سبقه سأتناول راى بعض نقاد ذلك العصر ، كى نعلم مكانة هذه الفنون فى زمانها لانها تمثل ذوق العصر من خلال رؤية نقادهم ، ولنأخذ راى العماد الاصفهانى ، فنراه يستحسن الجناس ، فى نقده لابيات فيها هذا الفن فيقول (١) : " أنا استحلى هذا النوع من التجنيس واستعذبه ، ويحسبه زلال الماء قلبى فى الرقة والصفاء ، فيشربه ويتشربه ". وقال عن قصيدة استولى الجناس على جميع ألفاظها تقريبا : " هذه القصيدة من حقها ان تكتب بسويداء القلوب على بياض الاحداق ، وقد احدقت بها حدائق من التجنيس والتطبيق والترصيع ". (٢)

واذا جئنا الى القرن السابع والتمسنا آراء بعض نقاده مثلا كابن ابى الاصبع " ت ٦٥٤ هـ " وجدناه يتخذ من الحشد البديعى مقياسا نقديا حين يجعله اساسا للمفاضلة ، فما زادت فيه الالوان البديعية فهو المفضل لديه ،المقدم عنده . (٣)

---

(١) خريدة القصر ١/ ١٢٦ .
(٢) نفس المصدر ٤/ ٢٣٣ .
(٣) النقد الادبى فى العصر المملوكى / ٥٢ .

ولو استعرضنا آراء نقاد ذلك العصر - القرن السابع - لامتد بنا الكلام وتشعب . فجل تأكيدهم قائم على علم البديع ، لانه علم يمثل صفوة علـــــوم الادب ، والذى به يميز بين النظم الصحيح والفاسد كما يقول الخزرجـــى أحد نقاد العصر. (١)

وهكذا تمتد موجة البديع ، فيركبها أدباء القرون التى تلت القـــــرن السابع .

...

---

(١) النقد الادبى فى العصر المملوكى / ٥٦ .

" مدرسة فن التوريـــة "

لعل ظهور هذه المدرسة يرجع لاسباب دينية ، تتعلق بتأويل المشتبهات من كلام الله تعالى ، وحديث رسوله الكريم ، وصحابته الابرار ، وهذا يؤيـــد الرأى القائل بأثر المذاهب الدينية ، وأثر العقل والمنطق فى ظهور هـــذه المدرسة البلاغية .(١)

قال الزمخشرى عن التورية(٢) : " ولا نرى بابا فى البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام اللـه، وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام " . وكان القدماء لا يأبهون للتورية الا اذا جاءت عفو الخاطر ، فنراها عند بعض شعراء الجاهلية ، وعند شعراء العصـــور الاخرى ، وبالذات العصر العباسى ، اذ استخدم شعراؤه فن التوريـــة كأبى نواس ، والبحترى ، وأبى العلاء ، لكنهم لم يتخذوها مذهبا خاصا بهم .

أما فى عصر شاعرنا الوراق ـ القرن السابع ـ فقد اتخذها الشعـــــراء مذهبا شعريا خاصا ، واصبح هذا المذهب سائدا ، ومن الضرورى ان يتحلـى به كل شاعر والا عد مقصرا عن أقرانه .

فما التورية ؟

التورية : يقال لها الايهام والتوجيه والتخييز ، ويقول ابن حجة(٣) : " والتورية اولى فى التسمية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبـــر تورية اذا سترته واظهرت غيره ." اما العلوى فيقول فى كتابه " الطراز "(٤) : " واشتقاقها من كذا اذا سترته ، وفى الحديث ، كان اذا أراد سفـــرا ورى

---

(١) ابن نباته المصرى / ١٠٦ .
(٢) الكشاف ٣٥٦/٣ ،خزانة الادب / ٢٩٥ .
(٣) خزانة الادب / ٢٩٥ .
(٤) الطراز ٦٢/٣ .

بغيره ، أى ستره وكنى ، وأوهم انه يريد غيره ." ويقول ابوعبيدة :(1)" لا أراه الا مأخوذا من وراء الانسان ، فاذا قال : وريته فكأنه جعله وراءه بحيث لا يظهر."

والتورية فى الاصطلاح : " هى أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان او حقيقة ومجاز ، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والاخر بعيد ، ودلالة اللفظ عليه خفية ، فيريد المتكلم المعنى البعيد ، ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع ـ أول وهلة انه يريد القريب ، وليس كذلك ، ولاجل هذا سمى هذا النوع ايهاما ". (2)

أما ابن ابى الاصبع فيسميها فى كتابه تحرير التحبير التوجيه ، ويعرفها بقوله : (3) " هو ان تكون الكلمة تحتمل معنيين ، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ، ويهمل الاخر ومراده ما أهمله لا ما استعمله ".

بينما يضعها ابن الاثير فى كتابه المثل السائر تحت عنوان " المغالطات المعنوية "(4) ، فيقول : " وهذا النوع من احلى ما استعمل فى الكلام وألطفه لما فيه من تورية وحقيقته أن يذكر معنى من المعانى له مثل فى شىء آخر ، ونقيض ، والنقيض أحسن موقعا ، وألطف مأخذا ".

ولم يكن المتقدمون يعنون بهذا النوع ـ اعنى فن التورية ـ كثيرا ، لكن المتأخرين شغفوا به حبا ، واكثروا منه ، واصبح سمة واضحة فى أشعارهم ،

---

(١) انوار الربيع ٥/٥ ، مختار الصحاح /٧١٨.
(٢) خزانة الادب /٢٩٥ ، البديع فى نقد الشعر / ٦٠ ، نهاية الارب ٧ / ١٣١.
(٣) تحرير التحبير /٢٦٨.
(٤) المثل السائر ٣/٧٦.

والى ذلك أشار ابن حجة فى خزانة الادب بقوله (١) : " لان هذا النوع - أعنى التورية - ماتنبه لمحاسنه الا من تأخر من حذاق الشعراء واعيان الكتاب ، ولعمرى انهم بذلوا الطاقة فى حسن سلوك الادب الى أن دخلوا اليه من باب فن التورية ، من أعلى فنون الادب واعلاها رتبة ، وسحرها ينفث فى القلوب ، ويفتح بها ابواب عطف وصبة ، وما ابرد شمسها من غيوم النقد الا كل ظاهر مهزول ، ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين الا الفحول ".

بينما يقول الصفدى فى ديباجة كتابه المسمى بفض الختام عن وجه التورية والاستخدام : " ومن البديع ماهونادر الوقوع ، ملحق بالمستحيل الممنوع ، وهو نوع التورية والاستخدام ، فانه تقف الافهام حسرى دون غايته عن مرمى المرام . ويستشهد على مايقوله بالبيت الآتى :

نوعٌ يشقُّ على الغبيِّ وجودُه ... من أيِّ باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع ، ولا يقرع بابه قارع ، الا من تنحو البلاغة نحوه فى الخطاب ، ويجرى ريحها بامره رخاء حيث اصاب (٢) ".

وقد قسم البلاغيون المتأخرون التورية اربعة اقسام ، وهى المجردة والمرشحة وقد ذكرهما التفتازانى فى مختصر السعد . ثم المبينة والمهيأة ، وهناك تفريعات اخرى لهذه الانواع الاربعة ، وقد اختلف البلاغيون فيها . (٣)

---

(١) خزانة الادب / ٢٩٥ - ٢٩٦ .
(٢) انوار الربيع ٥/٥ .
(٣) شروح التلخيص ٤/٣٢٢ ، مناهج بلاغية .

ومن المحدثين الذين درسوا فن التورية ، د . درويش الجندى فى كتابه " الرمزية فى الادب العربى " وقد اعتبرها فنا رمزيا فيقول فيها :
" والتورية من الوان البديع الطريفة التى لها شأن فى الرمزية الاسلوبية العربية "(١) .

وهو رأى على جانب من الوجاهة ، لكن أرى انه لا يصل لدرجة الرمز بالمفهوم الحديث للرمزية .

• • •

---

(١) الرمزية فى الادب العربى / ٢٥٣ .

* أثر الوراق فى فن التورية :

برز هذا المذهب الادبى - أعنى فن التورية - على يد القاضى الفاضل ، ثم أصبح مدرسة واكبها شعراء عصره والعصور التى تلته . يقول ابن حجة فى كتابه "خزانة الادب " عن فن التورية بعد ان اختار مجموعة مختارات شعرية لشعراء التورية " انتهى ماتخيرته ووعدت بايراده فى باب التورية من كلام هذه العصابة التى مشت تحت العصابة الفاضلية ، وصار لهامن بعده فى نظم التورية اعظم روية وقدمت امامهم الذى صلت الجماعة خلفه ، وهو القاضى الفاضل ، وبعده القاضى السعيد ابن سناء الملك والشيخ سراج الدين الوراق ، وأبوالحسين الجزّار ونصير الدين الحَمّامى "(١) .

ثم يبين ابن حجة أثر الوراق فى تطوير فن التورية ، وجلاء غياهبها فيقول فى خزانة الادب : (٢) " ولم يزل ابن سناء الملك يتلاعب فى التورية باختراعاته ويسكنها فى عامر ابياته الى ان ظهر السراج الوراق ، فجلا غياهبها بنور مشكاته".

أما ابن تغرى بردى فيحدثنا فى كتابه " المخطوط " " المنهل الصافى " عن مكانة الوراق فى فن التورية فيقول : (٣) " بأنه قاعد التورية والاستخدام ،عارف بالبديع وأنواعه ،أجاد فنون التورية والاستخدام " كما وصفه فى " النجوم الزاهرة " " بأنه كان متصرفا فى فنون البلاغة "(٤) .

---

(١) خزانة الادب / ٣٢٧ ، البلاغة تطور وتأريخ / ٣٦٣ .

(٢) خزانة الادب / ٣٠٢ .

(٣) المنهل الصافى " مخطوط " ١٤٨/٦ ظهر ، فوات الوفيات ١٤٠/٣ ، شذرات الذهب ٤٣١/٥ ، انوار الربيع ١٩/٥ ، المفصل فى تاريخ الادب العربى ٢٠١/٢ ، فروخ : تاريخ الادب العربى ٣ / ٦٨٢ ، تاريخ اداب اللغة العربية ١٣١/٣ .

(٤) النجوم الزاهرة ٨٣/٨ .

أما الصفدى فكان معجبا بالوراق " يتتبع توريباته حيث تراءت ويتطلب مظانها ، وان قربت او تناءت فى مختاراته الشعرية التى وسمها " بلمع السراج "(١) .

ومما يتثبت لدينا ان فن التورية البديعى ، أصبح مدرسة لجل شعراء العصور الوسطى سواء فى الشعر او النثر ، الا أن هناك من الشعراء من جعله هدفه وامتزج بروحه كما هو الحال عند الوراق .

وعلى هذا أرى أن فن التورية ، الذى غلب على شعر شاعرنا ، ليس هو فناً بديعياً يسير عليه ، معجبا به فحسب ، بل أصبح اسلوبا للوراق نفسه فى شعره ونثره ، فنلاحظ أن فن التورية عنده غالب على كل فنون شعره فهى فى المدح ، والغزل ، والوصف والاخوانيات ، وحتى الرثاء .

ومن ذلك مثلا قوله فى مدح شمس الدين بيلبك ، وبدر الدين آقسنقر(٢) وهما أميران من أمراء المماليك :(٣)

لمّا رأيتُ البدرَ والشّمسَ معــاً ... قد انجلَت دونَهما الدّياجــى
حقّرتُ نفسي ومضيتُ هاربــاً ... وقلتُ: ماذا موضعُ السِّــراجِ

فالتورية فى كلمة " السّراج " فقد جعل أحد الممدوحين بدرا ، والاخر شمسا ، كما جعل نفسه هو سراجا ، ولا قيمة للسراج بجانب البدر والشمس.

---

(١) لمع السراج "مخطوط " لوحة/ ٢٣٧ ، توشيح التوشيح / ٣٢ .
(٢) هما اميران من أمراء المماليك ، كانا نائبين للملك السعيد ناصر الدين بن الظاهر بيبرس . السلوك ١/ ١/ ٦٤١ ، عصر سلاطين المماليك ١/ ٢٨ .
(٣) المنهل الصافى " مخطوط " ٦/ ١٤٨ ظهر ، نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن/ ١٣٥ ، خزانة الادب / ٣٠٢ ، كشف اللثام / ١٧ ، مطالع البدور ١/ ٩١ ، أنوار الربيع ٥/ ٢٠ ، وفيه عجز البيت الثانى كالاتى : " وقلتُ ماذى ساعة السراج " . شعراء التورية فى القرن السابع الهجرى / ٧٩ ، الادب العامى فى مصر / ٥٦ ، مجلة العربى العدد / ١٤٩/ ٧٢ .

والمتبادر الى الذهن أن المقصود بالسراج " المصباح " بسبب التمهيد له بالبدر والشمس والداجى ، فى حين أنه يريد نفسه ، وعلى اى المعنيين فالمدح قائم لبدر الدين وشمس الدين المذكورين .

والتورية هنا من غير شك زادت المعنى وضوحا ، وساعدت على أداء الغرض الذى يهدف اليه الشاعر ، وهو اجادة المدح ، كما انه اعطى المعنى آفاقا أوسع وأرحب .

ومن تورياته فى فن الغزل قوله (١) :

وَقَفْتُ بأطلالِ الأَحِبَّةِ سائلاً ودمعي يسقي ثَمَّ عهداً ومعهدا (٢)
ومن عَجَبٍ أَنِّي أُروِّي دِيارهم وحظِّي منها حين أسألها الصدى

والتورية هنا فى كلمة " الصدى " اذ يفهم منها الظمأ ، وهو المعنى المتبادر الى الذهن بسبب التمهيد له بتروية الديار ، لكن الشاعر قصد المعنى البعيد وهو الصدى ، الذى معناه " مايجيبك بمثل صوتك " . وعلى هذا لا ينال من حبيبته سوى الصدى ، وقد جعل هذا للنص آفاقا اوسع ، فتكون الدلالة البعيدة فيها عمق قصده الشاعر بطريقة فنية بارعة .

ولتأكيد ما أقول من كونها ـ أى التورية ـ أسلوبا لشاعرنا ، استعملها حتى فى الرثاء ، الذى هو اكثر الفنون جدية ، فانظر اليه كيف يقول فى رثاء صاحبه " ابى الحسين الجزار " (٣) :

رفعوكَ وانتصبوا قياماً خافضي الـ . . . أصواتِ إذْ جزمَ الرّدى مِنْكَ المرى
وَغَدَوْتَ في الأكفانِ عنهم مضمرا وهمو يَرَونك للجلالةِ مظهرا
إنَّ الصحيحَ أعتلَّ مُذْ فارقتنا وابيكَ والجَمْعَ الصحيح تكسَّرا

---

(١) المرج النظر والارج العطر " مخطوط " الورقة/ ٥٩ ، سقط الجواهر المنظومة " مخطوط " لوحة/ ٥٩ ، كشف اللثام/ ٢٢ ، خزانة الادب/ ٣٠٥ ، الغيث المسجم ٢/ ٤٤٢ ، انوار الربيع ٥/ ٢١ ، فروخ : تاريخ الادب العربى ٣/ ٦٨٣ ، البلاغة الواضحة/ ٢٧٦ ، المبسط فى علوم البلاغة/ ٢٩٩ ، قصة الادب فى العالم ٢/ ٤٧٠ .

(٢) العهد : الزمن الذى قضيناه ، المعهد : المكان الذى عشنا فيه .

(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٧٩ .

فالتورية فى كلمة " الصحيح " فالمتبادر الى الذهن هو الكلمة الصحيحة غير المعتلة ، وهذا مايفهم مما سبقه فى السياق ، وهذا هو المعنى القريب بينما هو يريد أن السليم الجسم قد مرض ، وهذا هو المعنى البعيد الذى ورى عنه ، وكقوله ايضا فى رثاء الجزار : (١)

وناحَ النَّحوُ بعدكَ والمعانى   لها مع كلّ نائحة جنانُ
فلابد لٌ بخلٍ عنك يُرجى   ولا عطفٌ لمن غدروا وخانوا

والتورية فى كلمة " بدل " فالذى يفهم من النص أن المقصود فيها هو المصطلح النحوى ، وهذا هو المعنى القريب ، بينما اراد الشاعر المعنى البعيد وهو مايحل محله من أخلاء ، فورى عنه .

وكذلك التورية فى كلمة " عطف " فالمتبادر الى الذهن المصطلح النحوى وهذا هو المعنى القريب بينما قصد شاعرنا المعنى البعيد العواطف . فطابع التورية الذى يحيل بالقارىء الى النشوة والفكاهة ، جعل رثاء الوراق فى هذا المقام باردا مجردا من حرارة العاطفة .

لذا كان فن التورية قريبا جدا من نفسية الوراق المحبة للفكاهة والدعابة فتلائم هذا الفن مع طبعه الذى شكل لنا اسلوبه ، لذا اتخذ التورية وسيلة تعبيرية يمكن ان يتوسل بها لاغناء النص ، وتوسيع آفاقه ، وتشكيل اكثر من معنى وصورة فيها ابعاد نفسية ، كى يحدث تاثيرا احسه الشاعر لينقله الى المتلقى .

...

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٩٥ .

وشاعرنا لا يدع شيئا يمكن أن يستغله في فن التورية الا استخدمه ، فقد ورىباسمه ، ولقبه ، وحرفته كثيرا ، حتى قيل له : "لولا اسمك ولقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك "(١) .

ومن توورياته باسمه قوله : (٢)

كم قطع الجودُ من لسانٍ قلّدَ من نظمهِ النّحورا
فها أنا شاعرٌ سراجٌ فاقطع لساني أزدك نُورا

فالمعنى المتبادر الى الذهن من كلمة " سراج " السراج الحقيقي الذي يضاء بالزيت ، وهذا المصباح كلما قطعت لسانه ، وهو الجزء المحترق في أعلى الفتيلة ازداد ضوءه ، لكن الشاعر يريد نفسه ، وهو انه شاعر يطلب عطاء الممدوح هذا العطاء الذي يقطع لسان السوء ، وكلما قطع لسان الشاعر بالعطاء زاد في مدحه ، وجعل من حوله هالة من الثناء والاعجاب .

وقال في تقاضيه من بعض الرؤساء شمعا : (٣)

وما علينا ضوءٌ ، وقد أبطأ الشّمـ ... ـع فقوّى به ظلام الدجى
وتداركْ بيتاً عليه ظلام لم يكد ينجلي بنور السّراجِ

---

(١) كشف اللثام/١٧ ، مطالع البدور ١/٩٠ .
(٢) المنهل الصافي " مخطوط " ٦/ الورقة ١٤٨ ظهر ، النجوم الزاهرة ٨/ ٨٣ ، ريحانة الالبا ١/٤٣٠ ، خزانة الادب ٢/٣٠٢ ، فوات الوفيات ٣/١٤١ ، الغيث المسجم ٢/٤٣٥ ، كشف اللثام /١٨ ، مطالع البدور ١/٩٠ ، قطر الغيث المسجم/٣١٨ ، تالي كتاب وفيات الاعيان/ ١١٧ ، أنوار الربيع ٥/٢٠ ، دائرة المعارف " للبستاني "٩/٤٦٥ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥/٩٠ ، فروخ : تاريخ الادب العربي / ٣/٦٨٣ ، الصور البديعية ٢/٢٧٩ ، البلاغة الواضحة/٢٧٧ .
(٣) خزانة الادب/٢/٣٠٢ ، كشف اللثام /١٧ ، وفي كشف اللثام عجز البيت الاول كالاتي : " فقوض بنا ظلام الدياجي " وعجز البيت الثاني كالاتي : " لم تبن فيه لمعة السراج " .

فالتورية في كلمة " السراج " وتوحي بمعنيين أحدهما قريب يتبادر الى الذهن وهو " السراج المنير " وذلك لما سبقه في السياق من كلمات الدياجي والظلام ، والاخر بعيد وهو اسم شاعرنا ، وهذا ما أراده فوري عنه وستره في ظل المعنى القريب.

وقال موريا في اسمه أيضا : (١)

جاء لسانُ السّراج ملــولا لكم بشكر كالروضِ مطلــولا

فقال قومٌ والقطرُ يأخــذه قد عاد هذا السراجُ قنديلا

فقد كنى في البيت الاول عن المدح ببلل اللسان ، وبأسلوب هزلي جميل ، وفي يوم مطير وري عن السراج الذي هو بمعنى المصباح الذي تبلل فاصبح قنديــلا والشاعر يقصد المعنى البعيد وهو اسمه .

ومن توررياته باسمه قوله ايضا (٢) :

وما أنا سائرٌ في ليل خطــب تساوى الصُّبحُ فيه والمســاءُ

فلا أنا مثلما أُدعى ســراجٌ ولا هو مثلما يُدعى ضيــاءُ

والتورية في كلمة السراج واضحة كسابقتها . كما نلاحظ تورية اخرى في نفس البيت الثاني في كلمة " ضياء " التي توحي بمعنيين ، احدهما هو بمعنى النــور وهذا هو المعنى القريب الذي يتبادر الى الذهن بينما اراد الشاعر المعنــى البعيد وهو اسم المخاطب الذي اسمه ضياء ايضا ، فوري عنه في ظل المعنــى القريب .

وكتب الى بعض الرؤساء قائلا : (٣)

---

(١) الغيث المسجم ٢ / ٤٣٥ .

(٢) خزانة الادب / ٣٠٢ ، مجلة المورد العدد ٧١/١٤٩ .

(٣) كشف اللثام / ١٧ ، خزانة الادب / ٣٠٢ ، انوار الربيع ٥ / ٢٠ وفيــه صدر البيت الثاني كالاتي : " ولا أنت لم يُرفع مناري " ، مطالع البدور ١ / ٩١ ، وفيه ناقص صدر البيت الثاني ، الوسيلة الادبية ٢ / ١٢١ .

بكتبك راجَ لي أملي وقصدي   وفي يدك النجاحُ لكُلِّ راجِ
ولولا انت لم ترفع مناري   ولا عرف الورى قدر السراجِ

تيسرت امور شاعرنا بوساطةهذا الامير الذى كان السبب فى نجاح الوراق فى حياته على يده ،فلولاه لما رفعت مكانته ، ولجهل الناس قدر السراج المنير، وهذا هو المعنى القريب الذى يدرك للوهلة الاولى من النص بينما اراد شاعرنا اسمه ونفسه .

وقال موريا فى اسمه أيضا : (1)

قالوا ،وقد طَنّي فلان   مالودّ الطول من رَجعه
قطِّعَ عنه فقلتُ : دعهُ   كنتُ سراجاً ، فصرتُ شمعه

والتورية واضحة فى كلمة " سراج " التى لها معنيان ، قريب هو المصباح المنير وبعيد اسمه وهوالمراد والذى ورى عنه ، ولربما يقصد انه كان شابا فأمسى شيخا .

وقال أيضا : (٢)

أثنى عليَّ الأُنامُ أنّي   لم أهجُ شخصاً ولو هجاني
فقلتُ لا خير فى سراجٍ   إذا لم يكن دافئ اللسانِ

والتورية واضحة فى كلمة " سراج " كسابقتها ولا داعى لتكرارها .

---

(١) فض الختام " مخطوط " لوحة/ ٨ ، الغيث المسجم ٢ / ٤٣٤ ، قطر الغيث المسجم/ ٣١٨ ، وعجز البيت الاول فى الغيث المسجم ، والقطر كالاتى : " مالود الطول رجعه ".

(٢) بهجة السرور " مخطوط " لوحة/ ٢٨ ، المنهل الصافى " مخطوط " ٦/ الورقة ١٤٨ ظهر ، فض الختام " مخطوط " لوحة /٨ ، وصدر البيت الاول فى بهجة السرور كالاتى : " تعجب الناس ان رأونى " .
خزانة الادب /٢ ٣٠٢ وفيه عجز البيت الاول كالاتى : " لم أهج خلقاً " بدل شخصاً . الغيث المسجم ٢ / ٤٣٤ ، فوات الوفيات ٣ / ١٤١ . قطر الغيث المسجم/ ٣١٨ ، مطالع البدور ١ / ٩١ ، كشف اللثام/ ١٨ ،الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٥٣ ، نشاط الصفدى فى النقد والبلاغة / ٣٢٩ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥ / ٩٠ .

وقال أيضا : (١)

إذا بحتُ بالشكوى عَنَيْتُ معاشراً ... بلا راحةٍ في مدحهم أتعبوا ذهني
يريد ونني رطبَ اللّسانِ ومن رأى ... سراجاً ، غدا رطب اللسانِ بلا دهنِ

فقد كنى عن المدح برطوبة اللسان ، وعن الذهن بالعطاء ، وورى في كلمة "السراج" التي لها مدلولان الاول قريب وهو بمعنى المصباح المنير وهذا غير مقصود ، وبعيد وهو اسم شاعرنا الذي أخفاه وورى عنه في ظل المعنى القريب .

وقال مفتخرا بنفسه : (٢)

وكنتُ حبيباً الى الغانيات ... فألبسني الشّيبُ بُغضَ الحبيبِ
وكنتُ سراجاً بليلِ الشّباب ... فأطفأ نوري نهارُ المشيبِ

فالتورية في كلمة "سراج" واضحة ، ولها معنيان ، السراج المنير ، وهذا هو المعنى القريب الذي لا يقصده شاعرنا انما يقصد المعنى البعيد وهو نفسه الذي ورى عنه وستره في ظل المعنى القريب .

---

(١) خزانة الادب ٢/٣٠٢ ، كشف اللثام ١٨/ ، وفيه البيت الاول كالآتي : "عتبت معاشرا" بدلا من "عنيت" و "فلا راحة" بدلا من "بلا راحة" ، مطالع البدور ١/٩٠ ، الادب في العصر المملوكي ٢/١٥٣ وفيهما نفس الملاحظة التي في كشف اللثام .

(٢) بهجة السرور "مخطوط" لوحة/ ١٤١ ، درة الاسلاك "مخطوط" لوحة/ ٧٤ ، الحواضر ونزهة الخواطر "مخطوط" الورقة ٣٥٥ ، وجه وفيه البيت الاول كالاتي :
وكنتُ جلياً الى الغانيات ... فألبسني الشّيبُ بغضَ الرقيب
المنهل الصافي "مخطوط" ٦/ الورقة ١٤٨ ظهر ، فوات الوفيات/ ٣/١٤٠ ، وفيه عجز البيت الاول كما هو في الحواضر ونزهة الخواطر ، خزانة الادب/٢/٣٠٢ ، وفيه عجز البيت الاول كالاتي : "فالبسني الشيبُ هجر الحبيب" . انوار الربيع ٥/١٩٥ وفيه نفس ما في خزانة الادب لانه ينقل عنه ، كشف اللثام/١٧ ، الوسيلة الادبية ٢/١٢١ وفيه نفس ما في خزانة الادب ، دائرة معارف القرن العشرين ٥/٨٩ .

وقال موريا في اسم ممدوحه : (١)

أمولانا ضياءَ الدّين دُم لـي ... وعِشْ فبقاءُ مولانا بَقائـي

فلولا أنت ، ما أغنيتُ شيئـاً ... وما يُغني السّراجُ بلا ضياءِ

ففي البيت الثاني توريتان الاولى بكلمة " السراج " وقد مرت بنا كثيـرا ، والاخرى باسم ممدوحه ، اذ لكلمة " ضياء " مدلولان الاول قريب وهو بمعنى النـور ، وذلك لما سبقه من كلمة " السراج " التي بمعنى المصباح ، والثاني الذي يهدف اليه شاعرنا اسم ممدوحه ضياء الدين الذي خاطبه في البيت الاول . قال : (٢)

بُنَيَّ أقتدِ بالكتاب العزيـز ... فراح لبِرّي سعياً وراجـا

فما قال لي أُفٍّ مُذ كان لـي ... لكوني أباً ولكوني سِراجـا

---

(١) خزانة الادب/٢ ٣٠٢ ، مطالع البدور ١/ ٩١ ، انوار الربيع ٥/ ٢٠ ، كشف اللثام/ ١٧ وفيه عجز البيت الثاني كالاتي : "وهل يغني السّراج بلا ضياء" الوسيلة الادبية ٢/ ١٢١ ، الصور البديعية ٢/ ٢٩٣ ، الصبغ البديعي/ ٣٥٩ ، مجلة العربي العدد ١٤٩/ ٧١ .

(٢) فض الختام " مخطوط " لوحة/ ٨ ، نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن/ ١٣٥ وفيه المصدر الاخير عجز البيت الاول كالاتي :
" فزدتُ سروراً ، وزاد ابتهاجا " وصدر البيت الثاني كالآتي :
" فما قال لي أفٍّ في عمره " .
ريحانة الالبا ١/ ٤٢٩ ، نفحة الريحانة ٢/ ٣٤٢ ، وفي المصدرين نفس الملاحظة التي في نفحة اليمن . ، خزانة الادب / ٣٠٢ ، وفيه عجز البيت الاول " ولا جا " بدلا من " وراجا " ، الغيث المسجم ٢/ ٤٣٤ ، كشف اللثام / ١٧ وفيهما نفس الملاحظة التي في خزانة الادب . ، فوات الوفيات ٢/ ١٤٠ ، مطالع البدور ١/ ٩٠ ، قطر الغيث المسجم/ ٣١٨ ، انوار الربيع ٥/ ١٩٥ ، الوسيلة الادبية ٢/ ١٢١ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥/ ٨٩ ، مجلة العربي العدد ١٤٩/ ٧١ .

فهو يصف ابنه بأنه مقتدى بكتاب الله ، وهو دائم البر له ، ولا يقول له أف ، وهذا دليل على الطاعة . وفى كلمة " سراج " تورية فالذى يتبادر الى الذهن هو المصباح المنير ، وهذا مايتضح من السياق ، بينما الشاعر أراد نفسه ، فاحتال فى اخفاء اسمه .

ولم يكتف الوراق فى التورية باسمه بل يستخدم لقبه فيقول : (١)

---

(١) درة الاسلاك فى دولة الاتراك " مخطوط " لوحة ٧٤ ، خزانة الادب / ١٥٦ وفيه صدر البيت الاول كالاتى : " واخجلتي وصحائفي مسودة" ، وكذلك صدر البيت الثانى كالاتى : " وموبخ في الحشر وهو يقول لي " ، بينما نجده يعيد البيتين ص ٣٠٢ فى صيغة اخرى وهى " وصحائفى سود غدت " . وفى صدر البيت الثانى : " وموبخ لي فى القيامة قال لي " . كما نجده يعيد البيتين ص ٣٢٧ فيستخدم فى صدر البيت الاول "مسودة" وصدر البيت الثانى " وتوقفى " بدلا من " وتوقعى " ، فوات الوفيات ٣ / ١٤٢ وفيه صدر البيت الاول كالاتى " وصحائفى قد سوّدت " وصدر البيت الثانى " وفضيحتي لمعنفٍ لي قائل " . ، انوار الربيع ٥ / ٢٠ ، وفيه البيتان كالاتى : الاول " ياخجلتي وصحائفي مسودة " ، الثانى : " وموبخ لي فى القيامة قائل " بدائع الزهور ١ / ١٣٤ ، وفيه نفس الملاحظة التى فى انوار الربيع . ، كشف اللثام / ١٩ وفيه البيت الاول كالاتى : " وصحائف سود غدت " والثانى " وتوقفى " بدلا من " توقعى " .
فروخ : تاريخ الادب العربى ٣ / ٦٨٣ وفيه نفس الملاحظة التى فى فوات الوفيات لانه ينقل عنه . ، دائرة معارف القرن العشرين ٥ / ٩٠ وفيه نفس ملاحظة فوات الوفيات ، دائرة المعارف ٩ / ٥٢٦ ، وفيه البيت الاول " سود غدت " والثانى " وفضيحتى لمعنف لى قائل " ، المبسط فى علوم البلاغة / ٢٩٩ وفيه صدر البيت الاول كالاتى : " سود غدت " ، وصدر البيت الثانى " ومؤنب لى فى القيامة قال لى " ابن نباته / ١٠٦ وفيه " مسودة " بدلا من سود غدا ، والبيت الثانى : " وتوقفى لموبخ لى قائل " ، الوسيلة الادبية ٢ / ١٢٢ وفيه البيت الاول " مسودة " بدلا من " سود غدا " ، الصور البديعية ٢ / ٢٧٩ ، البلاغة الواضحة / ٢٧٨ ، مجلة العربى العدد ١٤٩ / ٧٢ ، قصة الادب فى العالم ٢ / ٢٧٠ .

واخجلتي وصحائفي سود غداً ... وصحائفُ الأبرار في إشراقِ
وتوقعي لموبخ لي قائـلٌ : ... أكذا تكونُ صحائف الـوّراقِ

فالتورية في كلمة "الوراق" اذ يفهم منها معنيان ، أحدهما قريب يتبادر الى الذهن ، وهو بائع الورق والكتب ، وسبب تبادر الى الذهن ماسبقه من كلمات "صحائف" ، والمعنى الاخر البعيد وهو اسم الشاعر "لقبه" وهذا هو المعنى المراد لكن شاعرنا احتال في اخفائه وستره .

ومن توريباته بلقبه أيضا قوله : (١)

نَصَبَ الحشا غرضاً فقرطس إذْ رمىٰ ... وهي القلوبُ سهامُها الأحداقُ
وسألتُهُ وصلاً فقال يَحجّبنـي : ... ياليتَشعري من هو الـوّراق

فالتورية ظاهرة في كلمة "الوراق" اذ توحي بمعنيين ، أحدهما قريب ، وهو ناسخ الكتب وبائعها ، والثاني : بعيد والمقصود به شاعرنا الذي اجتهد في اخفائها ، فورى عنها في ظل المعنى القريب .

كما أن شاعرنا يستخدم فن التورية في أسماء الاخرين فمن ذلك قوله (٢) :

أطنبوا في عرفات وغـدوا ... يتعاطونَ له حسن الصفات
ثم قالوا لي : هل وافقتنا ؟ ... قلت عندي وقفة في عرفات

---

(١) خزانة الادب / ٣٠٣ ، الغيث المسجم ٢ / ٤٣٤ وفيه صدر البيت الاول كالاتي : "وقرطس" بدلا من "فقرطس" ، وعجز البيت الثاني كالآتي : "ياليت شعري أينا الورّاق" . ، انوار الربيع ٥ / ٢١ وفيه نفس الملاحظة التي في الغيث المسجم ، كشف اللثام / ١٩ وفيه صدر البيت الثاني كالآتي : "وسألته وصلاً فقال مغالطاً" بدلا من "يحجبني" ، قطر الغيث المسجم / ٣١٨ ، الوسيلة الادبية ٢ / ١٢٢ .

(٢) خزانة الادب / ٣٠٤ ، كشف اللثام / ٢١ ، وفي المصدر الاخير صدر البيت الثاني كالاتي : "ثم قالوا : هذا وقتنا" ، المفصل في تاريخ الادب العربي ٢ / ٢٠١ .

ففى كلمة "عرفات" تورية ، فالمعنى القريب هو المكان المعروف بقرب مكة المكرمة وسبب تبادره الى الذهن ماسبقه من كلمة "وقفة" والبعيد وهو اسم شخص ، وهو الذى ستره ووري عنه .

ومن توريباته قوله فى أحد ممدوحيه (١) :

أنا تَحْتَ وَعْدِكَ ، وأَعُدُّ أملي بما ... يرجوهُ من ظَفرٍ ومن نُجحِ
إذْ قال : أينَ الجودُ ، قلتُ أُجيبه ... مع ابن مبنيٌّ على الفتحِ

والتورية فى كلمة "الفتح" فالمتأمل فيها يتبادر الى ذهنه معنيان أحدهما قريب ، وهو المصطلح النحوى "وهو علامة من علامات البناء" وذلك لسبقه بكلمة "مبنى" وهو غير مقصود ، والاخر بعيد ، يقصده شاعرنا وهو ممدوحه الفتح بن عبد الظاهر .

وقال : (٢)

وأحمقُ أضافنا ببَقْلَهْ ... لنسبة بينهما ووصلَهْ
فَمَنْ أقلّ أدباً من سِفْلَهْ ... قَدْ مَدَّ في وجهِ الضيوفِ رِجْلَهْ

فالتورية فى كلمة "رجله" ولها معنيان ، قريب هو القدم ، وسبب تبادره الى الذهن ماسبقه من كلمة "مد فى وجه الضيوف" بينما شاعرنا لا يقصد هذا وانما يعنى "بقلة معروفه حمراء تؤكل" وهذا هو المعنى البعيد الذى ورى عنه فى ظل المعنى القريب .

---

(١) خزانة الادب / ٣٠٤ .
(٢) شفاء الغليل "مخطوط" / ٢٢٣ ، حلبة الكميت/ ٢٦٩ ، كشف اللثام / ٢٠ ، مطالع البدور ٢ / ٥٨ ، خزانة الادب/ ٣٠٣ ، انوار الربيع ٥ / ٢١ ، الوسيلة الادبية ٢ / ١٢٢ ، الصور البديعية ٢ / ٢٩٣ .

وقال أيضا : (١)

لا تطمعن براحةٍ من مَعْشَــــــر ساد وا بغير مآثر الســـادات
قُطِعَتْ عن المعروف أيديهم وقَدْ سرقُوا العُلا ، فخلت من الراحات

والتورية فى كلمة " الراحات " اذ توحى بمعنيين ، أحدهما قريب وهى بمعنى " الايدى " والاخر بعيد ، وهو الذى يهدف اليه شاعرنا هو " الاستراحـــة " التى ورى عنها وسترها .

وقال ايضا فى مليح : (٢)

عشقتُ من ريقته قرقفـــــاً وماله إذْ ذاكَ من شاربْ (٣)
قَلَنْدَرِياً حَلَقُوا حاجبــــاً منهُ كنون الخَطِّ من كاتبْ
سُلطانُ حُسْنٍ زادَ فى عَذْلِــهِ فاختار أن يبقى بلا حاجبْ

والتورية فى كلمة " حاجب " فهذا المليح الذى حلقوا حاجبه بقى بـــدون حاجب وهذا هو المعنى القريب ، وسبب تبادره الى الذهن سبقه بكلمـــــة " حلقوا " لكن شاعرنا اراد بسلطان الحسن انه اختار ان يبقى بلا حاجـــب " وهو من الحجاب " وهذا هو المعنى البعيد الذى ورى عنه ، واجتهد فـــى ستره .

وقال موريا أيضا : (٤)

أبياتُ شِعرك كالقصـــــ .... ـــور ، ولا قصور بها يعـوق
ومن العجائب لفظُهـــا حُرٌّ ، ومعناها رقيـــــق

---

(١) كشف اللثام / ٢٠ ، خزانة الادب / ٤١ ، ٣٠٤ .
(٢) روض الادب " مخطوط " / ١٦٣ ظهر ، خلع العذار فى وصف العـــذار " مخطوط " الورقة / ٣٦ ، كشف اللثام / ٢٢ ، خزانة الادب / ٣٠٥ ، مطالع البدور ١ / ٢٨ .
(٣) قرقف : الخمر .
(٤) جواهر البلاغة / ٣٦٣ .

والتورية في كلمة " رقيق " فالمعنى القريب هو رقيق بمعنى ضد الحر ، وسبب تبادره الى الذهن هو سبقه بكلمة " معناها " والمعنى البعيد وهو المراد ، هو " من الرقة " وهذا هو المعنى الذى ورى عنه ، واجتهد فى اخفائه .

وقال : (١)

وقال يذم أبناء مجتمعه الذين انصرفوا عن الادب وكرهوه : (٢)

أصونُ أديمَ وجهي عن أُناسٍ ... لقاءُ الموتِ عندهُم الأديبُ
وربُّ الشعرِ عندهُمُ بغيضٌ ... ولو وافى به لهُمُ حبيبُ

فكلمة " حبيب " لها معنيان ، أحدهما " المحبوب " ، وهو المعنى القريب المتبادر الى الذهن بسبب التمهيد له بكلمة بغيض ، والثانى اسم ابى تمام الشاعر ، وهو حبيب بن أوس الطائى ، وهذا المعنى بعيد وقد اراده الشاعر ، ولكنه تلطف فورى عنه وستره بالمعنى القريب .

وقال فى الحث على الجد والمثابرة : (٣)

---

(١) وقال :
برغمِ شبيبٍ فارقَ السيفُ كفَّهُ ... وكانا على العِلاتِ يصطحبانِ
كأنَّ رقابَ الناسِ قالت لسيفِهِ ... رفيقُكَ قيسيٌّ وأنتَ يمانيي
هذان البيتان نسبهما الاستاذ احمد الهاشمى فى كتابه " جواهر البلاغة / ٣٦٤ للوراق ، وهذا خطأ ، والبيتان هما للمتنبى . انظر ديوان المتنبى ٤ / ٣٧٣ .

(٢) خزانة الادب / ٣٠٣ ، كشف اللثام / ١٩ ، انوار الربيع ٥ / ٢١ ، عصر سلاطين المماليك ٨ / ١١ ، ٢٥٩ ، فروخ : تاريخ الادب العربى ٣ / ٦٨٣ ، الوسيلة الادبية ٢ / ١٢٢ ، جواهر البلاغة / ٣٦٣ ، البلاغة الواضحة / ٢٧٦ ، الصور البديعية بين النظرية والتطبيق ٢ / ٢٧٨ ، قصة الادب فى العالم ٢ / ٤٧٠ .

(٣) خزانة الادب / ٣٠٣ ، الغيث المسجم ٢ / ٥٠ وفيه البيت الثانى كالاتى :
وكن عن الراحةِ فى معزلٍ ... فالصفحُ موجودٌ مع الراحة
فوات الوفيات ٣ / ١٤٣ - ١٤٤ ، وفيه صدر البيت الاول كالاتى : =

دَعْ الهوينا وانتصب واكتسب ... وأكدحْ فنفسُ المرءِ كدّاحَـهْ
وكُنْ عن الراحةِ في عزلـةٍ ... فالصفعُ موجودٌ مع الرّاحـه

فالراحة تطلق على الاستراحة وعلى الكف ، وقد تقدمها من القرائن مايخدم المعنيين ، فالانتصاب والكدح يخدم المعنى الاول ، والصفع يخدم المعنى الثانى .

وقال موريا فى مصطلحات النحو : (١)

متى سمعت وعـده ... قال الندى : كيف تـرى ؟
وان يكن مبتـدءاً ... فلا تكذّب خبَـرا

فالتورية فى كلمتى " مبتدءاً " و " خبراً " فالمعنى القريب لكل منهما هو المصطلح النحوى ، لكن شاعرنا اراد المعنى البعيد وهو بداية الشىء وخبره فورى عنهما ببراعة .

ولم يكتف شاعرنا بالتورية فى كلمة واحدة ضمن البيتين او الثلاثة ، وانما نراها احيانا فى صدر البيت وعجزه ، وهذا يدل على تمكن شاعرنا فى هذا الفن الذى شغل فى طلبه باله ، وأسهر فيه ليله ، فضلا عن القابلية الشعرية ، فانظر الى توورياته فى هذين البيتين قائلا : (٢)

كم يريدُ الخبّازُ يرفعُ رطلـي ... وأُرجّي بالنّصبِ مَشْيَ أُمـوري
والى كم شرائِ بالجَرِّ منـه ... وانصرافي بخاطرٍ مكسـور

= دع الهوينا وانتصب للتقى " وصدر البيت الثانى فيه نفس الملاحظة التى فى الغيث المسجم ، انوار الربيع ١ / ٣١٦ وفيه عجز البيت الثانى نفس الملاحظة التى فى الغيث المسجم ، معاهد التنصيص ٢ / ٢٧١ وفى عجز البيت الثانى نفس ملاحظة الغيث المسجم ، دائرة معارف القرن العشرين ٥ / ٩٠ .

(١) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٧ .

(٢) معاهد التنصيص ٣ / ١٥٠ .

فنلاحظ التورية في الكلمات " يرفع " بالنصب ، بالجر ، مكسور " فالمعنى القريب الظاهر هو المصطلحات النحوية المعروفة ، لكن القارئ المتأمل الذي يقرأ بعمق ، يبدو له المعنى الذي عناه الشاعر وهو : أن الخباز يريد أن يقلل من وزن الخبز ، بينما شاعرنا يرجيه ويحتال عليه لتمشيه اموره ، ويشترى منه نسيئة يوما بعد يوم ،وانصرافه آسفا من عنده . وهذا هو المعنى الذي ورى عنه .

وقال شاكيا : (١)

مَنزلي في ذلك البَّـ .... ـر وفي ذا البَّر زادي

والذي عَدَّى تَهَـدَّى بخلافي للمـراد (٢)

فتخلفتُ وخلفـ .... ـتُ غريباً في بلادي

ولتفريطـيَ ما أبـ .... ـقيتُ شيئاً للمعادي

ان منزل شاعرنا لا يستطيع الذهاب اليه الا بقارب ،وذلك لان نهر النيل على مايبدو ، يفصل بين محل عمله وسكناه ، وهو في هذا اليوم قد أفرط في مصروفه ،ونسى ان يبقى شيئا للمعادى ، ويبدو ان المعادى جمع معدية ،هو القارب الذى يعبره النهر ، لكن شاعرنا ورى بكلمة " المعادى " بشكل جميل ينم عن ذكاء حين قصد بها يوم القيامة ، وهو المعنى البعيد الذى جلاه .

وقال في مليح : (٣)

عانقتهُ إذْ جاء من حَجَّـه ورحتُ ألقاهُ ببعض الطريق

فكان ما أهدى بلثمي لـه من شفتيه خاتماً من عقيق

وكان ما أهدى بضمّي لـه غصن أراك قد تثنى وريق

---

(١) تشنيف السمع / ٢٥ .
(٢) عَدّى : عَبَرَ .
(٣) مراتع الغزلان " مخطوط " الورقة / ١٧ .

عانق شاعرنا حبيبه بعد عودته من الحج ، اذ كان يلقاه ببعض الطريق فكانت هديته له قبلة من شفته التى هى خاتم من عقيق ، بينما كانت الهدية الثانية هى ضمه الى جسمه الذى هو كغصن الاراك اللين المورق .

وقد عقد شاعرنا توريته فى كلمة " وريق " التى تفهم مما سبقها من كلمة غصن أراك تثنى مورق بمعنى مخضر ،لكن شاعرنا اراد المعنى البعيد وهو ريق فم الحبيب .

ومن لطائفه قوله فى بخيل : (١)

أَتيتُ أُرجّيه فى حاجـــةٍ فلم تنبعث نفسُه الجامـدَه
وَفَتّلَ فى ذقنهِ والنفـوسُ تعافُ المفتلـةَ البـاردَه

طلب شاعرنا من بخيل حاجة يقضيها له ، فلم تبنعث نفسه الجامدة لقضائها ولم يفعل له سوى أن فتل ذقنه .

وقد عقد شاعرنا توريته فى كلمة " مُفتلة " التى مر معناها وهى من فتل شعر الذقن ، الا أن شاعرنا قصد نوعا من الطعام ، يقول عنه الخفاجى فى كتابه المخطوط " شفاء الغليل " : " انه طعام معروف يسمى الان - ويقصد عصره - شعيريه لكونها على شكل شعير " ، ولا تزال تسمى فى صعيد مصر مفتله الى الان .

وقال ملغزا : (٢)

وبيضاء قد عانقتُها وضممتُهـا ولا قبح فى جهرى بهذا واسرارى

---

(١) شفاء الغليل " مخطوط " / ٢٢٣ ، كشف اللثام/ ١٩ ، مطالع البدور ٢ / ٥٨ ، خزانة الادب/ ٣٠٣ ، الغيث المسجم ٢ / ١٤٦ ، وفى الغيث المسجم ياتى بعد البيت الثانى البيتان التاليان :

وكبدى مقطّعة دونهـا ونيرانها لم تكن خامـدة
فقلت له خلِّ تفتيلهـا وصف عسى خلفها فائـده

(٢) مطالع البدور ٢ / ١٥٠ .

على أنه لاعار فيها محقـــق　　　　وما سلبت والله قط من العاري

فهو قد عانق البيضاء وضمها - وليس عليه هذا شيئا سواء في السر أم فـــى العلانية ،فلاعار في سلوكه هذا ، وان لم يسلم شاعرنا من العار الذي هـــو بمعنى العيب الا أن الوراق ورى في كلمة " العارى " حين قصد بها التعـــرى من اللباس .

ويبدو لي ان هذا اللغز في منشفة او منديل .

وقال في الكبر : (١)

وقَرّبَ السبعون خطوي وأبعدت　　　　مطالب خطوى خلفهن قصيـــرُ

فكيف خلاصي ، أولحاقي بغايةٍ　　　　وها أنَا في قيد الحقوق أسيـرُ

والتورية في كلمة " اسير " فالمعنى القريب الذى ينصرف اليه الذهن هو السير وهذا يفهم من السياق ، ولكن شاعرنا اراد المعنى البعيد وهو بمعنى : الاسـر فورى عنه في ظل المعنى القريب .

وقال في منكرس : (٢)

ومنكرسٍ كلّت اظافرُ كفّـــــــه　　　　ومنا الحديدُ ومَلَّ قلبُ العاشقِ

في كل يوم عدّةٌ في يدلـــــــةٍ　　　　بيدي صناع (عبقرى)حاذقٍ

حتى اذا غلبت عليه لحيــــــة　　　　هجمت هجوم العسكر المتلاحقِ

أصبحتُ أطلبها فلم أرَ أثرهـــا　　　　كيف السبيل لردها من حالقِ

---

(١) فض الختام " مخطوط " لوحة / ٤٨ .

(٢) الاقتصار على جواهر السلك " مخطوط " الورقة / ٧ ، فض الختام" مخطوط" لوحة / ٨ . وفي المصدر الاخير البيتان الثالث والرابع فقط.

والتورية فى كلمة " حالق " فمعناها القريب الذى يفهم من المساق الشعرى هو " الحلاق " وهذا مالا يقصده شاعرنا ، وانما يريد بالحالق ، المكان العالى وهذا ما ورى عنه وستره .

وقال أيضا : (١)

مهما جَرى ذكرُ الخدودِ فإنّه لي جريانَ دمعٍ (في)الخدودِ موَلّه

حق المنازل حقّ من كانوا بهـا فانقع بدمعك غله الرسم الصدي

والتورية فى كلمة " الصدى " التى لها معنيان قريب بمعنى العطش ، وهـذا يفهم من التمهيد له بكلمة " غلة " بينما شاعرنا اراد المعنى البعيد وهـو من الصدأ بمعنى البالى ، فورى عنه فى ظل المعنى الاول . وقال : (٢)

طوت الزيـــارةَ اذ رأتْ عَصْرَ الشّبابِ طوى الزيـــارةْ

وتقولُ ياستي استرحــــ... ـنا لاسراجَ ولا منـــارةْ

فقد تركت زيارته لما عجز فى عصر الشيب ، وصارت تهرب من لقائه لانه اصبح لاسراجا ولا منارة .

وفى كلمتى " لاسراج " و " لا منارة " تورية فالسراج بمعنى القنديل والمنـارة هو العمود الذى يرفع عليه القنديل لكن شاعرنا ورى عنهما فقصد بالســراج نفسه ، والمنارة ...

---

(١) تشنيف السمع / ٨٥

(٢) كشف اللثام / ١٩ ، خزانة الادب / ٣٠٢ ، مطالع البدور ١ / ٩١ ، معاهد التنصيص ٣/ ١٩٥ ، الغيث المسجم ٢ / ٢٣٩ ، فوات الوفيات ٣ / ١٤١ وفيه عجز البيت الاول كالاتى :
" عصر المشيب طوى الزيارة " ، فروخ : تاريخ الادب العربـــى ٣ / ٦٨٤ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥ / ٩٠ .

وقال أيضا : (١)

لما تجلّى وجهُ من　　أهواهُ جُنّ الكاشحُ (٢)
فقلتُ هذا الوجه عذ　　... رٌ ، قال عذرٌ واضحُ

فالتورية فى كلمة " العذر " اذ لها معنيان ، قريب يدركه من سياق النص بمعنى العذرية ، والاخر وهو البعيد الذى عناه شاعرنا هو الاعذار .

وقال فى أقرع : (٣)

أبدى لنا لمّا بدا قرعةً　　يحارُ فى تشبيهها القلبُ
قالوا : فهل تشبه يقطينةً　　فقلتُ لو كان لها لبُّ

وفى كلمة " لب " تورية ، ومعناها القريب الذى يفهم من البيت هو لب الشىء بمعنى خلاصته ، وبعيد مراد شاعرنا بمعنى القلب ، فورى عنه وستره .

وقال : (٤)

ومعمومات روسٍ باكرتنا　　بطيب شذىً ولا طيب العروس
ونبهنا لها الظامى بليلٍ　　حكوا لون الصبوح على القسوس
فقمتُ بما يليق لها فقالت :　　يحقّ لك القيام على الرؤوس

وفى كلمة " الرؤوس " تورية ، اذ لها معنيان ، قريب يفهم من السياق ، وهو الرؤوس العادية ، وبعيد وهو المورى عنه ، هو ان القيام على الرؤوس ، كناية عن الاحترام ، وهو مراد شاعرنا .

---

(١) مراتع الغزلان " مخطوط " لوحة / ٧٥ .
(٢) الكاشح : الذى يضمر لك العداوة .
(٣) فوات الوفيات ٣ / ١٤٣ .
(٤) خزانة الادب / ٣٠٣ وفيه البيتان الاول والثالث . مطالع البدور ٢ / ٥٨ وفيه عجز البيت الاول كالاتى : " تطيب شذى " بدلا من " بطيب شذى " ، والبيت الثالث كالاتى :

فقمنا ماثلين له وقلنا　　يقل لكم القيام على الرؤوس

وقال : (١)

كملت لابني بنات أربـــع والتي جاءت تمام الخاتمــه

قلت : قد سميتها رابعــة قالت : وإياك وأخرى طارمــه

وفى كلمة " رابعة " ورى شاعرنا ، فدلالة الكلمة القريبة هو ان اسمها رابعــة ، بينما الدلالة البعيدة المقصودة والمورى عنها هى العدد .

وقال متغزلا فى بدوية : (٢)

مِنَ البدو كحلاء الجفون بَدَتْ فى قومها كمهاةٍ بين آســاد

بنت عليها المعالي منذ وائبها بيتاً من الشّعر لم يُمْدَدْ بأوتاد

وأوقدتْ وجنتاها النارَ لا لِقِرىً لكن لأفئدةٍ منّا وأكبـــاد

فلو بدَتْ لحسان الحَضْرِ قمن لها على الرؤوس، وقُلْنَ الفضلَ للباد

والتورية منعقدة فى كلمة " باد " التى لها معنيان ، قريب يفهم من السيــاق بمعنى البادية ، وذلك لسبقه بقرينة الحضر ، بينما اراد شاعرنا الذى بــدأ بالحب ، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه .

وقال : (٣)

قالَ الوشاةُ وكنتُ نكّرتُ الذي أهوىٰ لآمن لوعةَ التّعنيـــفِ

ألفُ القوام ، ولامُ خطِّ عذارهِ دلّا عليه بآلةِ التعريـــفِ

---

(١) الغيث المسجم ٢٦٥/١ .

(٢) تأهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ٦١ ، المنتخب من تأهيل الغريب " مخطوط " الورقة / ٥١ ، وفى المصدر الاخير البيت الاول والرابع فقط . قطر الغيث المسجم / ٣٤١ ، وفيه نفس الملاحظة التى فى المنتخب من تأهيل الغريب ، كشف اللثام / ٢٣ ، خزانة الادب / ٣٠٥ ، انوار الربيع ٥٤/٢ ، ٢١/٥ ، عصر سلاطين المماليك ٤٦٧/٨ ، وفى المرجع الاخير نفس ملاحظة المنتخب من تأهيل الغريب ، نشاط الصفدى فى النقد والبلاغة / ٢١٢ .

(٣) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣١٥ .

والتورية فى "آلة التعريف" والتى لها معنيان ، قريب هو "أل" أداة التعريف وقد مهد لها بكلمة "آلة" وبعيد وهو الذى يعنيه شاعرنا وهو القوام وخط العذار اللذان هما علامة تعريف المحبوب .

وقال فى مليح حسن القامة : (١)

وأسمرَ مثلُ الرمحِ عانقتُ قدَّهُ … غداة وداعٍ ، والمراقبُ ينظرُ

فلم أخشَ طعناً للوشاةِ بقولهم … وفى راحتي من قدِّه اللّدنِ أسمرُ

والتورية معقودة فى كلمة "أسمر" اذ لها مدلولان ، الاول قريب وهو بمعنى الاسمر من السمرة ، والثانى بعيد وهو بمعنى الرمح وهذا مارشحته كلمة طعنا ، وهو الذى يعنيه شاعرنا فورى عنه وستره .

وكتب الى بعض أصحابه يطلب كتابا : (٢)

لكَ في المكارمِ سُنّةٌ مألوفةٌ … معروفة الأنساب والأسباب

فابعث لعبدكَ بالكتابِ فلم تزلْ … تقواكَ تشفعُ سُنَّةً بكتاب

والتورية فى كلمة "سنة" التى لها مدلولان ، احدهما قريب وهو معنى السنة النبوية ، وقد مهد لذلك بـ "تقوى ، وتشفع ، وكتاب" وبعيد والذى استكن فى ذهن شاعرنا فورى عنه ، وهو بمعنى العادة .

وشاعرنا يلمح فى شعره احيانا بمصطلحات العلوم ، فيتصرف بها مستخدما اياها فى فن التورية ، ومن ذلك قوله مادحا : (٣)

ياجواداً له القرى والقراءا … ت وفيه من كل نفع وخير

إنْ مددتَ العطاءَ مدَّةَ ورشٍ … ليس هذا علىَّ بالمقصور

دمتَ لي نافعاً كما أنا راجٍ … عاصماً من فجاءة المحذور

---

(١) مراتع الغزلان "مخطوط" الورقة / ٨٨ .

(٢) خزانة الادب / ٣٠٤ ، كشف اللثام / ٢١ .

(٣) معاهد التنصيص ٣ / ١٤٢ .

عقد شاعرنا توريته فى كلمتى " نافع وعاصم " فمعناهما القريب ، القارئــــان المشهوران للقرآن الكريم " نافع وعاصم " وقد مهد لذلك بالقراءة والقراءات لكــن شاعرنا قصد المعنى البعيد الذى يحرص عليه وهو النفع والعصمة فورى عنه .

وقال : (١)

نَصَبَ العداوةَ حاسدوكَ فأعقبوا ... جَزْماً لألسنتهم ، وخَفْضَ الشّانِ

فمتى أراهم أن يروا ورؤوسهــم ... مرفوعة بعوامل المُـــــرّانِ

الذى يقرأ البيتين تبدو أمامه الكلمات : النصب ، والجزم ، والخفض ، والرفع ، فينصرف الذهن الى العلامات الاعرابية المعروفة ، لكن المتأمل يرى فيها بعدا آخر ، فيبدو المعنى كالاتى : نصب العداوة ، بمعنى اقامتها ، وجـــــزم الألسن بمعنى اسكاتها ، وخفض الشأن بمعنى ضآلته ، ورفع الرؤوس بعـــد انكبابها ، وهذا هو المعنى البعيد الذى اراده شاعرنا ، فورى عنه توريـــة جميلة ، وستره فى ظل مصطلحات النحو .

وقال موريا فى مصطلحات النحو : (٢)

كم أنادِيكَ مفرداً علمــاً أر ... فَمُهُ عالماً بشرط المنـــادى

وجوابى مُلغىً يحاكى للولا ... خبراً لو أتى به ما أفـــادا

والتورية فى كلمة " أرفعه " فمعناها القريب ، العلامة الاعرابية لسبقـــه بـ " مفردا علما " بينما الذى شغل بال شاعرنا هو المعنى البعيد ، وهو مـــن رفع الرأس . وكذلك ورى بكلمة " خبرا " فى البيت الثانى ، ومعناها القريب ، المصطلح النحوى " الخبر " لكن شاعرنا كان يلتمس المعنى البعيد وهو بمعنى الاخبـــار عن الشىء .

---

(١) نصرة الثائر / ٣٢٦ .

(٢) معاهد التنصيص ٣ / ١٤٦ .

وقال : (١)

والله ما من خبر سرّني ... إلاّ وذكراك له مبتدا

وطال ما باسمك في خلوتي ... ناديت أو كلّت حروف النّدا

فهو يلمح بمصطلحات النحو في قوله : " مبتدا ، الندا " فضلا من اطلالة التورية من مصطلحه " الابتدا " الذى له معنيان ، قريب بمعنى الابتداء وهو المصطلح النحوى وذلك بقرينة خبر ، وبعيد والذى يستريح له شاعرنا بمعنى البدأ بالشيء وهو الذى ورى عنه .

وقال ايضا : (٢)

رفضوا الشعر جهدهم ورموه ... بينهم بالهوان والازدراء

فلو أنّ الكتاب كان بأيد ... يهم محو منه آية الشعراء

وهنا نلاحظ توجيها باسماء السور ، فهو يشير الى سورة الشعراء فى القرآن الكريم ، فضلا عن وجه التورية المطل منها ، والذى معناه القريب ماذكرنا من التوجيه باسم السورة وذلك بقرينة " الكتاب " والبعيد الذى عناه وورى عنه شاعرنا هو علامة الشعراء .

وقال فى ساق : (٣)

وربّ ساقٍ كالبدر طلعته ... يحمل شمساً أفديه من ساقي

لمّا رآني وقد فتنت به ... من فرط وجدى ، وفرط أشواقي

غنّى وكأس المدام في يده ... قامت حروب الهوى على ساق

---

(١) المرج النظر " مخطوط " الورقة / ٢٧٧ .

(٢) خزانة الادب / ٣٠٣ ، انوار الربيع ٥ / ٢١ ، وفيه عجز البيت الثانى " سورة " بدلا من آية ، عصر سلاطين المماليك ٨ / ١١ ، ٨ / ٢٥٩ .

(٣) بهجة الناظر " مخطوط " لوحة ٣٠٦ .

والتورية منعقدة فى كلمة " ساقى " فى البيت الثالث ، ومعناها القريــــب المفهوم من البيت هو ساقى الخمر ، لانه مهد له ب " غنى وكأس المدام فى يده" لكن شاعرنا قصد معنى آخر وهو المطلوب ، فورى عنه وهو اشتداد الحرب وهـــو المعنى الكنائى .

وأكتفى بهذا القدر من دراسة فن التورية فى شعره ، بعد أن مثلت لها ببضع وخمسين نموذجا ، والحقيقة لو استخرجت كل تورياته لتضاعفــــت الرسالة .

...

- الاقتباس والتضمين :

الاقتباس لغة : مصدر اقتبس اذا اخذ من معظم النار شيئا ، وذلك المأخوذ قبس " بالتحريك "(١) .

وفي الاصطلاح : هو تضمين النظم أو النثر كلمة من آية ، أو اية من كتاب الله العزيز او السنة ، لا على أنه منه ، بأن لا يقال فيه ، قال الله أو نحوه فان ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا . (٢)

ويقول النويري في التضمين : (٣) " هو أن يضمن المتكلم كلامه ، كلمة من آية ، أو حديث ، أو مثل سائر ، أو بيت شعر " .

بينما يفرق السيوطي بين التضمين والاقتباس(٤) ، اذ التضمين عنده هو أن يضمن الاديب نثره أو شعره ما وقع في القرآن أو السنة موزونا لا على أنه منه أي لا على وجه يشعر بانه من القرآن أو السنة ، بأن يقال في أثناء الكلام ، قال الله تعالى ، أو قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فان ذلك لا يكون حينئذ اقتباسا .

أما التضمين عنده ، فهو أن يضمن الشاعر شعره شيئا من شعر الغير مع التنبيه على أنه من شعر الغير ان لم يكن مشهورا عند البلغاء لئلا يتهم بالاخذ والسرقة ، والا فلا حاجة اليه ، والاحسن في ذلك ان يزيد على الاصل بنكته لا توجد كالتورية والتشبيه .

---

(١) أنوار الربيع ٢ / ٢١٧ .
(٢) خزانة الادب / ٥٣٩ ، حسن التوسل / ٣٢٣ .
(٣) نهاية الارب ٧ / ١٢٦ .
(٤) شرح عقود الجمان / ١٦٩ .

ويقول ابن حجة الحموى : (١) بأن هناك من العلماء من يقول بأن الشاعر لا يقتبس ، بل يعقد ويضمن ،أما الناثر فهو الذى يقتبس كالمنشئ والخطيب فاذا جاء فى المنظوم فهو تضمين ،واذا جاء فى المنثور فهو اقتباس .

ولعل رأى بعض علماء البلاغة الاخير ، فى كون التضمين يكون فى الشعر، والاقتباس يكون فى النثر على درجة من الوجاهة .

واذا أتينا الى دراسة شعر الوراق ، وجدنا ظاهرة الاقتباس بارزة فيه ، وهذا دليل على سعة أفقه الأدبى ، وكثرة اطلاعه على الدواوين ، ولعل للقرآن أثرا كبيرا عليه ، اذ هو كثير الاقتباس للآيات الكريمة . فمن ذلك قوله : (٢)

وفاتنِ القَدّ ، فاترِ المُقَلِ ... يَميسُ بين النّشاطِ والكَسَلِ
أرسَلَ جَفْنيه للقلوبِ فأ ... مّنا على فترةٍ من الرُّسُلِ

والاقتباس فى البيت الثانى من الآية الكريمة " يا أَهْلَ الكِتابِ قَدْ جاءَكُم رسولُنا يُبيّنُ لكُم على فَتْرةٍ مِنَ الرُّسُلِ "(٣) .

ومن اقتباساته قوله : (٤)

ومجلسٍ للشُّربِ فيه قينةٌ ... تحييهم شدواً ، كما تُهلِكُهُم
لو رآها الهُدهُد قال قولَهُ : ... إنّي وجدتُ امرأةً تَملِكُهُم (٥)

---

(١) خزانة الادب / ٥٤٣ .
(٢) صرف العين " مخطوط " لوحة / ١١٤ ، سحر العيون " مخطوط "/٢١٨ .
(٣) سورة المائدة / ١٩ .
(٤) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٦ .
(٥) البيت فيه خلل عروضى ، هكذا ورد فى المخطوطة ، ولم أهتد لاصلاحه .

والاقتباس وقع في البيت الثاني للآية الكريمة "إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُم وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ". (١)

ومن اقتباساته القرآنية قوله : (٢)

أراني بطيئاً إذا ماكتبتُ	وقد خُلِقَتْ طينتي من عجَلْ
كأنِّيَ خالفتُ نَصَّ الكتاب	فعندي لكُلِّ كتابٍ أجَلْ

والاقتباس في البيت الثاني من الآية الكريمة : "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" (٣).

وقال أيضا : (٤)

وأسمرُ يحكي الأسمرَ اللدنَ قدّه	ويغدو له الغُصنُ النضير نضيرا
لهُ وجنةٌ ، بل جنّةٌ زانَ حُسنُها	عذارٌ، فصارت جنّةً وحريرا

والاقتباس في البيت الثاني للآية الكريمة "وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا" (٥)

وقال يمدح صديقه الشاعر نصير الدين الحمامي : (٦)

شاقني للنصير شعرٌ بديع	ولمثلي في الشعر نقدٌ بصير
ثمَّ لما سمعتُ باسمك فيه	قلتُ: نعم المولى ونعم النصير

والبيت الثاني فيه اقتباس من الآية الكريمة : "وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ" (٧)

---

(١) سورة النمل / ٢٣ .

(٢) الغيث المسجم ٢ / ٢٢٠ ، تمام المتون / ٨٣ .

(٣) سورة الرعد / ٣٨ .

(٤) مراتع الغزلان "مخطوط" الورقة / ٥٢ ظهر ، نشأة العقار "مخطوط" ، لوحة / ٤٦ ، خلع العذار "مخطوط" الورقة / ٢٥ .

(٥) سورة الانسان / ١٢ .

(٦) التذكرة الصفدية "مخطوط" ١٣ / الورقة ١٠٥ ظهر ، خزانة الادب / ٣٠٢ الغيث المسجم ٢ / ١٨٥ ، بدائع الزهور ١ / ١٣٤ ، كشف اللثام / ٢١ ، انوار الربيع ٢ / ٢٤٧ ، معجم ابيات الاقتباس / ٢٥ ، نشاط الصفدي في النقد والبلاغة / ٢٣٨ ، مجلة العربي العدد ١٤٩ / ٧٣ .

(٧) سورة الانفال / ٤٠

ومن اقتباساته قوله : (١)

أهلاً بطيفك يا امام رسولا ... ماكنت لولاه لأبلغ سؤلا

أدى رسالته وعاد فليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

والبيت الثاني فيه اقتباس للاية الكريمة : " ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً "(٢) .

وقال : (٣)

وفتنتهم في أجرة الحرث ثانياً ... فأنت الذي قد أهلك الحرث والنسلا

والاقتباس من الاية الكريمة : " وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ."(٤)

وقال : (٥)

فأسأل الله رب العرش يبدلني ... من المحارة تسريحاً باحسان

والاقتباس من الآية الكريمة : " الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان(٦) ."

ومن اقتباساته قوله : (٧)

يخرج الطيب سهلاً ... من يد تسدي الندى

والذي يخبث ، لا ... يخرج إلا نكدا

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٥٦ .

(٢) سورة الفرقان / ٢٧ .

(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٦٦ .

(٤) سورة البقرة / ٢٠٥ .

(٥) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٩٩ .

(٦) سورة البقرة / ٢٢٩ .

(٧) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٨٤ .

والبيت الثاني فيه اقتباس من الاية الكريمة : " وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا "(١) .

وقال أيضا : (٢)

تَصومُ وتَفطرُ في عافيـة	فلا زلتَ في عيشةٍ راضيـة
هلا فيك شكري وصحفتـهُ	فللهِ ما جرَت القافيـة

والبيت الاول فيه اقتباس من الاية الكريمة : " فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ."(٣)

ومن اقتباساته قوله : (٤)

وهو مع فرط الغنى	ذو راحةٍ ذاتَ جَفاف
فهو وادٍ غيـر ذي	زرعٍ ، ولكن بحد قاف (٥)

والاقتباس في البيت الثاني من الاية الكريمة : " رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ."(٦) .

ومن اقتباساته قوله : (٧)

أُسكتْ إنْ خاضَ الورى في ذكره   حتى يخوضوا في حديثٍ غيره

والبيت فيه اقتباس من الاية الكريمة : " فَلا تَقْعُدوا مَعَهُمْ حَتّى يَخوضوا في حَديثٍ غَيْرِهِ "(٨) .

---

(١) سورة الاعراف / ٥٨ .
(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٤١٣ .
(٣) سورة الحاقة / ٢١ .
(٤) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٤٥ .
(٥) لكن بحد قاف : لم يتضح لي المراد منها .
(٦) سورة ابراهيم / ٣٧ .
(٧) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣١٠ .
(٨) سورة النساء / ١٤٠ .

وقال أيضا : (١)

نظرتُ إلى بدر السماءِ ووجهه | من حُبِّ بعض الحسن يذكرك البعضا
وحيّرتُ طرفي فيهما فأجابني : | قد اخترتُ ما أرضى فلن أبرح الأرضا

والاقتباس في البيت الثاني من الآية الكريمة : " فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ." (٢) .

وقال ايضا : (٣)

من لم يكن في الأنام ناصرهُ | فما له قوة ولا ناصرْ

والاقتباس للآية الكريمة : " فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ". (٤)

وتمتد ثقافة الوراق لتنهل من افاويق السنة المشرفة ، فهو يقتبس من الاحاديث النبوية الشريفة ، ومن ذلك قوله : (٥)

ومن عاطر الأنفاس من ورد خدهِ | ونرجس عينيه وآس عذارهِ
له جنة ، بل جنةٌ من رقيبه | وواشيه قد حُفّت لنا بالمكارهِ

والاقتباس في البيت الثاني من حديث المصطفى " عليه الصلاة والسلام " : " حُفّت الجنةُ بالمكاره ، وحُفّت النارُ بالشهوات " (٦) .

وقال أيضا : (٧)

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٢٩ .
(٢) سورة يوسف / ٨٠ .
(٣)
(٤) سورة الطارق / ١٠ .
(٥) مراتع الغزلان " مخطوط " الورقة / ٥٢ ظهر ، خلع العذار " مخطوط " الورقة / ٢٦ ، لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٠٩ .
(٦) مسند الامام احمد بن حنبل ٤ / ٢١٧٤ .
(٧) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣١٧ .

تطوي الفلا ، والصَّومُ تطويها ولا تحمل في الرُّخصة بأثور الخَبَرْ
فكُن لها مُفطراً ، ومُجَبّراً ليس من البِرِّ الصيامُ في السَّفَرْ

والاقتباس في البيت الثاني لحديث الرسول الكريم " عليه الصلاة والسلام " " لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ في السَّفَرِ . "(١)

ويقتبس شاعرنا أيضا من أمثال العرب المشهورة ، فمن ذلك قوله في وصف الحور بالسيف : (٢)

قُلتُ إذْ جَرَّدَ لحظاً حَدَّهُ يُدني الأجَلْ
ياعذولي كُفَّ عني سَبَقَ السَّيفُ العَذَلْ

والاقتباس في البيت الثاني للمثل العربي المعروف " سَبَقَ السَّيفُ العَذَلْ "(٣)

ومن اقتباساته ايضا قوله : (٤)

أنا الذي روى حديث الشو ق من طرق ، وقد قيل الحديث شجون (٥)
غزت القدود السمهرية مهجتي وامدهن من اللِّحاظِ كمين

والاقتباس وقع في البيت الاول للمثل العربي : "الحديثُ ذو شجون"(٦) .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤ / ١٨٣ .
(٢) صرف العين " مخطوط " لوحة / ١١٤ ، سحر العيون " مخطوط " / ١٢٣ ، تزيين الاسواق " مخطوط " / ٢٠١ ، الغيث المسجم ٢ / ٣٧٤ ، قطر الغيث المسجم / ٣٠٢ .
(٣) كتاب الامثال رقم المثل ١٠٤ ص ٦٢ .
(٤) الاقتصار على جواهر السلك " مخطوط " الورقة / ٢٩ ، لمع السراج " مخطوط " / ٣٩٤ .
(٥) عجز البيت مكسور ، هكذا ورد في المخطوطتين ، ولم أهتد لاصلاحه .
(٦) كتاب الامثال رقم المثل ١٠٢ ص ٦١ .

ومن ذلك قوله أيضا : (١)

وأعطِ القوسَ باريها طيــــك ... تخيّر خير سهم في الجعـاب

ولم لا والوزيرُ له دليـــــلٌ ... ومازال الدليلُ علىَ الصّـــواب

والاقتباس في البيت الاول للمثل العربي "إِعطِ القَوْسَ باريها "(٢)، بمعنى استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق له .

ومن ذلك قوله أيضا : (٣)

وسقيمُ الجفون أودعه اللــ ... ــه بذاك السقام سِرّاً خفيّـــا

غَلَبَتْ مُقْلَتاهُ قلبي عشقـــاً ... وضعيفان يغْلُبانِ قَويّـــا

والاقتباس في البيت الثاني للمثل " وضَعيفانِ يَغْلُبانِ قَوِيّا "(٤) .

وتطالعنا ثقافة العراق الأدبية الواسعة ، وأثر شعرائها فيه من خـــلال تضميناته لشعرهم ، بما في ذلك شعراء العصر الجاهلي ، والاسلامي ، والعصور التي تلته ، فمن ذلك قوله : (٥)

والويلُ ويلك إنْ ذاقت عُسيلتهُ ... وباتَ يجتمعان ،الزبْدُ والعَسَلُ

لأنشدنّكَ إن ودّعتَها سَفَهـاً ... "ودّع هُريرةَ إنَّ الرَّكْبَ مرتَحِلُ"

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٥٤ .

(٢) كتاب الامثال رقم المثل ٦٠٤ ص ٢٠٤ .

(٣) الدر الثمين " مخطوط " الورقة / ٦٤ ظهر ، المرج النظر " مخطوط " ، الورقة / ١٥٩ ، سقط الجواهر المنظومة " مخطوط " لوحة / ٢٠ ، سحر العيون " مخطوط " / ٣٠٥ ، غيث الادب " مخطوط " الورقة / ٢ ، الغيث المسجم ١ / ١٢٣ ، قطر الغيث المسجم / ٥٩ .

(٤) معاهد التنصيص ١ / ١٩٩ .

(٥) المصدر نفسه ١ / ١٩٩ .

فالتضمين في البيت الثاني لصدر بيت مطلع معلقة الاعشى التى يقول فيها [١] :

وَدِّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحِـلُ ... وهَلْ تطيقُ وداعاً أيُّها الرَّجُـلُ

ومن تضميناته قوله : [٢]

إذا ما جعلتم جفنةَ الصُّلحِ سُكّرا ... فقد جئتم الأَمرَ الّذى كان أَصلحا

وانتم أحقُّ النّاسِ أَنْ تنشدوا لنا ... "لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمعْنَ بالضُّحى"

والتضمين في البيت الثاني من قصيدة لحسان بن ثابت "رضى الله عنـــه" فقد ضمن صدر بيته التالي : [٣]

لَنَا الجفناتُ الغُرُّ يلمعْنَ بالضُّحى ... وأَسيافُنا يقطُرْنَ مِنْ نجدةٍ دَما

ومن تضميناته قوله من جملة أبيات يصف بها قصيدة نظمها صديقه الشاعـــر ابن النقيب فيقول : [٤]

ومَدْحٍ كَسا الممدوحَ منه ملابسـاً ... وشايعها في الحسن فوقَ الوشائعِ

وإنْ مرَّ في ذكر الوقائع خلتـــه ... "جنىُ النَّحلِ ممزوجاً بماءِ الوقائعِ"

فضمن في البيت الثاني عجز بيت ذى الرمة : [٥]

ونلنا سِقاطاً مِنْ حديثٍ كأَنّـــه ... جَنَى النَّحْلِ ممزوجاً بماءِ الوقائعِ

ومن تضميناته قوله : [٦]

---

(١) ديوان الاعشى / ١٤٤ .

(٢) الدر الثمين "مخطوط" الورقة / ٦٤ ظهر ، فيث الادب "مخطوط" الورقة / ٢ ، لمع السراج "مخطوط" لوحة / ٢٨٠ ، الغيث المسجم ١ / ٢٣ / أ وفيه صدر البيت الثاني كالاتي :
"وأنتم أحقُّ الناسِ أنْ تنشدونا ".

(٣) ديوان حسان بن ثابت / ١٣١ .

(٤) فض الختام "مخطوط" لوحة / ٨ .

(٥) ديوان ذى الرمة / ٤٤٨ .

(٦) معاهد التنصيص ٣ / ٢٨٥ .

لكم أيادٍ عذابٌ لي مواردُهـا والوفدُ منهن بين الوردِ والصدرِ
والبردُ يمنحني منها على ظمئي "والعذبُ يُهجرُ للإفراطِ في الخَصَرِ"

ففي البيت الثاني تضمين لعجز بيت أبي العلاء المعري : (١)

لو اختصرتم من الإحسانِ زرتكمُ والعذبُ يُهجرُ للإفراطِ في الخَصَرِ

ومن تضميناته قوله : (٢)

تَوارتْ مِنَ الواشي بليل ذوائب له من جبين واضح ، تحته فجرُ
فَدَلَّ عليها شعرها بظلامه "وفي الليلةِ الظلماءِ يُفتقدُ البدرُ"

فضمن في البيت الثاني عجز بيت أبي فراس الآتي : (٣)

سَيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهم وفي الليلةِ الظلماءِ يُفتقدُ البدرُ

ومن ذلك قوله أيضا : (٤)

أقمتَ المطامعَ من نومها ونمتَ فمن ذا بهذا حكمْ
وحاشاكَ تَسْمعُ في مثلها " فنبه لها عمراً ثم نمْ "

وكذلك قوله (٥)
فقلتُ : تنامُ ولي مقلة مسهدة ، من بهذا حكمْ ؟

---

(١) سقوط الزند / ٥٦ .
(٢) روض الادب " مخطوط " ١٦٣ ظهر ، الدر الثمين " مخطوط " الورقة ٢٩ ظهر ، غيث الادب " مخطوط " الورقة/ ١ ، خزانة الادب / ٤٧٣ ، الغيث المسجم ١/ ١٢٢ ، قطر الغيث المسجم/ ٥٩ ، معاهد التنصيص ٤/ ١٧٠ ، النقد الادبي في العصر المملوكي / ١٧٥ .
(٣) ديوان ابي فراس / ١٦١ .
(٤) معاهد التنصيص ٤/ ٢٠٣ .
(٥) الدر الثمين " مخطوط " الورقة/ ٦٤ ظهر ، غيث الادب " مخطوط " الورقة ٢/ لمع السراج " مخطوط " لوحة/ ٣٨٦ ، تمام المتون/ ٥٥ وفيه البيتان كالاتي :

سيوفٌ لها ناظرٌ نام عن حديثي وأيقظني للألمْ
كأنَّ ابن بُرْدٍ له قائل فنبه لها عُمراً ثم نمْ

معاهد التنصيص ٤/ ٢٠٣ ، قطر الغيث المسجم / ٥٩ .

فقال : أما قال بشاركم   فنبه لها عمراً ثم نم

فالتضمين في البيتين الثانيين لعجز البيت بشار بن برد الاتي : (١)

إذا أيقظتك حروب العدى   فنبه لها عمراً ثم نم

وقال يهجو بخيلا : (٢)

وباخل يشتأ الأضياف حل به   ضيف من الصفع ، نزال على القمم

سألته ما الذي تشكو؟ فجاوبني :   "ضيف ألم برأسي غير محتشم"

والبيت الثاني فيه تضمين لصدر بيت المتنبي الاتي : (٣)

ضيف ألم برأسي غير محتشم   والسيف أحسن فعلاً منه باللمم

وقال أيضا : (٤)

حللت جفناه سفك دم   لم تصنه الاشهر الحرم

فبمن ارجو مناصفتي   "منه وهو الخصم والحكم"

فالبيت الثاني فيه تضمين لجزء من عجز بيت المتنبي الاتي : (٥)

يا أعدل الناس إلا في معاملتي   فيك الخصام ، وأنت الخصم والحكم

وقال في طبيخ : (٦)

---

(١) ديوان بشار بن برد ٤ / ١٦٠ .

(٢) الدر الثمين " مخطوط " الورقة / ٦٤ ظهر ، غيث الادب " مخطوط " الورقة ١/ ، فوات الوفيات ٣/ ١٤٢ وفيه صدر البيت الثاني كالاتي : " سألته ما الذي يشكو فجاوبني " . ، الغيث المسجم ١/ ١٢٢ ، قطر الغيث المسجم / ٥٩ ، معاهد التنصيص ٤/ ١٧٦ .

(٣) شرح ديوان المتنبي ٤/ ١٥٠ .

(٤) سحر العيون " مخطوط " / ٢٨٧ .

(٥) شرح ديوان المتنبي ٤/ ٨٣ .

(٦) مراتع الغزلان " مخطوط " الورقة / ٩١ ، الاقتصار على جواهر السلك " مخطوط " الورقة / ٢١ وفيه عجز البيت الاول كالاتي : " اورق لي " . ، فوات الوفيات ٣/ ١٤٢ ، عصر سلاطين المماليك ٨/ ٤١٥ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥/ ٩١ وفيه عجز البيت الاول كالاتي : " اذ رق لي " .

قَدْ ضاعَ خِصْرٌ له مازلتُ أنشده ... فرق لي ، ورثى للسقم من بدني

وقال لي بلسانٍ من مناطقِهِ : "لولا مخاطبتي إياكَ لم ترني"

وفي البيت الثاني تضمين لعجز بيت المتنبي الاتي : (١)

كفى بجسمي نحولاً إنني رجلٌ ... لولا مخاطبتي إياكَ لم ترني

وقال مضمنا : (٢)

ومالي لم أفطن لشرح شبابها ... ودراعتي قد شيبت قلبي الدهرا

ينعى ابن حرب طيلساناً بذكره ... تناست لياليه "قفا نبكِ من ذكرى"

والتضمين في البيت الثاني من قول امرىء القيس في معلقته : (٣)

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

وقال : (٤)

قد ضاع خصرٌ لها مازلتُ أنشده ... إذ رقّ لي ، ورثى للسُّقم من بدني

وقال لي بلسان من مناطقه ... "يا حبذا جبل الريان من جبل"

والتضمين في البيت الثاني من لعجز بيت جرير الآتي : (٥)

يا حبذا جبلُ الرّيانِ من جَبَلٍ ... وحبّذا ساكنُ الرّيانِ مَنْ كانا

...

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٤/٣١٩ .

(٢) لمع السراج "مخطوطة" لوحة /٣١٧ .

(٣) ديوان امرىء القيس /٢٩ .

(٤) روض الادب "مخطوط" /١٧٥ ظهر .

(٥) شرح ديوان جرير ١/٥٩٦ .

ـ التكـرار :

التكرار أسلوب عرفه العرب منذ القدم ، ويدل على ذلك ما حفل به شعرهم من تكرار الأسماء ، والمواضع فى مواقف مختلفة .

وورود التكرار فى القرآن الكريم دليل على قيمة أدائه فى التعبير البيانى ، والقرآن الكريم قد خاطب العرب بما يألفون من الاساليب ، وبكلام يدركون مواقعه ومراميه .

ويعرف ابن حجه الحموى التكرار فى كتابه خزانة الادب فيقول : (١) " هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى ، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم ، أو التهويل ، أو الوعيد ، أو الانكار ، أو التوبيخ ، أو الاستبعاد ، او لغرض من الاغراض ".

أما ابن معصوم المدنى فيقول عن التكرار فى كتابه أنوار الربيع (٢) : " التكرار وقد يقال التكرير ، فالاول اسم ، والثانى مصدر من كررت الشىء اذا اعدته مرارا ، وهو عبارة عن تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة ، ونكته كثيرة منها : التوكيد كقوله تعالى : " كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ " . فالتكرير تأكيد للردع والانذار ، فقوله كلا : ردع وتنبيه .

ومنها زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة والايقاظ من سنة الغفلة ليكمل تلقى الكلام بالقبول كما فى قوله تعالى : " وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ " فانه كرر فيه النداء لذلك .

---

(١) خزانة الادب / ٢٠٥ .
(٢) انوار الربيع ٥ / ٣٤٥ .

ومنها تذكر ما قد بعد بسبب طول الكلام ، وهذا التكرير قد يكون مجردا عن رابط كما في قوله تعالى : " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ".

وقد يكون مع رابط كما في قوله تعالى : " لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ".

فقوله : فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ ، تكرير لقوله : لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ، لبعده من المقول الثاني .

ومنها زيادة التوجع والتحسر ، وهذا نلمسه في المراثي خاصة .

ومنها التهويل نحو قوله تعالى : " الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ " .

ومنها زيادة المدح فضلا عن التنويه بشأن المذكور .

ومنها التعظيم كقوله تعالى : " وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ " .

ومنها التلذذ بذكر المكرر كما هو الحال في ذكر اسم المحبوبة في الغزل".

وللدكتور ماهر هلال نظرة جمالية للتكرار اذ يقول (١) : " لعل من ابرز صور التناسق الجمالي في ظواهر الاشياء هو الانسجام في تكرار الوحدات الجزئية المكونة للكل ، والتكرار في التعبير الادبي هو تناوب الالفاظ واعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا يتقصده الناظم في شعره أو نثره واكثر مايقع التكرار في الالفاظ دون المعاني ".

ويفسر د . عزالدين اسماعيل ظاهرة التكرار في الشعر فيقول عنها (٢) : " ان للصحراء موسيقى ذات نغمة واحدة متكررة ، فكلام لا يمكن فهمه لعدم تحدده ، ولا شك ان فكرة الدائرة يمكن ان توضح لنا ظاهرة التكرار هذه . ان الحركة

---

(١) جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي / ٢٣٩ .

(٢) الاسس الجمالية في النقد العربي / ٢٦٨ .

فى الصحراء معناها الانتقال من دائرة الى دائرة ، فالدائرة ظاهرة دائمة ولا يمكن التمييز فى لحظة من اللحظات بين دائرة واخرى ،فكأن الوجود يتكرر فى دوائر متشابهة تمام التشابه ، مهما استقلت هذه الدوائر بمحتوى خاص وليس التكرار الا تكرارا للوحدة المستقلة للدائرة المغلقة ، وهكذا هو فى القصيدة ، ابياتها دوائر متشابهة بل متطابقة فى موسيقاها ونسقها ، ولكل منها دلالاته المستقلة ، وان اختلفت الدلالات ."

ونجد للدكتور على البطل تعريفا للتكرار الذى يقول عنه : (١) " التكرار فى حد ذاته وسيلة من الوسائل السحرية التى تعتمد على تاثير الكلمة المكررة فى احداث نتيجة معينة ".

وللتكرار فى شعر الوراق نصيب كبير ، فمن ذلك تكراره مثلا لكلمة الليل التى تعبرعن باعث نفسى ، فيناوب كلمة الليل فى قوله : (٢)

لعَلَّ البرق من نجدٍ لعلَّه يصول على الدُّجى ، فيهز نصله

فإنَّ اللّيلَ طال ،عدمتُ ليلاً يَسدُّ إلى الصباح علىَّ سُبله

وقد وقفت نجوم الليل منه كسفر جائزين بلا أدلّه

والتكرار هنا لفظى يريد به شاعرنا ذم الليل الذى أضجره ، وهو شعور واحساس خاص مر به شاعرنا فخال الليل طويلا .

كما نلاحظه يكرر كلمة الليل فى مقطوعة أخرى لنفس السبب وهو الضجر والاحساس بثقل وطأته عليه فيقول : (٣)

---

(١) الصورة فى الشعر العربى / ٢١٨ .

(٢) لمع السراج " مخطوطة لوحة / ٣٥٦ .

(٣) بهجة الناظر " مخطوطة لوحة / ٣٦٠ .

من كان يحمد ليلاً في تقاصره   فإنَّ ليلي لا يُرجى له سحرُ
لا تسألوني إلاّ عن أوائله   فآخرُ اللّيل ماعندي له خبرُ

ولا يقتصر شاعرنا على تكرار الالفاظ وحدها ، وانما يمتد ليشمل عبارة من ذلك قوله : (١)

وُخلفُ الوعدِ ، خُلفُ الوعدِ قالوا   وقد صدقوا ، وأنتَ لهم دليلُ
تقولُ ولا تقوم لنا بوعد   فليتك لا تقومُ ولا تقولُ

فهو قد كرر عبارة " خلف الوعد " مرتين وما ذلك الا للانكار للذى يخلف الوعد فضلا عن تكرار كلمة " القوم " و"تقول " مرتين وذلك للتوبيخ والدعاء على من وعده وأخلف .

على أن لغة التكرار تظل باعثا نفسيا يهيئه شاعرنا بنغمة تأخذ السامعين بموسيقاها ، ولا عجب فالعاشق يحلوله الوقوف على أطلال الاحبة وقفة مغرم لما لهذه الوقفة من اثارة المشاعر والوجدانات ، فتطالعنا كلمة " الوقوف" مكررة في قوله : (٢)

قِفْ بي على الأطلالِ وقفة مغرمٍ   أطلال سلمى ثم حيِّ وسلّمِ
قِفْ بي فَما عندَ المَدامعِ وقفةً   ووراءها ما استحدثته من دمِ
وحمائم هجن الغرام بدمنةٍ   فيها أثافي كالحمائم جُثّمِ

ويلجأ شاعرنا الى نغم خاص من خلال ايقاع نفسي خاص يمر به ، فيكرر ضمير المخاطب فيقول من قصيدة يخاطب فيها الجزار : (٣)

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٦٢ .
(٢) المصدر نفسه لوحة / ٣٧٣ .
(٣) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣٠٧ ، لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٥٣ .

أَنْتَ فِي دِينِكَ الحُطَيْئَةُ لَمَّا قَسَمَ المَالَ فِي بَنِيهِ وَفَـرَّقْ (١)
أَنْتَ كَابْنِ الحُبَابِ فِي حِفْظِكَ الجُلاَّ سَ وَابْنُ الحُبَابِ ذَا الَّذْ يُصَدَّقْ
أَنْتَ ذُو عَارِضٍ مَتَى مَا نَظَرْنَا هُ نَظَرْنَا إِلَى النَّدَى وَالمُحَلَّقْ
أَنْتَ يَوْمَ النَّدَى يَزِيدُ سُلَيْمٍ لا يَزِيدُ الأَزْدِيُّ مَا أَحْسَنَ الحَقّْ
أَنْتَ تُزْرِي بِالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فِي الوَغَى وَالكُمَاةُ عَنْهُ تَفَرَّقْ
أَنْتَ تُزْرِي بِحَاتِمٍ وَبِمَعْنٍ مُذْ رَأَيْنَاكَ بِالنَّدَى تَتَخَلَّقْ
أَنْتَ مِمَّنْ رَأَيْتُ دُونَكَ كَعْبٌ وَالثَّرَى مِنْ دِمَاءِ جُزْرِكَ تَشْرَقْ

فتكرار كلمة " أنت " فى كل بيت جاء للتوكيد ، فشاعرنا قد اتكأ على هذه الكلمة يكررها لتسعفه فى كلامه الذى يصف به صاحبه ، اضافة لتقوية جرس الالفاظ ، فنرى رنين ضمير المخاطب المكرر فى الابيات . كما يطالعنا فى شعره تكرار كلمة " الى " ثلاث مرات فى قوله : (٢)

إِلَيَّ إِلَيَّ يَا قَمَرَ النَّدَامَى وَمَنْ كُلُّ القُلُوبِ لَهُ مَنَازِلْ
إِلَيَّ بِكَأْسِهَا صَفْرَاءَ تُهْدَى تُغَنِّيهَا لَنَا شَمْسُ الأَصَائِلْ

ويكرر كلمة " كأن " التى يعتمد عليها فى تشبيهاته فيقول : (٣)

كَأَنَّ سَنَا المِرِّيخِ شُعْلَةُ قَابِسٍ تَلُوحُ عَلَى بُعْدٍ وَيَخْفَى ضِرَامُهَا
كَأَنَّ السُّهَى صَبٌّ سَهَا نَحْوَ إِلْفِهِ يُرَاعِي اللَّيَالِي جَفْنُهُ لا يَنَامُهَا
كَأَنَّ خُفُوقَ البَرْقِ قَلْبُ مُتَيَّمٍ رَأَى بَلْدَةَ الأَحْبَابِ أَقْوَى مُقَامُهَا
كَأَنَّ الثُّرَيَّا أَفْقَةٌ فِي انْبِسَاطِهَا يَمِينُ كَرِيمٍ لا يَخَافُ انْضِمَامُهَا

وهكذا يستمر فى تكرار أداة التشبيه ثلاث عشرة مرة يريد بها التأكيد ، وتقوية النغمة .

---

(١) ستاتى تعريفات موجزة للاعلام المذكورين فى هذه الابيات فى فصل المساجلات الشعرية .

(٢) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٥٨ .

(٣) حلبة الكميت / ٣٧٠ .

ولشاعرنا ابيات يكرر فيها كلمة " من لى اذا " فيقول : (١)

مَنْ لي إذا اعتقلَ اللّسانُ وحشرجتْ — في الصّدر، وامتلأتْ شجىً لهواتي
مَنْ لي إذا أُسْكِنْتُ وحشةَ الثّرى — وتركتُ ربعي مقفر العرصات
مَنْ لي إذا وُضِعَ الكتابُ مُجازياً — عن سيّئاتٍ كُنَّ أو حسنات
مَنْ لي إذا زفرت جهنمُ واعتلتْ — أنفاسُ كُلِّ الخلق بالزّفرات

فتأمل موقفه وهو مرتعب أمام الموت ، يخشى معانقة الردى ، فندرك التذبذب النفسى المنبعث من تكرار " من لى " فى وحدة نفسية توحى بالتوجع والتألم.

والتكرار هنا أفاد تقوية الصورة، وأشاع فى الابيات موقفا نفسيا عاناه الـوراق متمثلا فى القلق والاضطراب.

وانظر الى تكرار " هو خير من " فى نفس القصيدة قائلا : (٢)

هو خيرُ من وطئ الثرى، هو خيرُ من — سنّ القِرى في شدّةِ الأزمات
هو خيرُ من سار موهناً، هو خيرُ من — جمعت مِنىً والرّكبُ من عرفات
هو خيرُ داعٍ قد دعا ، هو خيرُ سا — عٍ قد سعى، وأتمّ بالجمرات

وتكرار " هو خير من " ست مرات فى كل بيت مرتين قد اعطى النص بعدا معنويا ، اذ أراد التأكيد على عظمة الرسول الكريم الذى يمدحه ، فنراه يلهج بذكره ، كما كان التكرار تقوية لجرس الالفاظ ، وتقريرا لارادة التعبير فضلا عن تفخيم الرسول الكريم " صلى الله عليه وسلم " فى القلوب والاسماع .

• • •

---

(١) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٢ .
(٢) المصدر نفسه .

- القول بالموجب :

يحدثنا ابن معصوم المدنى فى كتابه " أنوار الربيع " عن فن القول بالموجب فيقول :

هذا النوع من البديع غريب المعنى ، لطيف المبنى ، راجح الوزن فى معيار البلاغة مفرغ الحسن فى قالب الصياغة . ولهم فى تعريف هذا النوع عبارات مختلفة ، فقال ابن أبى الاصبع: انه عبارة عن ان يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد الى كلمة من كلام المتكلم فيبنى عليها من لفظها مايوجب عكس معنى المتكلم ، وذلك عين القول بالموجب ، لان حقيقته ،رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه .

وقال بعضهم : هو أن تخصص الصفة بعد أن كان ظاهرها العموم ،أو تقول بالصفة الموجبة للحكم ، ولكن تثبتها لغيرمن اثبتها المتكلم .

وقسمه الخطيب القزوينى فى التلخيص والايضاح الى ضربين :

أحدهما : أن تقع صفة فى كلام الغير ،كناية عن شىء اثبت له الحكم فتثبت فى كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له ، وانتفائه عنه كقوله تعالى : " لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذَلَّ ، وَلِلّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِين " فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم ، وبالاذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا للاعز الاخراج ، فأثبت الله سبحانه فى الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ،من غير تعرض لثبوت الاخراج للموصوفين بصفة العزة ،ولا لنفيه عنهم . (١)

أما النويرى فى كتابه " نهاية الارب " والحلبى فى كتابه " حسن التوسل " ،

---

(١) انوار الربيع ٢ / ١٩٨ .

فيقولان عن القول بالموجب : " أن تقع صفة في كلام مدع شيئا يعني به نفسه فتثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح بثبوتها له ، ولا نفيها عنه ". [١]

والثاني : " حمل كلام وقع في كلام الغير على خلاف مراده ، مما يحتمله بذكر متعلقه "[٢] . أما النويري والحلبي فيقولان في مصدريهما السابقين : " حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه "[٣] مثال ذلك ، حكي أن رجلاً قال لهشام القرطبي : كم تعد ؟ قال : من واحد الى ألف ألف ، وأكثر قال : لم أُرِدْ هذا ، كم تعد من السن ، قال : اثنتين وثلاثين ، ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل ، قال : لم أُرِدْ هذا ، كم لك من السنين ؟ قال : والله ليس لي منها شيء السِنُون كلها لله ، قال يا هذا ماسِنُّك ؟ قال : عَظْمٌ . قال : لم أُرِدْ هذا ، أَبِنْ لي ابن كم أَنت ؟ قال : ابن اثنين رجل وامرأة ، قال : كم أتى عليك ؟ قال : لو أتى علي شيء قتلني ، قال : فكيف أقول ؟ قال : تقول : كم مضى من عمرك ؟

وهذه القصة الطريفة توضح لنا كيف حمل الكلام على غير مراد المتكلم .

ولشاعرنا مساهمة في هذا الفن ، وقد صرح بذلك في قوله : [٤]

وقُلتُ بالموجب في قولهم ... بعد النوى ، يعرف صدق المراد
فهو كما قالوا ولكنه ... يعرفُ فيمن ودّه في ودا د

وهو يستخدم القسمين الاول ، والثاني ، فمن الاول قوله : [٥]

---

(١) نهاية الارب ٧ / ١٧٠ ، حسن التوسل / ٣٠٥ .
(٢) انوار الربيع ٢ / ١٩٨ .
(٣) نهاية الارب ٧ / ١٧٠ ، حسن التوسل / ٣٠٥ .
(٤) تأهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ٩١ .
(٥) الغيث المسجم ١ / ٢٦٣ ، انوار الربيع ٢ / ٢٧٠ وفيه عجز البيت الاول كالاتي : " من جنايته " بدلا من " خباثته " وفي عجز البيت الثاني : " صدق الخبيث " بدلا من " اللعين " ، معاهد التنصيص ٣ / ١٨٢ .

متمارضٌ ، جَعَلَ التفاصي ... شي من خباثته سَبَبْ
ويقولُ : ما أنا طيّب ... صَدَقَ اللعينُ وما كَذَبْ

فهو يبنى على كلام هذا المتمارض الذى يقول : " ما أنا طيب " فيزيد شاعرنا بالدعاء عليه ، فيجعله خبيثا متمنيا ان يكون كلامه صدقا ، ومرضه حقا لا ادعاء فيقول " صدق اللعين وما كذب ".

ومن ذلك ايضا قوله : (١)

لقنتُهُ المعذرعن تمر ... ك حاجتي لو تصوّر
فقلت أنسيتَها ، والنسـ ... ـيانُ أمرٌ مقدّر
فقال : لستُ بناسٍ ... فقلتُ : مولايَ أخبر

فشاعرنا يبنى كلامه على كلام المخاطب الذى يقول : " لست بناس " فيؤكد ذلك بكونه ليس بناس ، وهو يريد تذكير المخاطب بحاجته فيقول : " مولاى اخبر"

وعلى غرار ذلك قوله : (٢)

لقنتُهُ الأعذارَ عن ... وعدٍ ثناهُ عنه افك
فأجاب بل أنا غيرُ نا ... سٍ قلتُ : مافى ذاكَ شكّ

وهذه الابيات شبيهة تماما بالابيات التى سبقتها ، اذ يبنى شاعرنا على كلام المخاطب الذى يدعى انه غير ناس ، فيؤكد شاعرنا ذلك بقوله : " مافى ذاك شك ".

وقال : (٣)

قال صديقى ، ولم يحدّنى ... وعارضُ السُّقم فيّ أثّر
لقد تغيّرت ياصديقى ... ويعلم الله من تغيّر

---

(١) معاهد التنصيص ٣/ ١٨٣ ، الغيث المسجم ١/ ٢٦٣ ، انوار الربيع ٢/ ٢٠٨ .

(٢) نفس المصادر السابقة .

(٣) ديوان الصبابة / ١١٧ ، الغيث المسجم ١/ ٤٦ ، معاهد التنصيص ٣/ ١٨٤ ، أنوار الربيع ٢/ ٢٠٤ وفيه عجز البيت الاول كالاتى : " وعامل" بدلا من "وعارض".

فهو يأخذ الكلام الذى يخاطَب به صديقه ، وهو الحديث عن التغير ويبنى عليه بناء جديدا حين يقول : " ويعلم الله من تغير " فيحور التغيير الى شىء آخر يختلف عن الاول .

ومن النوع الثانى قوله : (١)

وقائلٍ لى لمّا أنْ رأى قَلَقى ... لطول وعدٍ وآمالٍ تُمَنّينــــا
عواقبُ الصّبر فيما قالَ اكثرهم ... محمودةٌ ، قلت : أخشى أن تُخرّينا

فهو يبنى على كلام القائل الذى أقلقه بكثرة التسويف ، وهو يمنيه بعاقبة الصبر المحمودة ، فيبنى شاعرنا على "عاقبة الصبر المحمودة " بناء جديدا فيستخدم أسلوب التورية فى كلمة " محمودة " موريا بها ، وقاصدا نباتا يستخدم لاستطلاق البطن ، فيخرج الكلام : ان خشية طول الصبر المحمود ان يسهله فيحمل الكلام على خلاف مراد المتكلم .

وهو هنا قد استخدم طريقته فى السخرية اللاذعة من مخاطبه .

وقال أيضا : (٢)

شكا رمداً فقيل الآن كَلّت ... لواحظُه من الفتكاتِ فينـــا
وقالوا سيف مقلته تصدّى ... فقلت : نعم القتل العاشقينـا

فشاعرنا يأخذ كلام القائل " بان سيف مقلة الحبيب تصدى " وهو من الصدأ ، فيحملها على معنى آخر حين يورى فى كلمة " تصدى " ويقصد بها التعرض ، ويبنى كلامه بناء على معنى التعرض فيقول : " نعم لقتل العاشقينا " فيحمل الكلام على خلاف مراد المتكلم .

...

---

(١) الغيث المسجم ١/ ٢٦٥ ، ٢/ ٣٠٠ ، خزانة الادب/ ٣٠٣ ، وفيه عجز البيت الاول : " تمنينا " بدلا من " تمنينا " ، فوات الوفيات ٣/ ١٤٤ ، كشف اللثام/ ١٩ ، معاهد التنصيص ٣/ ١٨٣ ، انوار الربيع ٢/ ٢٠٨ .

(٢) انوار الربيع ٢/ ٢٠٩ ، معاهد التنصيص ٣/ ١٨٦ وفيه البيت الاول كالآتى :

شكا رمدا فقلت عساه كلت ... لواحظه من الفتكات فينا

- حسن التعليل :

هو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف ، وهو أربعة أضـــرب، لان الصفة اما ثابتة قصد بيان علتها ، او غير ثابتة اريد اثباتها . فالاولـــى اما لا يظهر لها فى العادة علة ، أو يظهر لها علة ، والثانية اما ممكنة او غير ممكنة . (1)

ومن المحدثين الذين درسوا حسن التعليل الاستاذ حامد عبد القـادر فى كتابه "علم النفس الادبى" الذى يقول (2) : " أما التعليل الادبى وهـــو المسمى بحسن التعليل فاساسه الخيال والعاطفة ، والغرض منه التاثير فـى الوجدان ، وادخال السرور على السامع بمدحه او التخفيف من وقع مصيبـــة أصابته ، أو شدة ألم ألم به .

أما التعليل العلمى فمرده الى التعقل والتدبر العقلى والبحث فـــى طبائع الاشياء ."

ثم يقول فى موضع آخر (3) : " ان منبع التعليل الادبى هو الخيـــال والوجدان ، وأن الغرض منه هو النظر فى ادخال السرور على النفس ، أمـــا التعليل العلمى فمرده الى التعقل والتدبر العقلى ، والبحث فى طبائـــع الاشياء .

ثم يقول فى سبب استخدام حسن التعليل من قبل الشعراء (4) : " انمـا يعمد الشعراء اليه ليوقظوا خيال القارئ او السامع ، ويثيروا وجدانه وعاطفتـه الجمالية ويدخلوا السرور عليه بتلك الاساليب المستملحة ، والتعليلات المستظرفة"

---

(1) نهاية الارب ٧ / ١١٥ ، حسن التوسل / ٢٢٣ ، انوار الربيع ٦ / ١٣٦ .
(2) دراسات فى علم النفس الادبى / ٤٩ .
(3) و (4) المصدر نفسه / ٥١ .

ومن ذلك قول شاعرنا الوراق : (١)

وما صَلُحَ التقديم إلاّ لطَيِّبٍ ... من الناس والتأخيرُ يصلح للنذل

كذلك شهد النحل كان مقدماً ... بأفواهها والسُّمُّ في إبر النحلِ

فهو هنا يهجو انسانا ، مبينا ان تقديم الخير هو من افعال الناس الطيبين بينما التسويف والتأخير من شيم الانذال ، وقوة خيال شاعرنا تكمن في الربط بين تقديم الخير بمقدمة النحل والتي يكون بأفواهها الشهد ، والتسويف بمؤخرتها والتي يكون فيها السم ، وهذا من التعليل اللطيف . وقال : (٢)

وفاتك يخرج سيف لحظه ... مجرداً من جفنه ومغمدا (٣)

خاف على خدّيه من لحاظه ... فبات في عذاره مُزَرَّدا (٤)

هنا يتغزل شاعرنا في غلام ، له نظرات فاتكة ، وقد شبه فتك نظراته بالسيف جاعلا الجفن غمدا له ، وهو يشبه العذار بالزرد ، وهو الدرع ليحميه من لحاظ العين أو القبلة .

---

(١) تالي كتاب وفيات الاعيان /١١٧ .

(٢) المنتخب من تأهيل الغريب " مخطوط " الورقة /٤٦ .
خلع العذار " مخطوط " الورقة /٢٢ ، نشأة المقار " مخطوط " لوحة /٤٤ وفيه عجز البيت الاول كالاتي :
" مجرداً من جفنيه ومغمداً " وعجز البيت الثاني كالاتي :
" فبات في عذاره مزردا " بدلا من " فبات " . ،
كشف اللثام /٢١ ، وفيه نفس الملاحظة التي في نشأة المقار فلربما أخذ عنه . ، معاهد التنصيص ٨٤/٣ وفيه صدر البيت الاول " وفاتك يجرح " بدلا من " يخرج " . ، خزانة الادب /٣٠٤ ، عصر سلاطين المماليك ٣٤٩/٨ .

(٣) الغمد : لابس الدرع .

(٤) الزّرد : الدرع المزرودة .

وقد علل صبت هذا الجميل فى عذاره خشية على خديه من لحاظه ، وهذا من التعليل الظريف .

وقال أيضا : (١)

شَعريّتي مُذْ رُمِدَتْ قَدْ حَجَبَتْ طرفي عنكم فصرتُ محبوسـا (٢)

الحمدُ للّهِ زادني شَرَفـاً كنتُ سراجاً فصرتُ فانوسـا

وهو هنا يتكلم عن بصره الذى أصيب بالرمد ، فضعفت الرؤية عنده ، وأمسى محبوسا ، فيخفف من هذه الظاهرة المرضية بحمد الله ، ويعلل لهما بزيادة الشرف ، من كونه مصباحا والتى ورى فيها عن نفسه حتى صار فانوسا وهذه كناية عن ضعف النظر .

وقد أراح شاعرنا خواطره فى تعليل انتقاله من السراج الى الفانوس فى كون هذا زيادة فى الشرف له ، فربط بين ضعف البصر والفانوس ، وضعف البصر والعمش .

ولشا عرنا تصوير دقيق لحركته وهو ضيخ فان فيقول : (٣)

---

(١) شفاء الغليل " مخطوط " / ١٣٤ ، شرح البديعية " مخطوط " / ١٠٠ ، سحر العيون " مخطوط " / ٩١ ، وفيه صدر البيت الاول " قد حبست " بدلا من " حجبت " قد خزانة الادب / ٣٠٢ ، كشف اللثام / ١٧ ، وفيهما نفس الملاحظة التى فى سحر العيون ، الغيث المسجم ٢ / ٤٣٥ وفيه عجز البيت الاول " شخصك عني وكان مانوسا " مطالع البدور ١ / ٩١ وفيه نفس الملاحظة التى فى الصدر السابق .

(٢) شَعْرِيَّه : بفتح الشين وسكون العين ، نسبة الى الشعر ، غشاء اسود رقيق يكون على وجه النساء ، ثم اطلق على كل ماشابهه ، ومنه استعمل للارمد ، لانه غشاء من الشعر ينسج على العين ، وهى كلمة مولدة ، شفاء العليل " مخطوط " / ١٣٤ .

(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٦٧ .

وفي تقارب خطو الشيخ موعظةً | لنا وقدْ خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عجلْ
أمامهُ الحتْفُ والآمالُ تجذبه | من خلفهِ ، ولذا يمشي على مَهَلْ

وفي البيت الاول اقتباس من الاية الكريمة " خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ سأُريكُم آياتي فَلا تستعجلون "(١) .

كما يطالعنا حسن التعليل لمشية الشيخ البطيئة ، فيعلل لها بجذب آمال الحياة من خلفه .

• • •

---

(١) سورة الانبياء / ٣٧ .

ـ الاطـــراد :

يحدثنا ابن معصوم عن الاطراد فيقول : (١)

" الاطراد في اللغة : مصدر اطرد الشيء : اذا تبع بعضه بعضا ، وجرى والانهار تطرد اى تجرى ".

وفى الاصطلاح : هو ان يجئ الشاعر باسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفة أبيه وجده وقبيلته غالبا ، أو ما امكن من ذلك مطردا متواليا فى بيت واحد من غير تعسف ولا تكلف ، ولا انقطاع بألفاظ اجنبية لانه مشتق من اطراد الماء " .

ومن ذلك قول شاعرنا الوراق : (٢)

إِنَّ الجمالَ له بغير منـــازعٍ ... معْ كُلِّ ماطرةٍ وكُلِّ نسيـــمِ
وكذا العُلا لمحمد بن محمد بـــــن علي بن محمد بن سليمِ

هذان البيتان من جملة أبيات يمدح فيها الوزير ابن حنا ، وقد مرت بنا وهو هنا فى بيته الثانى يذكر اسم الممدوح " محمد " ثم اسم رئيس وكبير العائلة " سليم " وهو جار فيها بيسر وسهولة .

...

(١) انوار الربيع ٣ / ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، حسن التوسل / ٢٨٤ .
(٢) الوافى بالوفيات ١ / ٢٥ ، معاهد التنصيص ٣ / ٢٠٤ ، بتصير المنتبه بتحرير المشتبه ١ / ٤٧٣ ، ٢ / ٦٩١ ، انوار الربيع ٣ / ٣٢٩ .

ـ التلميح :

هو أن يشار في الكلام الى آية من القرآن ، أو حديث مشهور ، او شعر مشهور ، أو مثل سائر ، او قصة ، من غير ذكر شيء من ذلك صريحا (١) . ومن التلميح فيه الى آية من القرآن قول شاعرنا الوراق : (٢)

جَلاَ والنَّجْمُ نحوَ الغربِ مائل ... عروس الرَّاحِ في حمرِ الغَلائل
تعارفت المدام ومقلتاهُ ... فمن خُرس ، ومن سحر ببابل

لمح في البيت الثاني الى قوله تعالى " يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وما أُنْزِلَ على المَلَكَيْنِ ببابلَ هاروت وماروت " (٣) .

وقال أيضا : (٤)

بي قلقٌ ، زادت به فكره ... جادت له عيناي بالمُزن
ما أحسن البدر ولا ذاقني ... بياضُهُ مذ ماتَ في الظُّعن
كأنما الصُّبحُ لنا بعدهُ ... عينٌ قد ابيضَّت من الحُزن

والتلميح في البيت الثالث الى الاية الكريمة : " وابيضَّت عيناهُ مِنَ الحزنِ فهو كَظِيم " (٥) .

وقال أيضا مخاطبا صديقه الشاعر ابن دانيال الكحال : (٦)

---

(١) انوار الربيع ٤ / ٢٦٦ .
(٢) صرف العين " مخطوط " لوحة / ١١٤ .
(٣) سورة البقرة / ١٠٢ .
(٤) سحر العيون " مخطوط " / ١٦٣ .
(٥) سورة يوسف / ٨٤ .
(٦) سحر العيون " مخطوط " / ٩١ .

عيني التي بَعُدَت عن شخصكم رمدت ... ولو رأتكم لكنتم كحلها الشافي
وفي لقاكم إذا جاء البشيرُ به ... . (١)

والتلميح في البيت الثاني الى قوله تعالى : " فلما أن جاء البشيرُ ألقاهُ على وجهه فارتدَّ بصيراً " (٢) .

ومن تلميحاته قوله مخاطبا صاحبه الشاعر نصير الدين الحمّامي ردا على لغز أرسله له : (٣)

أراك نصير الدين ألغزت في الذي ... تعيدُ لصلك الليل كافورة السَّحَرْ
رأى معشرٌ أن يعشقوها ريانة ... والله لا تبقي عليهم ولا تذرْ
وكُلٌّ على قلبٍ لهم ران اسمها ... فسكنتهم فيها ، ومأواهم سَقَرْ

والتلميح في البيت الثاني للاية الكريمة : " لا تُبقي ولا تذرْ ، لوّاحةٌ للبشر عليها تسعة عشر " (٤) .

أما التلميح الذى في البيت الثالث فهو للاية الكريمة " ما سلككم في سقر " (٥)

ومن طرائف التلميح بالشعر القصة التالية : (٦) " يحكى ان الشيخ بهاء الدين ابن النحاس دخل يوما الجامع الازهر ، فوجد با الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ، ففرق بينهما وصلى ركعتين ، فلما فرغ قال لابى الحسين الجزار ، ما أردت الا قول ابن سناء الملك ، فقال الجزار : وما تفاءلت الا بقول صاحبنا الوراق .

---

(١) بقية البيت غير واضح في المخطوطة .
(٢) سورة يوسف / ٩٦ .
(٣) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٨٤ .
(٤) سورة المدثر الاية / ٢٩ .
(٥) السورة نفسها الآية / ٢٧ .
(٦) معاهد التنصيص ٤ / ٢٢٤ ، الغيث المسجم ١ / ٣٨٩ ، قطر الغيث المسجم / ١٦٣ ، ثمرات الاوراق ١ / ١٤٠ ، أنوار الربيع ٤ / ٢٩٥ ، نفحات الازهار / ٢٧٧ .

أما مراد الشيخ بهاء الدين فهو التلميح الى قول ابن سناء الملك :

أَنا في مقعدِ صِــــدْقٍ   بيْنَ قوّادٍ وعلْـــــقْ

واما مراد ابن الحسين الجزار فهو التلميح الى قول الوراق :

ومهذب راض الأبيَّ فقـــا ... ده سلس القيــــاد

لما توسطَ بيننــــــــا   جرت الأمور على السَّداد

وقد تساب كل منهما مع خصمه ، ولم يشعر بمرادهما أحد .

ومن التلميح قول شاعرنا : (١)

مالي أرى عُمراً أنّي استجرتُ بهِ   قد صار عمراً بواو فيه وانصرفا

ونامَ عنّ حاجةٍ نبهتهُ غلطـــاً   لها ، فألفيتُ منه السهد والأسفا

والمستجيرُ بعمروقد سمعت بـه   فما ازيدكَ تعريفاً بما عُرفـــا

وشاعرنا يلمح في بيته الثالث الى قول الشاعر : (٢)

المستجيرُ بعمرو عند كربتــه   كالمستجير من الرمضاء بالنارِ

وهي اشارة الى قضية كليب حين استغاث بعمرو بن الحارث (٣) .

وقال شاعرنا مخاطبا صاحبه نصير الدين الحمامي : (٤)

وإنْ كنتَ نور ابن الحسين بحاله   يُراد فأمرٌ ليس منه تـــــراعُ

فأنت سواد الليل ،إذْ جاء زائراً   وكنت شفيعاً ، والحديثُ شُــاعُ

يقول الصفدي : انه يلمح الى قول المتنبي :

أزورهم وسوادُ الّليلِ يشفع لـي   وأنثني وبياضُ الصُّبح يُغري بي

وقال : (٥)

---

(١) مناهد التنصيص ٤/٢٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ، مجمع الامثال ٢/١٤٩ .

(٣) نهاية الارب ٧/١٢٦ .

(٤) المنتقى من كتاب المجاراة " مخطوط " /٩ .

(٥) مناهد التنصيص ٤/٢٠٣ .

لا عَدِمتُكَ حاجــــــة   حطت عنى كلهـــــا
قد نامَ عنها عُمَــــرُ   وأنت يقظانُ لهـــــا

وفى البيت الثانى تلميح الى قول بشار بن برد : (١)

إذا أيقظتك حروبُ العِـــدا   فنبه لها عمراً ثُــم نَــــمْ

...

(١) ديوان بشار بن برد ٤ / ١٦٠ .

ـ الألغـاز :

الواقع ان ظاهرة الالغاز والاحاجى قد شاعت فى العصر المملوكى ، وحظيت بعناية الادباء واهتمامهم ، حتى عدت من الفنون البديعية المهمة التى ينبغى للشاعر ان ينظم فيها .

ويعزى د . بكرى شيخ أمين فى كتابه " مطالعات فى الشعر المملوكى " ظهور الالغاز ، ونظم الشعراء فيها الى ضحالة ثقافة شعراء هذا العصر فيقول(١):
" يخيل الينا أن مادفع الشعراء الى طرق هذه المسالك ، ثقافتهم الفقيرة الضحلة ، وقصورا خيلتهم عن ابتداع الاستعارات والتشابيه ، والصور الشعرية عامة ، فعوضوا عن ذلك بالجنوح الى الصناعة اللفظية . "

ولكنى لا أرى هذا ، اذ أن هذا اللون الشعرى سابق للعصر المملوكى ، وقد نظم فيه شعراء العصور السابقة ، فهو اذن لم يكن مقتصرا على شعراء هذا العصر وان اكثروا منه ، فاذا كان شعراء هذا العصر لديهم قصور فكرى وضعف ثقافى فهل ياترى امتدت يد الفقر الفكرى الى رءوس الشعراء الاخرين فى العصور السابقة .

والشىء الآخر ، أن الباحث المذكور قد فاته ان ذوق القرن السابع الهجرى وما تلاه من عصور قائم على الصناعة والزخرفة اللفظية ، فاذا حكمنا على أدب فترة ما وجب ان نضع فى حسباننا ذوق العصر ، ولكل عصر ذوقه .

والحقيقة أن الذى شجع على بروز هذا اللون البديعى كثرة المجالس الادبية التى كان الادباء يقبلون عليها ، ويناظر بعضهم فيها البعض .

---

(١) مطالعات فى الشعر المملوكى / ١٨٠ .

ويقول الباحث المذكور :(١) " وهكذا راجت المراسلات بالالغاز ، وذاع النظم بالمعميات ، وأقبل كثير من الشعراء على هذا اللون الشائع ، فاذا هو مظهر من مظاهر الرياضة الذهنية والثقافية فى العصر ، بل هو سمة من سمات هذه الحقبة ."

فما هى الالغاز ؟

يقول ابن معصوم المدنى فى كتابه " أنوار الربيع "(٢) : " الالغاز مصدر ألغزت الكلام وفيه أتيت به مشتبها . قال ابن فارس : اللغز ميلك بالشيء عن وجهه " وتسمى الالغاز : المحاجاة ، والتعمية ، وهى أعم أسمائه .

وفى الاصطلاح يقول ابن حجة فى كتابه " خزانة الادب " وعنه يأخذ السيوطى فى كتابه " شرح عقود الجمان "(٣) : " هو أن يأتى المتكلم بعدة ألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ، ويأتى بعبارات يدل ظاهرها على غيره ، وباطنها عليه ".

بينما يقول ابن معصوم المدنى (٤) : " هو ان ياتى المتكلم بكلام يعمى به المقصود ، بحيث يخفى على السامع ، فلا يدركه الا بفضل تأمل ، ومزيد نظر ."

وقد أكثر شاعرنا الوراق النظم من هذا اللون البديعى ، وذلك لشغفه بفنون البديع كما مر بنا ، ومن ذلك قوله ملغزا :(٥)

---

(١) مطالعات فى الشعر المملوكى / ١٨٠ .
(٢) انوار الربيع ٦ / ٤٠ .
(٣) خزانة الادب / ٤٨٠ ، شرح عقود الجمان / ١٣٧ .
(٤) انوار الربيع ٦ / ٤٠ .
(٥) عز الادب " مخطوط " لوحة / ٢٠ ، لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣١٤ .

ما اسمُ أُنثى صاحة الوطء فيها ... قد أتانا التأنيث والتذكيرُ
واسمها مفردٌ وجمع بهـــــذا ... وبهذا جاء الكتابُ العزيزُ
قيل أكثرتَ في الصفاتِ فما الـ ... مقصود منها ، فقلتُ شيء يسيرُ

ويقول الصفدى : انه لغز فى فلك .

ومن ذلك أيضا ، ماكتبه ملغزا فى سجادة ، وأرسله الى صديقه الشاعـــر شهاب الدين محمود ، فقال مخاطبا اياه : (1)

يا إماماً ألفاظُهُ الغُرُّ في الأسـ ... ـماع تُزري بالدُّرِّ في الأسماطِ
أي أُنثى وطئتُ منها حلالاً ... مستبيحاً مالا يُباحُ لواطـــي
لم أُحاول تقبيلها غير خمس ... حال زهدى فيها ، وحال اغتباطي
وهي مطوكة ، وعند أُنـــاسٍ ... هي ستٌّ على اختلاف التعاطـي
وهي في صورة خماسية مـــا ... قهقهت ، لا ، ولا دنت للبواطـي
وأرى أن تحلّها بيميـــــنٍ ... ويسارٍ ، فقد غدَتْ في رباطِ

فيجيبه شهاب الدين قائلا :

ياسراجاً لمّا سمعت باسم الشـ ... ـمس غدا البَدرُ دونها في انحطاطِ
أنتَ بحرٌ نداكَ موجٌ وألفـــا ... ظك درٌّ ، وصنع يمناك شاطـــي
لا تلمني إذا نظمْتُ معانيــــ ... ـكَ فمن دُرِّ فيك كان التقاطـي
أنت ألغزتَ في اسم ذات رقـاع ... لم تجاهد ، وقد غدَتْ في رباطِ
خُصّاها عشر ، وللعُشر فيهـــا ... خطواتٍ براحةٍ وانبســــاطِ
حازها تابع المجلي فحاز الـ ... ـسبق من دونه بغير اشتــراطِ
مذعلاها في أوّل الصحف أضحى ... كسليمان فوقَ متن البســـاطِ

---

(1) فوات الوفيات ٤/٨٢ ، شهاب الدين محمود : مرت ترجمته .

وكثيرا ماكان أصدقاء الوراق هم الذين يكتبون له الالغاز شعرا ،فيجيبهم عليها ، ومن ذلك ماكتبه النصير الحمامي الى شاعرنا ملغزا في " سيل " فيقول[1] :

قَصَدْتُ سِراجَ الدّينِ في ليلِ فكره فكادَ جوادُ الفكرِ في سُبْلِهِ يكبو
لترشدني شيئاً ،به يدرك المُنى له قلبُ صَبٍّ ، كم فؤادٍ به صَبُّ
إذا ركبَ البيداءَ يُخشى ويُتّقى فلم يَثنِهِ طَمْنٌ ، ولم يَثْنِهِ ضَرْبُ
بقلبٍ يهدُّ الصَّخْرَ يومَ لقائِهِ ومن أعجبِ الأشياءِ ،ليس له قَلْبُ[2]

فيجيبه شاعرنا بأبيات على نفس الوزن والقافية يحل فيها لغزه فيقول :

أراكَ نصيرَالدّين عذّبت خاطري وقدْ راقَ لي من لغزكَ المنهلُ العذبُ[3]
وأثبتَّ قلباً منه ثم نفيتَهُ واعرفه صباً ، وهام له قلبُ[4]
وأعرفُ منه أعيناً لا تخفُّها جفونٌ كعاداتِ الجفونِ ولا هُدبُ
فدونك ما ألغزته لي مُبيّناً وذلك مايحتاجه العجم والعربُ[5]
ومن وصفه صبٌّ ،كما انت واصفٌ صدقتَ ،ولولاه لما عُرفَ الحُبُّ

وهكذا نرى ان هذا الضرب أمسى وسيلة لتحريك الاذهان والتسلية معا .

---

(١) الغيث المسجم ٢ / ٤٥٤ ، انوار الربيع ٦ / ٤٥ .
(٢) المقصود هو مقلوب كلمة ليس فتصبح سيلا ،وهو اللغز .
(٣) البيت في انوار الربيع كالاتي :
أراك نصيرالدين هذبت خاطري وقد لذّ لي من لغزك السّلسلُ العذبُ
(٤) كلمة هام ، مقلوبها ماه ، وهو الماء ، وهذا هو جواب اللغز .
أصل الماء مَوَهَ ،فقلبت الواو ألفا قياسا ، وقلبت الهاء همزة على غير قياس .
(٥) هذا البيت غير موجود في الغيث المسجم .

ومن أحاجي شاعرنا قوله : (١)

ما اسم مثير الهوى واعثه ... أظهر مرموزه لنا حثه
فنصف ثانية عشر أوله ... ورابع الاسم عشر ثالثه

وكذلك قوله : (٢)

ما اسم الذي عزّ ضاهيه ... أوله مثل عشر ثانيه
وصار ثانيه عشر تاليه ... فليس في الخلق من يدانيه

ولشاعرنا أحاج كثيرة مبثوثة في "لمع السراج" واكتفي بما ذكرت خشية الاطالة والاملال .

...

(١) عز الادب "مخطوط" لوحة / ٢٠ .
(٢) المصدر نفسه .

- الاكتفـــاء :

يحدثنا ابن معصوم المدنى فى كتابه أنوار الربيع عن الاكتفاء فيقـــول :
" بأنه ضرب من الايجاز ، وهو نوعان ، نوع يكون بكلمة فأكثر ، ونوع يكون ببعض كلمة . فالاول هو ان يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفـــى بأحدهما عن الاخر لنكته ، ولا يكون المكتفى عنه الا آخرا لدلالة الاول عليه .
والنوع الثانى وهو الذى يكون ببعض الكلمة ، فهو حذف بعض حروف القافيـة من آخرها لدلالة الباقى عليه .
وقد حد الشيخ صفى الدين الحلى الاكتفاء فى النظم بقوله : هو ان يأتـــى الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف تقاضى ذكره ليفهم به المعنـى ، فلا يذكره لدلالة مافى لفظ البيت عليه ، ويكتفى بما هو معلوم فى الذهن فيما يقتضى تمام المعنى . (١)

ومن الاكتفاء قول شاعرنا الوراق : (٢)

يالائمي في هواهـــا ... أفرطت فى اللوم جهـــلا
مايعلم الشـــوق إلاّ ... ولا الصبابـــــة إلاّ

فقد جمع فى البيت الثانى اكتفائين مع تضمين ، اذ ذكر فى الشطر الاول : مايعلم الشوق الا واكتفى عند ذكر " من يعانيها " وهذا من النوع الاول وهو فى الوقت نفسه تضمين للبيت المشهور الذى ينسبه ابن معصوم لابن المعلم :

مايعرف الشوق إلاّ من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يُعانيها

---

(١) أنوار الربيع ٣ / ٧١ .
(٢) نفحات الازهار / ١١٩ ، خزانة الادب / ١٥٨ ، المستطرف من كل مستظرف ٢ / ١٧٩ ، عقود الجمان ٢ / ١٥١ ، انوار الربيع ٣ / ٧٨ .

ومن الاكتفاء قوله : (١)

قال لي ريقي شهـــــدٌ قلت ذا من فيك أحـــلا

ماترلي وارده الظمـــــ ... ـآن لا يـــــزداد إلاّ

والمكتفى عنه فى البيت الثانى كلمة "عطشا" فاكتفى عنها لدلالة ماقبلهـــا عليها ، وهى معروفة فى الذهن ، وهذا من النوع الأول .

ومن ذلك قوله : (٢)

قال من شبّه ريقـــــى بالزلال العـــذب زلّا

إنما ريقي شهـــــدٌ قلت هو من فيك أحـــلا

والمكتفى عنها فى البيت الثانى كلمة "وأطيب" واكتفى عنها لدلالة مافـــى البيت عليها ، والاكتفاء هنا كان بالعطف وبكلمة واحدة ، وهذا من النـــوع الاول .

...

---

(١) الشفاء فى بديع الاكتفاء "مخطوط" الورقة/ ١٥ ظهر ، تحفة اهـــل الفكاهة / ١٠٨ ، لمع السراج "مخطوط" لوحة / ٣٦١ .

(٢) مراتع الغزلان "مخطوط" لوحة / ٨٠ ظهر .
روض الادب "مخطوط" ص/ ١٤٦ ، العواضر ونزهة الخواطر "مخطوط" الورقة / ٣٦٢ وفيه عجز البيت الثانى كالاتى :
"قلت من فمك أحلا" .

- التدبيج :

" هو عبارة عن أن يذكر الناظم أو الناثر ألوانا يقصد بها التورية والكناية بذكرها عن أشياء من تشبيب أو مدح أو وصف ، أو غير ذلك من الأغراض "(١).

ويقول ابن حجة : ان التدبيج هو من مستخرجات ابن ابى الاصبع .

مثال ذلك قوله تعالى : " ومِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بيضٌ وحُمرٌ مُختَلِفٌ ألوانُها وغَرابيبُ سُودٌ " .

قال ابن ابى الاصبع (٢) : المراد بذلك - والله أعلم - الكناية عن الواضح والمشتبه من الطرق ، لان الجادة البيضاء هى الطريقة التى كثر السلوك عليها جدا ، وهى أوضح الطرق وأبينها دون الحمراء والسوداء ، كأنها فى الخفاء والالباس ضد البيضاء فى الظهور والوضوح .

ومن التدبيج قول شاعرنا الوراق : (٣)

بوجهٍ حكَى الصّبحُ مبيضَّهُ	وفرع حكَى الليلُ مسودَّه
وثغرٍ ، حسَدتُ عليه الأرا	كَ ، وقد ذاقَ حُمرتَه وَحده

فالبياض كناية عن جمال الوجه واشراقه ، والسواد كناية عن نضارة الشعر الفاحم الاسود ، والحمرة كناية عن طراوة ثغر الحبيب .

وقال : (٤)

حُمِيَ وردٌ بنرجس مقلتيه	فقل فى أحمر يُحمَى بأحوَر
وقل فى مقله كحلاء صالت	بأبيضَ واستزادت قدّ اسمر

---

(١) خزانة الادب / ٥٣٨ ، نهاية الارب ٧ / ١٨٠ ، حسن التوسل / ٣١٩ .
(٢) انوار الربيع ٦ / ١١٨ .
(٣) تأهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ٩١ .
(٤) صرف العين " مخطوط " لوحة / ٩٢ .

فالسمرة كناية عن الحيوية والشباب التى عند الحبيب ، فهى تصول بأبيض، وهى ايماء للسيف بينما السمرة فى القد توحى بمعنيين ، قريب بمعنى سمرة البشرة ، وبعيد ورى عنه شاعرنا ورام اليه وهو الرمح .

وقال : (١)

ظننت بكم خيراً ، ولم أر مساءه — ووجه رجائى فيكم قد تصفرا

ومالكم ذنب ، ولكن لغالط — تفرس خيراً فيكم ، فتحمرا

وانتم تسنمتم ، ولم تتجملوا — فلم نر منا آدمياً ، ولا يرى

فالصفرة فى هذه الابيات كناية عن الحقد والكراهية ، نقول مثلا " الابتسامة الصفراء " ففى البيت الاول توحى الصفرة الى اهتزاز العلاقة بين شاعرنا والذين يهجوهم ، اذ يضعف أمله ورجاؤه فيهم ، بينما توحى الحمرة فى البيت الثانى بالامل ، والحمرة دائما دليل حيوية .

• • •

---

(١) الغيث المسجم ٢/٢٠٦ .

- الجناس :

يقول الصفدى فى كتابه " جنان الجناس " فى حد الجناس[1] : " اعلم أن أرباب البلاغة عرفوه بحدود اختلفت اقوالهم فيها ، فقال الرمانى : هو بيان المعانى بانواع من الكلام يجمعها اصل واحد من اللغة . وقال قدامه : هو من اشتراك المعانى فى الفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق . وقال ابن المعتز : هو أن تجئ بكلمة تجانس أختها . وقال ابن الاثير : فأما الجناس فهو ان يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا . وقال بدر الدين بن النحوية فى ضوء المصباح : هو أن يؤتى بمتماثلين فى الحروف او بعضها ، متغايرين فى اصل المعنى فى غير رد العجز على الصدر ".

ثم يناقش الصفدى هذه الاراء ويخلص الى كونها غير جامعة لتعريف جامع مانع ثم يميل لرأى ابن الاثير وتقسيماته وأوله :

الجناس التام الذى يقول عنه [2] : اعلم ان الجناس اما ان يكون ركناه متفقين لفظا ، مختلفين معنى ، لا تفاوت فى تركيبهما ، ولا اختلاف فى حركاتهما ، وهو الجناس التام ، ومنهم من يسميه الكامل ، ومنهم من يسميه المستوفى ، ومنهم من يسميه المماثل ، وهو أعلى انواع الجناس مرتبة ، وينقسم بحسب الاستقراء الى أنواع منها أن يتفق الركنان فى الاسمية ، او فى الفعلية ، وهكذا يستمر فى تقسيم انواع الجناس الاخرى . ".

وللبلاغيين المتأخرين تفريعات كثيرة للجناس ذكرها ابن حجة فى خزانة الادب فضلا عن ابن معصوم فى كتابه " أنوار الربيع " [3] الذى بنى على أقوال

---

(١) جنان الجناس / ١٥ .
(٢) المصدر نفسه / ٢٠ .
(٣) خزانة الادب / ٢٧ ، انوار الربيع ١/٩٧ .

البلاغيين كلامه المفصل عن الجناس ، حيث جمع كل الاراء فى هذا المجـال ، فكانت تفريعات الجناس عنده كالاتى : الجناس المفروق ، والمرفـو ، والمطلق ، والملفق ، والمذيل ، واللاحق ، والمضارع ، والتام ، والمطرف او المحرف ، واللفظى ، والمقلوب ، والمعنوى ، ولا مجال للدخول فـى تفصيلات الجناس ، وانما نكتفى منه بما هو موجود فى شعر شاعرنا الوراق .

ومن الجناس قول شاعرنا : (١)

وجوادٍ تهزّهُ نغمةُ السّائـلِ هزّ النّسيم ، أعطافَ ناضـرْ
قلتُ :عذري بادٍ ، فقال مجيباً: هو بادٍ فابشر وجودي حاضِرْ

فـ " باد " الاولى التى فى البيت الثانى من البادية ، والثانية بمعنى ظاهـر وهذا من الجناس التام .

وكذلك قوله : (٢)

رأيتُ قطوف عفوكَ دانيـاتٍ فنحنُ على المدى نَجني ، ونجني
وكم باتَ المسيءُ قرير عيـنٍ وسيفك إنْ حلمتَ قريرَ جفـن

فنجنى التى فى البيت الاول من جنى الثمر ، والثانية من الجناية ، وهـذا أيضا من الجناس التام . كما يعقد شاعرنا توريته فى كلمة " جفن " فى البيت الثانى فيكون قد جمع اكثر من لون فى مقطوعته ، فيكون المعنى القريب لهـا قراب السيف ، والبعيد المقصود هو جفن العين المورى عنه .

ومن استخدام كلمة يجنى قوله أيضا : (٣)

يجني ، وأجني شقيق وجنتـه والحسنُ عنّي ، وعنهُ يعتذر

---

(١) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٠٧ .
(٢) خزانة الادب / ٣٠٤ ، كشف اللثام / ٢١ ، وفيه عجز البيت الثانى كالاتى : " وسيفك إذا حكمت قرير جفن " . عصر سلاطين المماليك ٤٠٧/٨ . وفـى عجز البيت الثانى " حللت " بدلا من " حلمت " .
(٣) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٠٨ .

فالاولى من الجناية ، والثانية من الجنى ، وهذا من الجناس التام .

وقال : (١)

وجدتُ عزولي والرقيب كليهما ... يسُرُّ الهوى فيمن تعشقته جهرا

فتنظره عينُ الرقيب محبـة ... وتنظرني من غيره في الهوى شزْرا

ويلهجُ ملتذاً عذولي باسمـه ... فيظهرُ لي عذراً ، ويُضمرُ لي عُذرا

ومن حَسَدِ الواشي على الحُبِّ نمَّ بي ... وما نمَّ بي ، الا ليجري له ذِكرا

فجانس في البيت الثالث بين عذر الاولى والتى هى من الاعذار ، والثانيـة والتى هى من العذار ، وهذا من الجناس التام .

وقال : (٢)

الا إنَّ لي يا آلَ صدّيق أحمـد ... لشمسَ هُدىً منكم به الكربُ ينجلي

فلي منه أستاذٌ ، ولي منه مرشـدٌ ... ولي منه قطبٌ ذو اتصالٍ ، ولي ولي

فجانس في البيت الثاني بين ولي التى بمعنى له ، والثانية التى من الولـى على الامر ، وهذا من الجناس التام .

وقال : (٣)

أرسل لي ابن الوحيـد لمّـا ... مرضت بالأس جام سُكّـر

حلى وحلّى فمي وجيـدي ... عقد شراب ، وعقد جوهـر

فجانس في البيت الثالث بين حلى التى بمعنى جعل وزان ، والثانية التى من تحلية الفم وجعله حلوا ، وهذا من التام أيضا .

---

(١) المرجع النظر " مخطوط " الورقة / ١١٠ ، المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٨٠ .

(٢) ريحانة الالبا ٢ / ٤٠ ، أنوار الربيع ٥ / ١٠٠ .

(٣) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٧٠ .

وقال : (١)

أبيات شعرك كالقصـ ... ـور ولا قصور بها يعوقُ

فجانس بين قصور الاولى التى من القصور التى تسكن ، والثانية بمعنى غير قاصرة ، وهذا من الجناس التام .

وقال : (٢)

ياطيبَ فيه وفيه ظلمٌ ختامه من لماهُ مسكُ
ودرُّ ثغر يُريكَ عقداً من تحته للعقيق سلكُ

والجناس فى البيت الاول فى كلمة " فيه " و" فيه " فالاولى بمعنى الفم والثانية ظرفية بمعنى داخله ، وهذا جناس تام .

وقال : (٣)

أنا الذي موضتُ شهراً كاملاً فما رأيتُ عائداً ولا صِلَهْ
لولا الوزيرُ الصاحبُ البدرالذي نُعماهُ لي مع الزمانِ واصِلَهْ
شارف قلعا وتدى وخاف قطـ ... ـعا سببى ، فقلت هذى الفاصلة

فالجناس بين " لا صله " و " واصله " والمعنيان مختلفان ، والركنان الاولان غير متفقين ، وهذا النوع من الجناس يسمى بالجناس اللاحق ، الذى هو ابدال احد ركنيه حرف بحرف اخر من غير مخرجه ، ولا قريب منه ، فقد ابدلت السلام فى " لاصله " واوا فى الثانية .

واذا ماطاوعت شاعرنا قريحته يستخدم عدة فنون فى المقطوعة الواحدة ، فمن ذلك التورية المعقودة فى كلمة " عائدا " التى فى البيت الاول ، والتى معناها القريب هو العائد على الموصول ، والبعيد الذى ورى عنه وعناه هو عيادة

---

(١) جواهر البلاغة / ٣٦٣ .
(٢) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ١١ .
(٣) الغيث المسجم ١ / ٥٨ ، قطر الغيث المسجم / ٣١ .

المريض ، كما عقد تورية اخرى فى كلمة " صلة " والتى معناها القريب هو صلة الموصول ، والبعيد المورى عنه وهو المقصود العطاء ، كما نلاحظ التلميح بمصطلحات العلوم .

وقال : (١)

لَم يَخْلُ من صدقاتكم بيتٌ ولا ... من مدحكم بيتٌ من الأشعار
بيتٌ مواهبكم أَقَرَّت أهلـــه ... فيه ، وبيتٌ سار فى الأقطار

فجانس فى البيت الاول بين كلمة " بيت " التى تعنى بيت السكن ، والثانية التى بمعنى البيت الشعرى ، وهذا من الجناس التام .

وقال : (٢)

عندي أيادٍ لكَ لا تُحصَـــرُ ... سبحانَ عن أوصافها يُحْصَرُ
وشُكرها فرضٌ وإن قَصَّـــ ... ـــر الشكر ، فان الفرضَ قد يُقْصَرُ

فالجناس فى البيت الثانى بين " قصر ويقصر " وهذا النوع يسمى بالجناس المطرف والذى هو مازاد احد ركنيه على الاخر بحرف فى طرفه الاول ، اذ زيدت الياء فى " يقصر " على الاولى " قصر " .

وفى كلمة " يقصر " تورية ، ومعناها القريب هو القصر فى صلاة السفر ، والبعيد من التقصير فى الشئ .

ويشير شاعرنا الى الجناس أحيانا فى بداية البيت ، ثم يجانس بعد ذلك بين الكلمات وذلك فى مثل قوله : (٣)

وجانسَ طرفي النوم مستيقظاً ... لي في الدُّجى بينَ السُّها والسُّهاد
وقَسَّمَ الشوقُ غرامي كما ... شاء واعطاء كلي أراد أراد

---

(١) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٨ .
(٢) المصدر نفسه لوحة / ٥ .
(٣) تأهيل الغريب" مخطوط " لوحة / ٩١ .

فهو يجانس في البيت الاول بين "السُّها" "والسُّهاد" والاولى تعني كوكب خفي ، والثانية بمعنى الارق . وهذا النوع من الجناس يسمى المذيل وهو مازاد أحد ركنيه على الآخر حرفا في آخره فصار كالذيل ، والزيادة هي حرف الدال في "السهاد".

كما جانس في بيته الثاني بين "أُراد ، أُراد" والاولى بمعنى الرغبة بينما الثانية بمعنى الخلط والمزج ، وهذا من الجناس التام .

وقال في الدمع : (١)

دَعْ مقلتي للدَّمع والأَرَقِ الذي ... كم هَيَّجَتْهُ حمامةٌ ورقاءُ

أبكي ليالي حاجرٍ بمحاجرٍ ... بهوى العقيق دموعهنَّ دماءُ

والجناس في البيت الثاني بين كلمتَي "حاجر" و"محاجر" ومعنى الاولى المحجور ، والثانية محاجر الدمع . وهذا من الجناس المطرف والذي هو مازاد أحد ركنيه على الآخر بحرف في طرفه الأول .

وقال : (٢)

وكَمْ شَكَوْتُ الذي ألقاهُ منهُ فما ... أُولى لِذُلِّي ، ولا أَلوى ، ولا اكترثا

فجانس بين "أُولى" "وأَلوى" والاولى بمعنى الاهتمام ، والثانية بمعنى الاكتراث ، وهذا من الجناس المقلوب او المعكوس وهو ماتساوت حروف ركنيه عددا وتخالفت ترتيبا .

وقال : (٣)

توقَّ مَنْ سوءته دعوه ... تالمع حيث السَّهم لم يطلُعِ

ماكبد القوس إذا أرسلت ... فيها الذي في كبدِ الموجعِ

---

(١) تاهيل الغريب "مخطوط" لوحة / ٤٦ .

(٢) تشنيف السمع / ٦٥ ، عصر سلاطين المماليك ٨ / ٣٤٣ .

(٣) الغيث المسجم ٢ / ٢٦٦ .

والجناس في البيت الثاني بين " كبد " الاولى والثانية ، ومعنى الاولى وسط الشيء بينما الثانية كبد الانسان .

وقال : (١)

مرضت . لله قـوم | مافيهم من جفاني
عادوا وعادوا وعادوا | على اختلاف المعاني

والجناس في البيت الثاني في الافعال الثلاثة "عادوا " فالاول من العيادة ، والثاني من الصلة ، والثالث من العود وهو الرجوع .

. . .

---

(١) ديوان الصبابة / ١١٧ ، تمام المتون / ٣٦٤ ، الغيث المسجم ١/ ٤٦، مجلة المورد العدد ١٤٩/ ٧٢.

- الطبـاق :

ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ - وهو الجمع بين معنيين متضادين - أى معنيين متقابلين فى الجملة . وقد قال بعض علماء البلاغة : " ولا مناسبة بين معنى المطابقة لغة ومعناها اصطلاحا ، فانها فى اللغة الموافقة يقال طابقت بين الشيئين اذا جعلت احداهما على حذو الاخر ، وطابق الفرس فى جريه اذا وضع رجليه مكان يديه .

وهو ضربان ، ضرب يأتى بألفاظ الحقيقة ، وضرب يأتى بالفاظ المجاز ، فما كان منه بلفظ الحقيقة سمى طباقا ، وما كان بلفظ المجاز سمى تكافؤا ". (١)

وللطباق نصيب فى شعر شاعرنا فمن ذلك قوله : (٢)

ياساكناً قلبى ذكرتُك قبلـه ... أرأيتَ قبلى من بدا بالساكن

وجعلتُه وقفاً عليكَ وقد غـدا ... مُتَحَرِّكاً بخلافِ قلبِ الآمـن

وبذا جرى الأعرابُ فى نحو الهوى ... فاليكَ معذرتى ، فلستُ بلاحن

فالمطابقة بين " ساكن " و " متحرك " كما نسمع نداء التورية ينبعث من كلمة " الساكن " والتى معناها القريب مأخوذ من السكون ضد الحركة والبعيد الذى يومى اليه شاعرنا ويعنيه ، هو الساكن بالقلب ، وهو الحبيب . ويطل علينا التلميح بمصطلحات النحو المتمثل فى الساكن " و " المتحرك " و " الاعراب " و " النحو " و " اللحن " .

ومن الطباق قوله : (٣)

---

(١) أنوار الربيع ٢ / ٣١ ، حسن التوسل / ١٩٩ ، فنون بلاغية / ٢٧٠ .

(٢) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣١٥ ، نصرة الثائر / ٢٢٢ ، قطر الغيث المسجم / ١٥٦ ، وفى الصدرين الاخيرين البيتان الاول والثانى ، معاهد التنصيص ٣ / ١٤٧ ، الكشكول ١ / ٤٠٢ وفيهما الابيات الثلاثة .

(٣) تشنيف السمع / ١١٣ .

لو ترى موقفنا والدمعُ مـن مقلةِ المشاقِ والمعشوقِ واحد
وعقودُ الجيدِ والجَفنِ معاً قد تلاقى ذائبٌ منها وجامد

والطباق فى " ذائب وجامد ".

وقال : (١)

فَبينَ جفني والكرى نُفـرة وبينَ قلبى والغرام اتحاد
وطابقَ الشوقُ لهيبى بما دمعى ، فَضلاً بين خافٍ وباد

فيطابق فى البيت الاول بين " نفرة " و " اتحاد " . ويشير صراحة فى أول بيته الثانى الى الطباق حين يقول " وطابق الشوق .. " ثم يطابق فى اخر البيت بين " خاف " و " باد ".

وقال : (٢)

ذو طرةٍ يمزها ربُّ الدجى وطلعةٍ ، يمزها ربُّ الفلق
الماءُ ، والنارُ معاً في خدّه أما ترى الخالَ طفا ثُمَّ احترقْ

والطباق فى البيت الاول بين الاسمين " الدجى " و " الفلق " وفى البيت الثانى بين " الماء " و " النار ".

وقال : (٣)

حبابُها كشُعاعِ الشمسِ كم جَعلتْ أضواؤها آية الإمساءِ إصباحا

والطباق وقع بين الاسمين " الامساء " و " الاصباح ".

---

(١) تأهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ٩١ .
(٢) المنتقى من كشف الحال " مخطوط " لوحة / ٣٤ ، روض الادب " مخطوط " ١٤٨ وفيه عجز البيت الثانى كلمة " لما " بدلا من " ثم " ، مراتع الغزلان " مخطوط " الورقة / ٦٨ وفيه فى البيت الاول كلمتى " يحيذها " بدلا من " يمزها ".
(٣) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٢١٢ ، تأهيل الغريب " مخطوط " لوحة / ٤٦ .

وقال في دخان شمعة (١) :

وأيّام لهو وصلنا بهـــا ... ليالي نشوانُها لا يُفيـق
تَغَيَّبُ صُبْحاً دُخانُ الشموع ... وتُشرق عندَ المساءِ الرّحيق
فتحسَبُ أنَّ الغبوقَ الصبوح ... وتحسَبُ أنّ الصبوحَ الغبوق

فطابق في البيت الاول بين الاسمين " أيام " و " ليالي " وفي البيت الثاني بين الفعلين " تغيب " و " تشرق " والاسمين " الصباح " و " المساء " ، وفي البيت الثالث بين الاسمين " الغبوق " و " الصبوح " .

وقال : (٢)

أطعموا العلقة شيخـاً ... ذقنه كالثلج بيضـاً
ثم قالوا خذ دواءً ... يستفيضُ الدّاءَ غيضـاً
يحلقُ السوداءَ حلقـاً ... قلتُ والبيضاءَ أيضـاً

فالطباق في البيت الثالث بين " السوداء " و " البيضاء " .

وقال : (٣)

وكم سيّدٍ يستوجبُ الرفع قدره ... غدا شاكياً من لحن أيامه خفضا
ومستفلٍ يُدعى رئيساً لقومـه ... كذاكَ الخصي يُدعى رئيساً من الأعضا

والطباق في البيت الاول بين كلمتي " الرفع " و " الخفض " فضلا عن انبعاث شذا التورية منهما ، فالرفع والخفض لهما دلالتان : قريبة بمعنى المصطلح النحوي ، وبعيدة وهي مراد شاعرنا ، هو رفع الشأن وخفضه .

---

(١) حلبة الكميت / ٢٠٨ .
(٢) الغيث المسجم ١ / ٢٦٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢ / ٢٠٦ .

وقال : (١)

فسر لي عابدٌ مناماً فصل في قولِه وأجمل
وقال : لابدَّ من طلوعٍ فكان ذاك الطلوعُ دمّل

والطباق في البيت الاول بين الفعلين " فصل " و " أجمل ".

وقال : (٢)

ولي قمرٌ ، لم يزل في التمام ولي جسدٌ ، لم يزل في السرار
بطرّتِه ، وسنا وجهِــه عجبتُ لجمع الدجى والنهار
بغصنٍ من الآسِ شبّهته وحققتُه باخضرار العـذار

والطباق في البيت الثاني بين الاسمين " الدجى " و " النهار ".

وقال : (٣)

الجيمُ أولُ حرفٍ في الجواد ، كما قاف القوافي أتت ، وذا السبب (٤)
حرفانِ ما اجتمعا في لفظةٍ نُسِبَتْ للعُربِ ، لكنها للعجم ذاتُ نسبْ
ومن هنا قل تلقى قاف قافيــة مع جيم جود ، وتأثير الحروف عجب

والطباق في البيت الثاني بين الاسمين " العرب " و " العجم " .

وقال : (٥)

هذا وما عاني هواي ولا لـه دمعي الطليق ، ولا فؤادي العاني

---

(١) كشف اللثام / ٢٠ ، خزانة الادب / ٣٠٤ وبه ضمن صدر البيت الاول " عابر " بدلا من " عابد ".

(٢) المنشآت الصفدية " مخطوط " لوحة / ٦٠ .

(٣) التذكرة الصفدية " مخطوط " الورقة / ١٠٥ ظهر .

(٤) البيت مكسور هكذا ورد في المخطوطة ولم اهتد لاصلاحه .

(٥) تشنيف السمع / ٨٤ .

والطباق بين الاسمين " الطليق " و " العانى ".

وقال : (١)

فلازالَ يوليه الخليلُ محبةً ولا زالَ اسطاً يَفدىٰ ولا يُفدىٰ (٢)

والطباق بين الفعلين " يفدى " و " لا يفدى " وهذا يسمى بالطباق السلب .

• • •

---

(١) الوافى بالوفيات ٩/٩٠

(٢) عجز البيت فيه خلل عروضى ، هكذا ورد ، ولم أهتد لاصلاحه .

٢ -" الألوان البيانية في شعره "

- الكناية :

الكناية لغة : مصدر قولك كنيت بكذا عن كذا ، وكنوت : اذا تركت التصريح (١) .

واصطلاحا : يقول الامام عبدالقاهر الجرجاني (٢) : " هي ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني ،فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به اليه ، ويجعله دليلا عليه ."(٢)

وعنه ينقل ابن حجه في كتابه " خزانة الادب " والنويري في كتابه " نهاية الارب "(٣) .

أما أبو هلال العسكري فيقول في كتابه الصناعتين ، " الكناية : هو أن يكني عن الشيء ، ويعرض به ولا يصرح "(٤) .

بينما يقول شهاب الدين الحلبي في كتابه حسن التوسل (٥) : " هو أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن ، وعن الفاحش بالطاهر."

وتسمى الكناية : الارداف عند علماء البيان ، وقد أفرد علماء البديع الارداف عنها ."(٦)

---

(١) أنوار الربيع ٥ / ٣٠٩ .
(٢) دلائل الاعجاز / ٤٥ .
(٣) خزانة الادب / ٤٤٠ ، نهاية الارب ٧ / ٥٩ ، نحو بلاغة جديدة / ١٤٥ .
(٤) كتاب الصناعتين / ٣٦٨ .
(٥) حسن التوسل / ٢٣٣ .
(٦) خزانة الادب / ٤٤٠ ، نهاية الارب ٧ / ٥٩ .

واذا ما جئنا لدراسة شعر الوراق ، لاحت لنا الكناية فى شعره ، ومن ذلك قوله وقد أهدى له دجاج : (١)

أَعَدْنَ الشّبابَ الىٰ مَطْبَخِــي   وَقَدْ كانَ شابَ لحملِ الهمُــوم
وعادَتْ قدوري زنجيّـــة   فاعجب بزنجيّة عند رومـــي

فانظر الى كنايته اللطيفة فى البيت الاول عن الطبخ وعدمه ، فاعادة الشباب كناية عن الطبخ وهذا حين يتيسر حاله ، بينما وصف المطبخ بالشيب فى قولـه : " وقد كان شاب لحمل الهموم " كناية عن عدم الطبخ ، وذلك لسوء حاله . وكون القدور زنجية فى البيت الثانى ، كناية عن اسوداد ظهر القدر من النار عنــد الطبخ ، وهو كناية عن الطبخ أيضا ، بينما كنى بالروم عن نفسه وذلك لشبهه بالروم فى بياض بشرته ، وزرقة عينيه ، واحمرار وجهه .

وقال : (٢)

قالت وكيسي فارغٌ شاغــر   لا كاتبٌ أنتَ ولا شاعـــر

فكنى عن الافلاس بفراغ الكيس من المال ، وهى كناية جميلة .

وقال مخاطبا ابن حنا بعد أن وصله بشىء : (٣)

وَقَدْ سَمّنتَ كيسي بعد ضَعْفٍ   به التقت الضّلوعُ مَعَ الضلــوع

فكنى عن المال بسمنة الكيس ، كما كنى عن فقره وقلة ماله بالتقاء أضــلاع الكيس .

---

(١) الوافى بالوفيات ٢٢٦/١ .

(٢) لمع السراج "مخطوط" لوحة/ ٣٢٣ .

(٣) الوافى بالوفيات ٢٢٠/١ ، فوات الوفيات ٢٥٨/٣ .

وقال : (١)

فكم من رداءٍ طاهر باتَ جارياً علىٰ فقدها دمعٌ هناك طَهورُ

فكنى عن المرأة بالرداء الطاهر .

وقال أيضا : (٢)

يمنحني باخلٌ وسَمْــــــحٌ وليسَ لي منهما نصيـــــرُ

وغايتي أن ألومَ حظّـــــي وحظّي الحائطُ القصيــــرُ

والكناية "بالحائط القصير" ، ويراد منها أن الناس تتخطاه وتستهيــن به . ونلاحظه يستخدم نفس الكناية في قوله : (٣)

والخضراءُ الذينَ كم سَرَقـــوا قَطائعاً واقتنوا لها ثَمَنـــا

وقالوا مِنَ الحائطِ القصيرِ مَضىٰ فَهمتُ والحائطُ القصيرُ أنـــا

وقال أيضا : (٤)

أصبحتُ أعجزُ إنْ أقومَ وشرُّ ما وقعتْ عليه العينُ شيخٌ عاجـــزُ

وإن أردتُ أدُقُّ شيئاً لمْ أجدْ عندي يداً ، والبيتُ فيه الهاونُ

والكناية في البيتين عن الشيخوخة ، وخور القوى .

وقال : (٥)

رُبَّ بكرٍ أصبتُها أولَ العمـ ... ـر وقدِ هي من الشّباب المُحلّىٰ

طَلبتْ ذلكَ النّشاطَ فأجمـ ... ـتُ لها القولَ حينَ قَصّرتُ فعـلا

كُنتُ تُرساً ، وكانَ رمحاً فلما صِرْتُ بئراً ياستّنا صارَ حَبْــــلا

---

(١) تشنيف السمع / ٥٦ .

(٢) معاهد التنصيص ١/ ١٥٤ ، الغيث المسجم ٢ / ١٢٧ .

(٣) لمع السراج "مخطوط" لوحة/ ٤٠٧ .

(٤) المصدر نفسه لوحة / ٣٩٧ ، فوات الوفيات ٣/ ١٤٢ ، الغيـــث المسجم ٢ / ٢٣٩ .

(٥) الغيث المسجم ٢ / ٢٣٩ .

يتضمن هذا النص عدة كنايات ، ففى البيت الاول كنى بالقدح المعلى عن القوة ، وفى البيت الثانى كنى بالنشاط عن الحماسة ، وفى البيت الثالث كنى عن القوة بالترس ، وكنى عن .... بالرمح ، وكنى عن الشيخوخة والضعف بالبئر ، وكنى عن .... بالحبل .

واذا ما أردنا استقصاء دراسة الكناية فى شعره وهى كثيرة ، وجدناها يغلب عليها الطابع الجنسى ، لذا أقف الى هنا فى الحديث عن كناياته ، وأعتذر عن ايراد كناياته الاخرى التى أشرت اليها لما فيها ما يخدش الذوق . وأحيل من يريد تتبع كناياته الاخرى الى شعره فى المصادر المشار اليها فى الهامش(١) .

* * *

---

(١) انظر: لمح السراج " مخطوط " اللوحات/ ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٣٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٤١٣ ، الدر الثمين فى محاسن التضمين " مخطوط " الورقة/ ٦٤ ظهر ، صرف العين " مخطوط " لوحة / ٤١ ، غيث الادب " مخطوط " الورقة / ٢ ، الغيث المسجم / ٥٩ ، ١٦٣ ، تمام المتون / ٢٥٥ ، معاهد التنصيص ٤/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

- التعريض :

يقول عنه ابن حجه فى كتابه " خزانة الادب "[(١)] : بأنه نوع لطيف فى بابه وهو عبارة عن أن يكنى المتكلم بشىء آخر لا يصرح به ، ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه ، كقول القائل مثلا : ما أقبح البخل ، فيعلم أنك أردت أن تقول له أنت بخيل . "

بينما يعرفه النويرى فى كتابه " نهاية الارب " فيقول [(٢)] : " هو تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر ، كقولك : ما أقبح البخل : لمن تعرض ببخله ".

أما ابن معصوم المدنى فيعرفه قائلا [(٣)] : " هو الاتيان بكلام مشار به الى جانب هو المطلوب ، وايهام ان الغرض جانب آخر ، وسمى تعريضا لما فيه من الميل عن المطلوب الى عرض - بالضم - أى جانب - ويقال : نظر اليه بعرض وجهه - بالضم - اى بجانبه ، ومنه المعاريض فى الكلام ، وهى التورية بالشىء عن الشىء ، وفى المثل : ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ، أى سعة وفسحة ، وهو اما لتنويه جانب الموصوف ، كما يقال : أمر المجلس السامى نفذ ، والستر الرفيع قاصدا لكذا ، تعريضا بأن المعبر عنه أرفع قدرا وشأنا من أن يسع الذاكر له التصريح باسمه وترك تعظيمه بالسكينة . "

وهناك محاسن لطيفة للتعريض فى كونه أرجح من التصريح ذكرها ابن معصوم ولا مجال لذكرها هنا .

ومن التعريض قول شاعرنا : (٤)

---

(١) خزانة الادب / ٥١٤ .

(٢) نهاية الارب ٧ / ٦٠ .

(٣) أنوار الربيع ٦ / ٦٠ .

(٤) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٥٩ ، نصرة الثائر / ٣٥٠ .

بَعَثْتُ لكَ الكتابَ وقلْ سميي   على رأسي لبابك بالكتـــاب
وعُذري عنكَ في التأخير أنــي   تبددت الدواةُ على ثيابــي

فهو يعتذر بعدم استطاعته الذهاب الى صديقه لايصال الكتاب بنفسه ، وذلك لتبدد الدواة على ثيابه ، وهو فى كلامه هذا يعرض بطلب صابون كى يغسل ثوبه .

وقال : (١)

أعِدْ مدحي عليَّ وخذْ سِــواهُ   فقد أتعبتني يا مستريـــحُ
ولا تغضبْ إذا أنشدتُ يومــاً   سِواهُ ، وقيل لي هذا صحيحُ

فشاعرنا يخاطب انسانا مدحه ولم يصله بشىء ، لذا فهو يطلب منه أن يعيد اليه مدحه ويأخذ سواه ، ويقصد الوراق بسواه " الذم " لهذا فهو يخاطبه معرضا به ، طالبا منه عدم الغضب اذا أنشد يوما شيئا من الشعر . وهو فى قوله هذا يستفزه مهددا اياه ، ومعرضا بهجائه كى يعطيه بعض المال .

...

---

(١) المستطرف من كل فن مستظرف ٢/٥ .

الباب الثالث

مساجلاته الشعرية وتأثره وأثره

الفصل الأول : مساجلاته الشعرية

الفصل الثاني : تأثره وأثره

الفصـــل الاول

المساجلات الشعريـــــــة

هذا اللون من الشعر ، يصور العلاقات الاجتماعية بين الشعراء وأصدقائهم وأحبائهم ، أو بينهم وبين بعضهم البعض ، ففيه الصداقة والود ، والعتـــــاب والشكوى ، والتهنئة ، والاعتذار ، وما الى ذلك من المعانى الاجتماعيـــــة الواسعة التى تربط بين بعض الناس وبعض ، لذا غلب عليه التأنق واصطناع العاطفة التى تكون صادقة تارة ، وكاذبة تارة أخرى . (١)

وينضوى تحت هذا الفن مايدور بين الشعراء من مراسلات ومعارضـــــات ومساجلات شعرية .

وليست هذه الالوان جديدة على العصر المملوكى ، فلقد عرفتها العصــور السابقة ، ونظم فيها الشعراء وأكثروا ، فكم طالعتنا دواوين الشعــــراء العباسيين بقصائد الود والمحبة والصداقة بين الشعراء وأحبابهم واخوانهــم وآية ذلك مانطالعه فى دواوين المتنبى ، وأبى نؤاس ، وابن الرومى ، وأبــى فراس ، والصنوبرى وغيرهم .

والمساجلات الشعرية الاخوانية ، فيها بعض الاختلاف عن الالوان الاخرى ذلك ان الصديقين شاعران ، اذ تتبلور المحبة عند كليهما ، ثم تنطلـــق شعرا جميلا عذبا فى مساجلات يحرص فيها كل منهما على أن يتفق مع صاحبـه فى البحر والقافية والروى (٢) ، فيكون من ذلك شعر لطيف ولاسيما اذا كانـت المساجلة من ناحية خاصة ، أو صفة بعينها بين الشاعرين ، بحيث يجعـــل منها مادة للتجديد بين المعانى ، وتوليد الصور ، وارسال الدعابات .

---

(١) فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين /٢٦٧ .

(٢) المصدر نفسه / ٢٦٩ .

ان شعر المساجلات الاخوانية لطبيعته النفسية ،يمثل اتجاها من انسان الى انسان آخر يقاربه ، أو يرتفع قليلا فوقه ، ان هذه الحدود التى ترسم العلاقة بين الشاعر وصاحبه الذى يتحدث اليه ،ذات تأثير كبير جدا فى الصورة الفنية التى يمكن أن يتركب منها هذا النوع من الشعر.

ان الشاعر هنا يدخل هذه الساحة غير ما يدخل ساحة الاغراض التقليدية الاخرى ،ان موقفه ليس هو الموقف النفسى الذى يقفه الشاعر مثلا من ملك مهيب او سلطان يمدحه .

ففى المساجلات ينطلق الشاعر من دائرته الشخصية ، ويجول فيها ، لا يكاد يجاوزها وأبعد مايفعله ان يجول فى هذا القطاع الناشىء عن تقاطع دائرته بدائرة شخصية أخرى ، هى دائرة من يكتب اليه .

وهذا اللون الادبى يتطلع الى جانب نفسى اصيل ، وهو جانب البث باكثر مما يتطلع الى جانب الابداع ، وان كانت مسألة الابداع رغبة اصيلة فى نفس الفنان ، ولكنه أحيانا لا يشتد حرصه عليها ، واحيانا اخرى يحاول ان يضع بديلا عنها بعض القيم الاخرى ، وهى التى تكاد تكون اشهر القيم فيه ،وهو " الاطراف " وهذا الهدف الجديد الذى نسميه " الاطراف " يفترض سلسلة تابعة له من المظاهر الفنية .

انه لا يحتاج الى معان عميقة موغلة فى اثارة الذهن واغناء الفكر ، وهو لا يحتاج -كذلك- دائما الى فيض عاطفى متدفق ، انه يحتاج الى رذاذ من هذه العواطف .

فالشاعر هنا ليس فى حاجة الى مجرى عنيف متدفق ، كالذى يحتاج اليه فى الغزل او المديح او الفخر ، ففى هذه يصدر الشاعر عن عاطفة عريضة كى تضع

الحبيب على القمة منه فى الغزل ، أو لتضم مشاعر جماهير لتضع الممدوح مجسدا لها فى المديح ، أو لتنزل بالمهجو الى أحط الدركات فى سلم الحياة الانسانية .

وفى هذا اللون من الشعر لا يحتاج الشاعر الى أخيلة واسعة تضرب فى آفاق بعيدة ، وتعبر عن قوة الابداع ، لان الشعور الانسانى فى هذا الموقف يتطلب التواصل والتماس بين النفسين ، باكثر مما يتطلب الارتفاع الى آفاق بعيدة ، لذا يغلب على هذا الفن ، جانب البساطة والمقاربة ، اذ أن المماثلة تدفعه فى اتجاهات اخرى فى الاخبار ، او الدعابة ، أو المماتبة أو النكتة او الاحجية ، او ما الى ذلك .

ان فن " الاطراف " يقود عادة الى سلسلة من المظاهر التعبيرية التى يتلاءم معها ، وكل مايحتاج اليه الشاعر هو زينة خفيفة ، لا تضلل القارىء ، ومعنى قريب لا يرهقه ، وتعبير رشيق ينفذ اليه ، وزينات خفيفة متناثرة ، كاقتباس أو تعريض ، او تضمين ، او كناية ، دون ان يبدو على ذلك كله أثر العمل أو القصد . وان اكثر مايحتاج اليه شعر المساجلات ، اذا اريد له أن يكون قويا ، هو القدرة على الموسيقية التى تسخر اللفظة ، والجملة ، والمعنى ، والزينة لها ، وتسبك ذلك كله فى اطار بارع شفاف لها ، وتشيع فى الابيات هذه الروح الخاصة بها .

وتفسير ذلك أن شاعر المساجلات الاخوانية بهذه الموسيقية ، وبهذه السهولة التى يتطلبها ، يحتاج الى قاعدة عريضة من الموروث الشعرى التراثى الذى يلين بين يدى الشاعر كل التعابير ، ويجعله قادرا ان يصب ذلك ضمن الموسيقى الشعرية مايشاء . ان الشاعر بغير هذا الرصيد ، وبدون هذه القاعدة العريضة ، لا يستطيع ان يخضع اغراض المساجلات لهذه السهولة التى تتطلبها .

ولا يصح شعر المساجلات الاخوانية لناظمه طواعية النظم برشاقة وخفة وسهولة ،وطراوة أداء ، بل يضطره أحيانا الى التقيد بأوزان وقواف مفروضة، يفرضها عليه الشخص الذى يساجله . ولهذا فانشعر المساجلات القوى ليس سهلا على الشعراء ، ولا نستطيع أن نصفه بأنه سهل ، اولين لانه يحتاج الى رصيد قوى لا يقوى عليه الا القادرون . ولهذا الفن قيمة أدبية اذ يطلعنا على جانب من تصاول العقول الذكية ، وتسابق القرائح ،مما يجعل المتلقى يهش له ،لما فيه من امتاع وايناس يقومان على الطرافة . (١)

وشاعرنا الوراق له باع طويل فى هذا الفن ، فقد عرف بمساجلاته مع أحبابه وأصدقائه وندمائه ، وخلطائه ،ومن ذلك مساجلاته الشعرية المتشبعة بروح الهزل والفكاهة مع شاعرين عرفا من شعراء الفكاهة والظرف فى مصر وهما شاعرنا والجزار ، ولنستمتع باحدى الفكاهات التى كانت تجرى بينهما . فمما يذكران ابا الحسين الجزار قام الى بيت الخلاء فناوله شاعرنا السراج الوراق شمعة ، فقال الجزار : ماعادتى أقضى الشغل الا على السراج (٢).

ولنتأمل الابيات التى يرسلها الجزار مازحا صاحبه الوراق ، مشيدا بسمعته الفنية وصداقته ، ثم انتقاله الى المزح حين يقوم بتشبيهه ببعض الشعراء فيقول له : (٣)

أيُّها الشاعِرُ الذي ذِكرُهُ غَـ ... ـرّبَ في أَبْعَدِ البلادِ وشَـرَّقْ
والذي لم يزلْ صديقي وإنْ كا ... نَ لغيري فهو العدوُّ الأزرقْ

---

(١) مطالعات فى الشعر المملوكى / ٢٩٤.

(٢) تحفة المجالس / ٣٤٥ ،مطالع البدور ١/ ٩١ ، حلبة الكميت / ٢١٤ ، قطر الغيث المسجم / ٣١٨.

(٣) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة /٣٠٧.

أنتَ حَسّانُ نجدةً وجــزاءً ... وامرؤ القيسِ عِفّةً والفـــرزدقْ (١)
وإذا ما عَطَسْتَ بينَ أُنـــاسٍ ... كٍ يقولُ جميعُهم لك بشَمْـــقْ

فيرد شاعرنا على أبياته بابيات على نفس الوزن والقافية ، وبنفس الاسلوب الممزوج بروح الفكاهة ، مشبها اياه أيضا بجملة من الشعراء ومشهـــوري العرب من الشجعان والكرماء فيقول :

أنتَ في شعركَ الصَّريعُ ومن سا ... جل بذيلك حين تَطفو ويَغْـــرَقْ (٢)
والصَّريعُ الذي تَسومُهُ الجــا ... هلُ غير الذي أردتَ مُحَقَّـــقْ
ذاكَ لاشكَّ مسلمٌ والغوانـــي ... لم يكُنْ حَبْلُها بِحَبْلِكَ يَعْلَـــقْ (٣)

---

(١) حسان بن ثابت : هو أبوالوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الانصاري من بني النجار ، الصحابي الجليل ، وشاعر النبي -عليـــه السلام - وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، توفي في المدينة سنة ٥٤ هـ .
خزانة الادب ١/٢٢٧ ، الشعر والشعراء ١/٣٠٥ ، الموشح / ٨٢ ،
امرؤ القيس : هو امرؤ القيس بن حجر الكندي ، كنيته أبووهب ، الشاعر الجاهلي المشهور ، ولد في اوائل القرن السادس للمسيح -عليه السلام- وقيل توفي بالجدري نحو سنة ٥٦٥ م .
ديوان امرئ القيس / ٥٣ ، الشعر والشعراء ١/١٠٥
الفرزدق : هو ابوفراس همام بن غالب بن صعصعه التميمي الدارمـــي ، لقب بالفرزدق لجهامة وجهه ، وهو شاعر من نبلاء اهل البصـــرة ، عظيم الاثر في اللغة ، توفي سنة ١١٠ هـ وعمره ٩١ سنة الموشح / ١٥٦ ، خزانة الادب ١/٢١٧ .
(٢) البيت مكسور ، هكذا ورد ، ولم أهتد لاصلاحه .
(٣) هو مسلم بن الوليد الانصاري ، شاعر اشتهر بالغزل في العصر العباسي ، وهو من أهل الكوفة ، نزل بغداد ، ولقبه الخليفة الرشيد بصريـــع الغواني ، توفي ببغداد سنة ٢٠٨ هـ .
الشعر والشعراء ٢/٨٣٢ ، الموشح / ٤٤٤ .

أنتَ في دينكَ الحُطيئةُ لمّا قَسَّمَ المالَ في بنيهِ وفَرَّقْ (١)
أنتَ كابنِ الحُبابِ في حِفْظِكَ الجُلّاسَ وابنُ الحُبابِ ذاكَ يُصَدَّقْ (٢)
أنت في وعارضٍ متى ما نظرنا نظرنا الى الندى والمحلق (٣)

---

(١) الحطيئة : هو جرول بن أوس بن مالك العبسي ، أبو مُليكه ، شاعر مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام ، وكان هجّاءً عنيفاً .
اما قصته في تقسيم المال والتي اشار اليها شاعرنا ، فيوردها ابن قتيبة كالاتي : يقول : " من المشهور عنه انه قيل له حين حضرته الوفاة ، أوص يا أبا مُليكه فقال : مالي للذكور من ولدي دون الاناث ، فقالوا ان الله لم يأمر بهذا ، فقال : لكني آمر به ." الشعر والشعراء ١/٣٢٢ .
بينما يورد البغدادي عنه القصة بشكل آخر ، وهي كالاتي : " سئل عن وصيته قبل موته ، فقالوا له : فما تقول في مالك ؟ فقال : للانثى من ولدي مثل حظ الذكر ، قالوا : ليس هكذا قضى الله ، قال : لكني هكذا قضيت . خزانة الادب ٢/٤١٣ .
(٢) ابن الحُباب : هو والبة بن الحُباب الأسدي الكوفي ، أبو اسامة ، شاعر غزل ، ظريف ، ماجن ، وصاف للشراب ، وهو استاذ ابي نؤاس ، ومنه أخذ ابو نؤاس المجون والفسق ، توفي سنة ١٧٠ هـ . لسان الميزان ٦/٢١٦ ، تاريخ بغداد ١٣/٤٨٧ .
(٣) يشير شاعرنا في هذا البيت الى قصة المُحلَّق بن حنتم بن شداد الكلابي احد كرماء الجاهلية مع الاعشى ، والقصة يوردها الاصبهاني في كتابه " الاغاني " كالاتي : " كان الاعشى يوافي سوق عكاظ كل سنة ، وكان المُحلَّق الكلابي مئناثاً /١ مُملقاً ، فقالت له امراته : يا ابا كلاب ، ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر ، فما رأيت أحداً اقتطعه الى نفسه الا واكسبه خيراً . قال : ويحك ، ما عندي إلا ناقتي وعليها الحمل ، قالت : الله يخلفها عليك . قال : فهل له بد من الشراب والمسوح /٢ ؟ =

---

١ - المئناث : الذي اعتاد أن يلد الاناث .
٢ - المسوح : جمع مسح وهو كساء من شعر كثوب الرهبان .

أنتَ يومَ النّدى يزيدُ سُليمٍ   لا يزيدُ الأزديُّ ما أحسَنَ الحقّ (١)

= قالت : ان عندى ذخيرة لى ولعلى أن أجمعها . قال : فتلقاه قبل أن يسبق اليه أحد ، وابنه يقوده فأخذ الخطام ، فقال الاعشى : من هذا الذى غلبنا على خطامنا ؟ قال : المُحلّق . قال : شريف كريم ، ثم سلمه اليه فأناخه ، فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها ، ثم سقاه ، واحاطت بناته به يَغمِزنَه ويَمسَحنَه ، فقال : ماهذه الجوارى حولى ؟ قال : بنات اخيك وهنّ ثمان شريد تُهنّ قليلة . قال : وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئا . فلما وافى سوق عكاظ اذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها ، واذا الاعشى ينشدهم :

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ   الى ضوءِ نارٍ باليفاعِ تَحَرّقُ
تَشبُّ لمقرورين يصطليانها   وباتَ على النارِ النّدى والمُحلَّقُ

فسلم عليه المُحلّق ، فقال له : مرحباً ياسيدى بسيِّد قومه . ونادى يامعاشر العرب هل فيكم مذكارٌ/١ يزوِّج ابنه الى الشريف الكريم . قال : فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة الا وقد زوجها .

(١) يزيدُ سُليم : هو يزيد بن أسيد بن زافر بن أسماء السُلَمى من بنى بهثه بن سُليم بن منصور ، وال من رجال الدولة العباسية ، ولى أرمينية للمنصور ، وهو المعروف بـ "يزيد سليم" ت ١٦٢ هـ . وهو الذى تداول الناس فيه وفى يزيد بن حاتم قول الشاعر ربيعة الرقى :

لشتّان مابينَ اليزيد بن فى النّدى   يزيدُ سُليم والأغرّ بن حاتم
فَهَمُّ الفتى الأزدىِّ إتلافُ ماله   وَهَمُّ الفتى القيسيِّ جمع الدراهم

وكان ربيعة الرقى قد ذهب اليه واستقل ما اعطاه ، وذهب الى يزيد بن حاتم الازدى والى افريقية فلقى منه كرما بالغا ، فجعل اليزيدان مضروب المثل . رغبة الامل / ٣٠٥ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٠ .

يزيد الازدى : هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة ، امير وقائد من القادة الشجعان فى العصر العباسى ولى الديار المصرية ، وافريقية وغيرها . وكان جوادا كريما توفى سنة ١٧٠ هـ .
وفيات الاعيان ٢ / ٣٠٦ ، النجوم الزاهرة ٢ / ١ .

---

١ ـ المذكار : الذى اعتاد ان يلد الذكور .
الاغانى ٩ / ١١٣ .

أنتَ تُزري بالحارثِ بن هشامٍ ... في الوغى والكُماةُ عنه تفَــرّقْ (١)

أنتَ تُزري بحاتمٍ ومَعْــنٍ ... مُذْ رأيناكَ بالنّدى تَحلّــقْ (٢)

أنتَ مِمّن رأيتُ دونكَ كعبٌ(٣) ... والثّرى مِنْ دماءِ جُزرِكَ تُشْرِقْ (٤)

أيّها الشيخُ قد رجَعْتَ عتــا... هيّاً ، وقالوا صلّ ، وقالوا تصَدّقْ(٥)

---

(١) هوالحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، من الصحابة ، كان فارسا وشريفا في الجاهلية والاسلام ، ومضرب المثل في كل غاية ، توفي سنة ١٨ هـ .
الاصابة في تمييز الصحابة ١ / ٢٩٣ ، ثمار القلوب / ٢٩٨ .

(٢) حاتم : هو ابوعدي ، حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي ، فارس شاعر جواد ، من العصر الجاهلي ، يضرب المثل بجوده ، توفي سنة ٤٦ هـ قبل الهجرة ٥٧٨ م ، الشعر والشعراء ١ / ٢٤١ ، خزانة الادب ٣ / ١٢٧ .
معن : هو ابوالوليد معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني ، من أشهر اجواد العرب واحد الشجعان والفصحاء ، ادرك العصرين الاموي والعباسي ثم ولي سجستان لبني العباس وقتل فيها سنة ١٥١ هـ ، وقيل ١٥٢ هـ ، وقيل ١٥٨ هـ . وفيات الاعيان ٥ / ٢٤٤ ، تاريخ بغداد ١٣ / ٢٣٥ .

(٣) كعب : هو كعب بن مامه ، بن عمرو بن ثعلبة الايادي ، اشتهر بالكرم في العصر الجاهلي ، وكان مضرب المثل فيقال " أجودُ من كعب بن مامة " وتذكر عنه قصة مشهورة في الايثار وهي انه كان مسافرا مرة مع رجل من النَّمْر ابن قاسط فَقَلّ عليهما الماء ، فتناصفاه ، فجعل النَّمَريّ يشرب نصيبه فاذا اخذ كعب نصيبه آثر النَّمري فاعطاه حصته ، حتى جهد كعب ومات عطشاً . ثمار القلوب / ١٢٢ ، الشعر والشعراء ١ / ٢٤١ ، رغبة الآمل ٣ / ٥٢ .

(٤) دماء جزرك : اشارة الى مهنة الجزار ، وهي الجزارة .

(٥) ابوالعتاهية هو اسماعيل بن القاسم ، العارف المشهور ، والشاعر المأثور المعروف بزهدياته ، وهو اشهر من نار على علم ، ولد في الكوفة ونشأ بها ، وتوفي ببغداد في خلافة المأمون سنة ٢١١ هـ . وقيل ٢١٣ هـ .
الاغاني ٤ / ١ ، الشعر والشعراء ٢ / ٧٩١ ، أبوالعتاهية أشعاره وأخباره / ٢٦ .

وتَبَسَّطْتَ فوقَ سَجّادةٍ زرقـا ء ، فالسّامريُّ فيك مُصَـدِّقْ (١)
وسَمِعْتَ الحديثَ وقال النّا سُ قد صارَ شيخُنا يتغرنَـقْ (٢)
وأرى سائلي من اسمك قد لَـ ... جَّ ، وكان السُّكُوتُ عن ذاك أليقْ

---

(١) السّامري : هو موسى بن ظفر من قرية سامرا على الارجح ، وكان من قوم يعبدون البقر ، وقد اظهر الاسلام مع بني اسرائيل ، وهو الذى صنع لهم العجل ، فأضلهم عن الحق وذلك في غياب موسى -عليه السلام- والذى كان قد ذهب للميقات .
مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٤٩٢ .

(٢) جاء في لسان العرب ١٠ / ٢٨٦ أن الفُرنوق : بمعنى الناعم المنتشر من النبات ، والشاب الابيض الناعم الجميل . وفي الحديث " تلك الغرانيق العُلا " هي الاصنام ، وهي في الاصل الذكور من الطير ، واحدها غِرْنَوق وغِرْنيق سمي به لبياضه ، وقيل هو الكُركي . وكانوا يزعمون أنَّ الأصنام تقربهم من الله عز وجل ، وتشفع لهم اليه فشبهت بالطيور التى تعلو وترتفع في السماء . قال : ويجوز أن تكون الغَرانيقُ في الحديث جمع الغُرانق وهو الحسن .

وأصل القصة والتي اشار اليها شاعرنا " وهي قصة الغرانيق " كالاتي :
قيل أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يقرأ سورة النجم ، فلما وصل الى قوله تعالى " أفرأيتم اللّات والعُزّى . ومناةَ الثالثةَ الأُخرى " الايتان ١٢ ، ١٣ ألقى الشيطانُ في أُمْنِيَتِهِ ، اي في تلاوته " وانهم لهم الغَرانِقَةُ العُلى ، وان شفاعتهم لتُرتجى " فطار ذلك بمكة فَسُرَّ المشركون وقالوا ذكر آلهتنا بخير ، فسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، في آخرها ، وسجد المشركون ، ثم انزل الله تعالى " فينسخُ اللهُ ما يلقي الشيطان " .
وهذه القصة موضوعة ومكذوبة على الرسول الكريم لتصادمها مع جوهر العقيدة الاسلامية ، فضلا عن عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الخطأ في مثل هذه الامور . الروض الانف في شرح السيرة النبوية ٣ / ٢٤٤ .

قلتُ يحيىٰ ، فقال لى : ابنُ زيا . . . د ، قُلتُ : لا ، قال لى : أراهُ تزندقْ(١)
قلتُ دَعْهُ ، فالشيخُ أقولُ منّــا قالَ : بالدّال ، قلتُ : قولكَ أصْدَقْ(٢)

نلمس خفة الروح بادية فى ثنايا الابيات ، فضلا عن المداعبات الطريفـــة ، بأسلوب واضح سهل .

ومن ذلك ايضا ماكتبه الجزار الى شاعرنا فى يوم نوروز مداعبا وملغزا له فى كلمـة " المفص " وهو يريد مقلوبها وهو " الصفع " ، اذ كان الصفع من وسائل المداعبـة فى ذلك العصر ، فكان الناس يتصافعون فى المناسبات كيوم النوروز مثلا (٣) ، فانظر كيف يقول له : (٤)

استعمل " المفصَ " يوم الدّبغ مقلوبا لتغتدي طالباً طوراً ومطلوبـــا
واشرب من الرّاح وافهم ما اشرتُ لـه فليسَ تحتاجُ لا كاساً ولا كوبـــا
واحمل على القوم واعلم انهم حملــوا فانت مازلتَ غلّاباً ومغلوبـــــا
لكَ الجواد ان فاركب ماتشاءُ ، ودَعْ مالا تشاءُ مَعَ الغِلمان مجنوبـــا

فأجابه شاعرنا على نفس الوزن والقافية والروى ، بأبيات تتسم بالسهولة قائلا له :

قُلتَ ياشَيْخَنا الأشياءَ تجريبـــــا باكلكَ المَفْصَ (تفد)القلب تزريبا (٥)
وصار جلدُك مَدبوغاً بهِ عَجَبـــــاً وما طهرت ومايحصى الأعاجيبــا

---

(١) هو يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثى ، شاعر ماجن ، ظريف ، من أهـــل الكوفة ، رمى بالزندقة حتى عرف بالزنديق ، توفى ايام المهدى سنة ١٦٠ هـ أمالى المرتضى ١/ ١٤٢ ، لسان الميزان ٦/ ٢٥٦ .
(٢) اذا ابدلت لام " اقول " دالا صارت " اقود " وهو الذى يجمع بين الرجال والنساء .
(٣) انظر ايام النوروز فى خطط المقريزى ٢ / ٢٧٩ .
(٤) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣٠٩ .
(٥) كلمة " تفد " غير واضحة فى المخطوطة وهى كما مكتوبة هكذا . تزريبـــا : يا بساً .

ومنها :

أبا الحسين محالٌ أَنْ تَزوغَ وقد ... صوّبتَ ثعلب رمحي اليوم تصويبـا

ولستَ ذئباً وأخشى ان تُخاتلني ... وإنما أنت شيءٌ يُشبهُ الذّيبـا

وهي أبيات مستطلحة وطريفة .

وكتب الجزار ايضا الى شاعرنا ، وكان قد كاد يغرق في النيل ، وسلم وذهبت له الدراهم فيقول له مخاطبا : (١)

إصبر سِراجَ الدين مُحْتَسِباً ... فاللّهُ أعطى ضِعْفَ ما أَخَـذا

البَحْرُ جارُك أو اخوك وكَـمْ ... سامَحْتَ جارَكَ أو أخاكَ كَـذا

فاجابه الوراق قائلا :

يا حافِظاً عهدَ الصّديقِ إذا ... نَكَثَ الصّديقُ العَهْدَ أو نَبَـذا

صَبَحْتَني بنسيم غاديـةٍ ... هي للنفوس فواكهٌ وغـذا

فَغَفَرْتُ للأيّام زَلّتَهـا ... عندي وقلتُ لهُنّ ذاكَ بـذا

فتأمل بساطة الاسلوب واتسامه بالوضوح ، وجريانه على السليقة ، دون تكلف وتصنع .

ومما كتبه الجزار ايضا الى شاعرنا قصيدة ارسلها مع غلام ، وأرسل معه تفاحـا وكمثرى ونرجسا ، اهداه اليه ، وكان ارمد فقال له : (٢)

أكافيكَ عن بعض الّذي قد فعلتَهُ ... لأنَّ لمولانا عليَّ حقوقـا

بعثتُ خدوداً مع نهودٍ وأعيناً ... ولا غروَ أنْ يجزي الصّديقُ صديقا

فإنْ حالَ عنكَ البعضُ مما عهدتَهُ ... فما حالَ يوماً عن ولاكَ وثوقـا

بنفسج تلكَ العين صارَ شقائقاً ... ولؤلؤ ذاكَ الدّمع عادَ عقيقـا

---

(١) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " / ٣ .

(٢) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " / ٥ - ٦ ، سفينة ادبية " مخطوط " لوحة / ٦١ . وفي المصدر الاخير زيادة السطرين الاولين عن المخطوطة الاولى . ذيل مرآة الزمان ٤ / ٧٥ .

وكَمْ عاشِقٍ يشكو انقطاعكَ عِندما ... قَطَعْتَ على اللَّذاتِ منه طريقـا
فلاعَدِمَتْكَ العاشِقونَ فطالمـا ... أقمْتَ لأوقاتِ المَسَرَّةِ سُوقـا

ثم يكمل هذه الابيات بقطعة نثرية ، يتحدث فيها عن المطوك فيقول عنه مازحا : " يُقبِّلُ الأرضَ ، ويسألُ بسطَ عُذْرِهِ في التَّهجُّمِ على مولانا بما هو من وظائفِهِ ، والبحث في العلم الذي هو من معارفِهِ ، وأنَّهُ قدْ فاقَ الأصاغِرَ والأكابرَ وأنسى الأوائلَ والأواخِرَ . وعَجَبُ المطوكِ كونُ مولانا يبيتُ عِنْدَ من يُباسطُهُ ويُداعبُهُ ويماجنُهُ ويُلاعبُهُ ، ويُصْبِحُ مُتَعَجِّباً من هذا السَّبَبُ الثَّقيل ، وهو المُتْقِنُ لعلم الخَليل وما أظنُّهُ - عافاهُ الله - يذهَلُ عن الشَّباب ، وقد قَوَّضَتْ خيامُهُ ، وانقضَتْ أيّامُهُ ، ومضى ذلكَ الزَّمانُ ، وانقضى ذلكَ الإدمانُ ، والذي تشكوهُ مولانا في العَيْنِ ، يَشْكُوهُ المطوكَ في الأَثَرِ ، وما بَرِحَ المطوكُ يتكرّمُ به والله آخذٌ بيد الكريمِ إذا عَثَرْ ، ومولانا يَحْرِصُ أن لا يتكلَّفَ الجوابَ عن هذه الخدمة ، حالَ ورودِها عليه ، ولا يُجيبُ المَطوكَ عَنْها إلاَّ شِفاهاً ، إذ صارَ بينَ يديهِ وإذا صَلُحَ مِزاجُهُ ، وتَمَّ سُؤدَدُهُ وابتهاجُه جرى على المُعتادِ فيها كَعادتِهِ ، وألقى على المطوكِ أشِعَّةَ سَعادَتِهِ ".

فأجابه شاعرنا بابيات شعرية ، بنفس الروح ، وعلى نفس الوزن والقافية مع قطعة نثرية أيضا ، وهي القطعة النثرية الوحيدة التي وجدتها للوراق ولا بأس من الاطلاع على نموذج نثري له ، نتلمس من خلاله اسلوبه وطريقة كتابته فيقول مخاطبا الجزار :

أعَيْنَيَّ يابشْراكُما قَدْ هَجَعْتُمـا ... وَزارَكُما طَيفُ الخَيالِ طروقـا
وجاءَ بامثالِ الخدودِ تَضَرَّجَتْ ... تَذوبُ نفوسُ العاشقينَ خلوقـا
كعادتِها مثلَ النّهودِ تَحقّقَتْ ... وكانَ بإهْداءِ النّهودِ حَقيقـا
ونَرْجِسِ رَوْضٍ كاللَّحاظِ نواعِسـاً ... وكانَ جديراً بالنُّعاسِ خَليقـا

وقد جاءني من جامع الشمل والذي ... به كم وجدنا للوصال طريقــا
فكم راض من صعب وذلل جامحاً ... ولين من قاس ، ورد مروقــا

ثم يكمل ابياته بقطعة نثرية كما فعل صاحبه فيقول : "تقبل الأرض وشي ورود الملحتين من فاكهته وفاكهته ، والمحبين من هديته وهدايته ، وقد سقاها در بنانه ، وحلى جيدها در بيانه ، وأبدى فيهما غرابة احسانه (........)(١) ولثمت تلك الخدود ، وضممت تلك النهود ، وهمت بالأعين لو أنهن سود ، وقد كانت النفس (قد) صدفت عن اللذات ، وعادت بمعزل عن الشهوات .

فأتتها طبة ناصحـــــــة ... تخلط الجد مراراً باللعب(٢)
تغلظ القول إذا لانت لهـــا ... وتراخى عند سورات الغضب(٣)

رسالة تقود السمع بغير خطام ، ويدعوك بالسحر الحلال إلى الأمر الحمـام ، ويكون الإمكان في الجمع بين الطاء والضرام ، فجن من وفر من ذلك سهمه ، وأعلى في درجات المؤلفين اسمه ، ومحا رتب اهل هذه الصناعة ، وأثبت رسمه والعجب أن يغرس في سبب الرمد ، وتعتقد أني وجدت كما وجد ، كلا إن الأسبـــاب لتختلف ، وإن لكل امرىء ما ألف ، والناس تعرف أنه يعرف من أين تؤكـــل الكتف ، ولا ينحو أحد مع الوراق هذه الأنحاء ، ولا يقول له ما أريد إلا مـــن الطحاء ، أرشد الله الشيخ للصواب ، وسدد رأيه تسديد هذا الجواب "(٤) .

---

(١) العبارة غير واضحة في المخطوطة .

(٢) طبة : حاذقة خبيرة عارفة بطرق الحيل .

(٣) البيتان للشاعر عمر بن ابي ربيعة وهما في ديوانه كالآتي :

فبعثنا طبة محتالــــة ... تمزج الجد مراراً باللعــب
ترفع الصوت إذا لانت لها ... وتراخى عند سورات الغضب

شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة / ٣٨٦ . سورات الغضب : شدته .

هو عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة ، حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم ، اشهر شعراء عصره ، ولم يكن في قريش اشعر منه ، اشتهر بالغزل وتوفي سنة ٩٣ هـ غرقا . الاغاني ١ / ٦١ ، الشعر والشعراء ٢ / ٥٥٣ . شرح ديوان عمر بـن ابي ربيعة / ٨ .

(٤) نص الوراق النثري الوارد في مخطوطه سفينة ادبية مشوه .

والممعن النظر فى هذا النص النثرى ، يقف على بعض جوانب اسلوب الوراق فى نثره الفنى ، فمن ذلك السجع فى العبارات ، وميلها الى التوازن ، مع ميل جمله عموما الى الطول النسبى ، وجل جمله فعليه ، فضلا عن تخلل النثر استشهاد بابيات شعرية ، وتظهر روح العصر جلية باستخدام الفنون البديعية ، والغالب على هذه القطعة فن الجناس الناقص ، كالذى نلاحظه مثلا بين فاكهته ومفاكهته وهديته وهدايته ، وبنانه وبيانه .. الخ .

واذا كانت هذه المساجلات الشعرية تجرى مكاتبة ، فانها احيانا تأتى ارتجالا ، يقتضيها الموقف ، فمن ذلك أن شاعرنا كان يسرح ذقنه مرة ، فأنشده الجزار بيتين على سبيل المداعبة قائلا (١) :

لا تَعجبنَّ مِنْ لِباسى ... فكلُّ أُمرىءٍ لِبَسْ
واللّهِ ماثَمَّ مالٌ ... وإنّما ثَمَّ نَحْسُ

فاجابه شاعرنا على الفور قائلا :

صَدَقتَ ماثَمَّ مالٌ ... وإنّما ثم نَحْسُ
وثَمَّ أُخرىٰ وأُخرىٰ ... فيها وعِنْدَكَ خَمْسُ

ومن خلطاء الوراق المعروفين ، الشاعر نصير الدين الحمّامى (٢) ، الذى كانت تربطه بشاعرنا علاقة حميمة ، وصداقة قوية الاركان ، راسخة البنيان ، فكانا يتراسلان ويتبادلان الاشعار ، فمن ذلك ماكتبه الحمامى الى شاعرنا وهو مقيم فى الروضة

---

(١) خزانة الادب / ٣٠٣ .

(٢) هو نصير الدين على بن احمد المناوى المصرى ، ولد فى القاهرة ، وعاش فيها ، وكان يمتهن اكتراء الحمّامات ; ومن هنا جاء لقبه "الحمّامى" وكان اديبا كيسا ، وشاعرا مجيدا توفى سنة ٧٠٨ هـ ، وقيل ٧١٢ هـ ، وقيل ٧١٤ هـ . نصرة الثائر / ٣٠٢ ، كشف الاثام / ٥٨ ، انوار الربيع ٥ / ٢٢ ، الادب فى العصر المملوكى ٢ / ١٦٠ .

قائلا له (١) :

كَمْ قَدْ تَرَدَّدْتُ للبابِ الكريمِ لكي ... أَبُلَّ شوقي ، وَأُحيي مَيْتَ أَشعاري

وأنثني خائباً مما أؤملـــــه ... وأَنتَ في روضةٍ والقلبُ في نــــارِ

فاجابه شاعرنا قائلا :

الآنَ نَزَّهتني في رَوْضَةٍ عَبِقَتْ ... أَنفاسُها بين أَزهارٍ وأثمــــارِ

أَسكرتني بشذاها فانثنيتُ بها ... وكُلُّ بيتٍ أراهُ بيتَ خَمّـــــارِ

فلا تغالط فحن فينا السراج ومن ... أولى بان قال : ان القلب في نار

وكانت الالغاز شائعة بين الشعراء في ذلك العصر ، وهي نوع من التسليـــة ، فضلا عن كونها تحرك الاذهان ، فلنتأمل مايدور بين شاعرنا وصاحبه الحمامي مـــن ألغاز شعرية على شكل مساجلات ، من ذلك مثلا مابعث به الحمامي الى شاعرنـــا قائلا له : (٢)

تَعْرِفُ اسماً ظاهــــــراً ... طوراً وطوراً يُحجَـــــبُ

مثلُ السَّحابِ إِنَّمـــــا ... بارقُ هذا خُلَّــــــبُ

وهو اذا قَلَبْتَـــــــهُ ... فإِنَّهُ لا يُقْلَبُـــــــبُ

ويبدو ان اللغز في كلمة " قلب " .

فيجيبه شاعرنا على نفس الوزن والقافية قائلا :

أَرحتني مِنْكَ بلغــــــ ... ـــز لَيْسَ فيه تَعَــــبُ

قلبتهُ لا كالـــــــذي ... قُلْتَ وقلبي قلــــــبُ

وإِنْ يَكُنْ ذا كَــــذِبٌ ... فأَنْتَ مِنْهُ أَكــــذَبُ

ان طابع الفكاهة والدعابة يغمر الابيات ، فضلا عن بساطة تعبيرها . وكتـــب ايضا الحمامي لشاعرنا لغزا في نخلة قائلا له : (٣)

---

(١) مطالع البدور ١/ ١٩ ، خزانة الادب/ ٣٠٢ ، كشف اللثام/ ١٨ ، وفـــي المصدر الاخير ينسب البيتين الاولين للوراق والجواب للجزار .
مجلة • العربي العدد ١٤٩ / ٧٠ .

(٢) الغيث المسجم ٢ / ٤٥٤ .

(٣) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " / ٧ .

ياسيّدي ياعمـــــرُ	ياخيرَ من يدّ خـــــرُ
وياسراجَ الدّين ، بــل	ياشمسُ بل ياقمـــرُ
ما أسمُ سَمـا فالنّجــ ...	ــمُ منَ تحتِه يزد هـــرُ
مرتفعٌ ، منتصـــبٌ	مؤنثٌ ، مذكّـــرُ
وجاء فى إكرامـــه	عن النّبيّ الخبــرُ

فاجابه شاعرنا بابيات ظريفة ملغزا فى الجواب ،ذاكرا الاوصاف قائلا :

قُل لنصير الدّيــن لا	ذَلَّ بهِ منتصـــرُ
ألغزتَ أُنثى مالهـــا	فيما تقولُ ذكَـــرُ
يقولُ مَنْ شاهَدَهـــا	بالله ماذا الخبَـــرُ
أُنثى بلا فرخٍ لهـــا	وحطها مُشتَهـــرُ
مثل العروس نخلـــةٌ	وطلعها منتظـــرُ
يبدو عليها أخضـــرٌ	واحمرُ واصفـــرُ
وطينُها الكافور فى الـ ...	أحيانِ ليس يُكفَـــرُ

وربما تحولت الاحاجى الى ألغاز لغوية بين الشاعرين فمن ذلك مثلا ابيـات بعث بها الحطاى الى شاعرنا ملغزا فى كلمة (قال) التى بمعنى " قَمَـــلَ " قائلا له : (١)

رُبَّ راوٍ عن النّبيّ حَديثاً	مُسنداً شافعاً كلاماً فصيحـا
قال : قالَ النّبيّ قولاً صحيحا	قلتُ: قال النبيّ قولاً صَحيحا
وفَهِمْتُ الّذي أشارَ اليـــهِ	وسَمِعْتُ الّذي رواهُ صريحـا

---

(١) الاقتصار على جواهر السلك " مخطوط " الورقة / ٤٦ ، المنتقى من كتاب المجاراة " مخطوط / ٨ .

قال لي : يا أديبُ أنتَ فقيهٌ ... قلتُ : لا ، قال : حزتَ ذهناً مليحا

فاجابه شاعرنا قائلا :

رُبَّ فصلٍ جعلته انتَ قولاً ... ليسَ فيه يحتاجُ منكَ وضوحـــا

فابن منهُ مضارعاً يظهرُ الخا ... في وبيد والذي كتبتَ صريحـــا

وتراهُ بيدٍ ولعينيكَ مُمْتَلاً ... وقدْ قلتَ فيه قولاً صحيحـــا

ومن اصدقاء الوراق ونداماه وغلطائه الشاعر ناصر الدين بن النقيب ، فقـــد كانت بينه وبين شاعرنا مراسلات شعرية ، فيها العتاب والشكوى ، فمن ذلـــك مابعث به ابن النقيب الى شاعرنا يعاتبه على قطعه الوصل قائلا له : (١)

ياساكنَ الروضةِ أنتَ المشتهى ... من هذه الدنيا وأنتَ المقتضـــى

وياسرورَ النفسِ بين الشعـــرا ... أنتَ الرضيُّ فيهم والمرتضـــى

وياسراجاً لم تزلْ أنـــوارهُ ... تعيدُ مسودَّ الليالي أبيضـــا

مالي أراكَ قاطعاً لواصـــلٍ ... ومعرضاً عن مقبلٍ ما أعرضـــا

فاجابه شاعرنا ردا على عتابه قائلا له :

ياسهمَ عتبٍ جاءَ من كنانـــةٍ ... أصبتَ من سوادِ قلبي الغرضـــا

لكن أسوقُ ماجرحتهُ بمـــا ... اعتبتهُ من العتابِ بالرضـــا

يا ابن النقيبِ لا أرى منقبــةً ... إلا وأولتكَ الثناءَ الأبيضـــا

إنَّ ولائي حسنٌ في حسَـــنٍ ... إذ ما أرى لعمرِ أن يرفضـــا

ومن كتابات ابن النقيب فى نفس الموضوع ، قوله لشاعرنا معتذرا عن الجفـــوة قائلا له : (٢)

لم يبقَ في عمرينا للفراقِ سعةٌ ... ومنهما نحنُ الى مفرقٍ منقطعه (٣)

---

(١) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " ١٢/ ، فوات الوفيـــات/ ٣٢٤/١ ، ٣٢٨ ، الادب فى العصر المملوكى ١٦٢/٢ .

(٢) المنتقى فى كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " ١٢/ .

(٣) البيت فيه خلل عروضى ، هكذا ورد ولم اهتد لاصلاحه .

وكم يُكدِّر هذا الدَّهرُ صا فينا   وكم يُجرِّع من كاساته جُرعَه

ويبدو انه كتبها وهو على شفا جرف ، قد وخطه المشيب ، فأجابه شاعرنا قائلا :

لو انَّ نفسي ببعض الرِّزق مُقتنِعه   لعشتُ في راحةٍ لا تنقضي ودَعَهْ
مالي وفرقةِ أحبابٍ ألفتُهُمُ   مع الشَّباب الذي ولّى السرورُ معَهْ
اسْتَرجَعَ الدَّهرُ من عيني ودائعَهُ   إنَّ الودائعَ في العادات مُرتَجعَهْ

وابن النقيب يكن للوراق حبا جما ، فنجده يكتب له بضعة ابيات يبين فيها مشاعره نحوه فيخاطبه قائلا : (١)

لو فوّضلي من اصطبلي لقلتُ لمن   يجري وراه تمهل ايها الجاري
ففي زُقاقِ سراج الدين موقفُهُ   او ذلك الخط ، أو في حومة الدّار
وطيلسانُ ابنُ حربٍ في تَرَدُّدِه   من طول لعبٍ وتردادٍ وتكرار (٢)

فأجابه شاعرنا مرحبا ، وقد ادرك ايماءات صاحبه ، فقال له :

أُفدي خُطاكَ ولو كانتْ على بَصَري   لكانَ إنْ ذاكَ تشريفٌ لمقداري
وإنَّ دارك ـ صانَ اللهُ ـ ساكنَها   أعزُّ عندي من أهلي ومن داري
وطيلسانُ ابنُ حربٍ في تَرَدُّدِهِ   قلباً اليكَ من الأشواقِ في نار

---

(١)   المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " / ١١ ، الادب في العصر المملوكي ٢ / ١٦٢ .

(٢)   في هذا البيت اشارة الى ابيات ذكرها الحَمْدَوي في طيلسان ابن حرب فقد كان احمد بن حرب المهلبي من المنعمين عليه ، والمحسنين اليه ، وللحمدوي فيه مدائح كثيرة ، فوهب له طيلسانا اخضر لم يرضَهُ ، قال ابو العباس المُبرّد : فانشدنا فيه عشر مقطعات ، فاستحلينا فيها مذهبه ، فجعلها فوق الخمسين ، فطارت كل مطار ، وسارت كل مسار منها :

يا ابنَ حَرْبٍ كسوتني طَيْلَسانا   مَلَّ من صُحبةِ الزَّمان وصَدّا
طالَ تردادُهُ الى الرَّفْو حتى   لو بعثناهُ وَحْدَهُ لتهدّى

وكذلك قوله :

وقال ابن النقيب يدعو شاعرنا عنده : (١)

إِنْ تفضلتَ وما زا ... لَ لكَ الفضلُ علينا

فاترُك الدُّنيا وما ... فيها لنا وأتِ إلينا

فأجابه شاعرنا قائلا :

نِسْبَةُ الفَضْلِ إليكُم ... مُذْ نشأتُم لا إلينا

ولنا حُكمُ ولاءٍ ... وهو مَفروضٌ علَينا

ومن اصحاب الوراق الذين مر ذكرهم ، الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين ابن حنا الوزير ، فان شاعرنا كان من خاصته ، لما بينهما من صلة أسرية ، لذا كانت الصلات بينهما قوية ، فكانت بينهما مراسلات شعرية طريفة ومن ذلك مثلا مابعث به الصاحب ابن حنا الى شاعرنا جحطه ابيات يمازحه فيها بمناسبة سقوط حمار شاعرنا فى بشرفطات ، فيقول له : (٢)

يَفْديكَ جَحْشُكَ إِذْ مضى مُتَردياً ... وبتالدٍ يفدى الأديبُ وطارف (٣)

عَدِمَ الشَّعيرَ فلم يَجدْهُ ولا رأى ... تبناً وراحَ من الظّما كالتالِفِ

ورأى البُوَيْرَةَ غيرَ خافٍ ماؤُها ... فَرَمى حُشاشَةَ نفسِهِ لمخاوِفِ

فهو الشَّهيدُ لكم بوافر فضلكم ... هذي المكارمُ لا حَماقةُ خاطِفِ

قومٌ يموتُ حمارهم عطشاً لقد ... ازروا بحاتم فى الزمان السالفِ

= وَهَبْتَ لنا ابنَ حَرْبٍ طَيْلَساناً ... يزيدُ المرءَ ذا الضَّعَةِ اتِّضاعا

زهر الاداب ١/٥٥٣ ، التاريخ الادبى للمصريين الاموى والعباسى الاول ٧٨/٢ ، شعراء بصريون من القرن الثالث الهجرى ١٢١/ .

الحمدوى : ابوعلى اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه ، بصرى من شعراء القرن الثالث الهجرى ، نسبه الى جده حمدويه صاحب الزنادقة ، يرجع وفاته بين سنوات ٢٦٠ هـ - ٢٧٠ هـ ، شعراء بصريون من القرن الثالث الهجرى ١١٣/ .

(١) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " ١٨/ .

(٢) فوات الوفيات ٢٥٧/٣ ، الوافى بالوفيات ٢١٩/١ ، وفيه زيادة البيتين الاخيرين من ابيات الوراق على ما فى المصدر الاول . عصر سلاطين المماليك ٤٤٦/٨ ، الادب فى العصر المملوكى ١١٩/٢ .

(٣) التالد : هو المال القديم الاصلى وهو ضد الطارف .

وهي أبيات طريفة ، فيها روح الهزل والدعابة واضحة ، وعلى هذا النمط يجيبه شاعرنا بابيات لا تقل عنها هزلا ، فيقول على نفس الوزن والقافية تاركا للمتامل طرافتها :

أَدْنَتْ ثِمارَ قطوفها للقاطف ... وَثَنَتْ بأنفاسِ النّسيم مَعاطفي (١)

ومنها :

ولكم بكيتُ عليه عِنْدَ مرابع ... ومَراتعٍ وُشّتْ بدمعي الذّارفِ (٢)

يمشي علىٰ عُسري ويُسري صابراً ... بمعازفٍ تُلهيه دون معالفِ

وقد استَمرّ علىٰ القناعة يقتدي ... بي وهو في ذا الوقْتِ جُلّ وظائفي

ودَعاهُ للبئر الصّدىٰ فأجابَهُ ... واعتاقَهُ صَرْفُ الحِمام الآزفِ

وهو المُدلّلُ أُلفةً طالت وما ... أنسىٰ حقوق مراتعي ومآلفي (٣)

دورانُ ساقية ، لطاحون ، لنقـ ... ـل الماءِ في شاتٍ ، ويوم صائفِ (٤)

لكن بماءِ البئر راح بنقلِه ... قَتلتْهُ شاماتٌ بموتٍ جارفِ (٥)

وكما كانت لشاعرنا صلة بابن حنا ، كانت له صلة ايضا بابنه القاضي علاء الدين ابن تاج الدين ، اذ كانت بينهما كتابات شعرية ومراسلات ومطارحات فمن ذلك ماكتبه شاعرنا اليه يلغز في " سراب " فيقول له : (٦)

أيُّ شيءٍ يحتاجُ ناظره الكحل ... علىٰ انّهُ معافىً صحيحُ

راب فيه شيءٌ غداةَ أبانوا ... عنه رأساً ولم يكُن فيه روحُ .

---

(١) المعاطف : الجوانب .

(٢) المرابع : المنازل والديار .

(٣) المراتع : اماكن الاكل واللهو واللعب .

(٤) يوم شات : يوم من ايام الشتاء ، وصائف : يوم من ايام الصيف .

(٥) الشامات : من الشؤم والحسد وهو ضد اليُمن .

(٦) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " / ١٣ .

وهو فى الارض منذ آدم لكــن ... فقدوه لما دعا الله نـــوح

وله اسم لم تخل منه صـــلاة ... فى جلوس هل بعد هذا وضـوح

لانبات كلا ولا حيوان ~~كـلا~~ ... كاد لغزي بالسر فيه يبــوح

وشاعرنا يشير الى كلمة "آل" التى بمعنى "سراب" وهى التى تذكر فى التحيات اثناء الجلوس فى الصلاة عند ما نقول : "اللهم صل على محمد وعلى آل محمـــد"(١)

فأجابه القاضى علاء الدين المذكور :

قد حللت الذي نظمت بفكري ... عند ما جئت وانثنت لى روح

والذي قد كتمته غير خــاف ... وهو لغز أتى وفيه وضـوح

شطره قد أتى بقلبي مقيما (٢) ... وبه ما حييت لست أبــوح

ومما كتبه ايضا شاعرنا ، لغزا فى "سلم" يقول له فيه ، مخاطبا اياه باسمـه قائلا : (٣)

أحاجي العلاء ومن كالعــلاء ... إذا أعوص المشكل المبهـم

بمنتصب رافع غيــره ... وخافضه وهو قد يجـزم

يزيد على طابه وهـــولا ... يشيب لعمري ولا يهــرم

ولو زاد فيه بحيم غــــدا ... سلما حبذا المسلـــم

تقبل طوراً ولا وجنـــة ... يروق القبول ولا مبســم

فأجابه به القاضى علاء الدين قائلا :

بعثت بلغز غدا مشكـــلا ... يدق على فهم من يفهـــم

قريب بعيد له منـــة ... تدل على أنه محكــــم

---

(١) لسان العرب مادة أول ٣٦/١١ .

(٢) يشير الى ان شطر السراب هو "السر" وهو المقيم بقلبه .

(٣) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة "مخطوط" / ١٣ .

ترى الاسمَ يُعربُ حالَ البنـا ... ءِ برفعٍ ونصبٍ وقد يجزمُ
وما الجزمُ للاسمِ من عـادةٍ ولكن كتبتُ لمن يعلمُ
وفي الذكرِ جاءَ سُحوقٌ لنـا فكيف نرى أنه يكتمُ (١)
مررتُ بمطالعاً نـازلاً فقلتُ إذاً أنه سلّمُ

وجمل الصاحب زين الدين الدمع حديثا جرى بينه وبين شاعرنا حين هبت عليها نسيمات الصبا ، فقال الصاحب : (٢)

أهدى له البرقُ من أحبابه خبرا فبات ناظره يستعذبُ السهرا
وحدثته نسيمات الصبا سحراً فلا تسل عن حديث الدمع كيف جرى

ثم امر شاعرنا بالزيادة عليهما ، فارتجل الوراق أبياتا والتي وصلتنا منها :

جاءت مخبرةً عنهم معطـرةً منهم وطيبُ شذاها أوضح الخبرا
هيهات أن يجمع المشتاقُ منذ نأوا جنباً لمهد ولا جفناً لطيب كرى
يا منزلاً بالحمى حُيّيتَ من وطنٍ كم بلغتني أيامي به وطـرا (٣)
فجادك الغيثُ إني يوم بينهم أفنيت دمعي وقد أوصى به المطرا

ومن رفاق الوراق من الكتاب والشعراء ، الاديب المعروف نور الدين بن سعيد المغربي ، اذ كانت الشلة الادبية تنعقد في دار ابن النقيب بصحبة الجوار وشاعرنا وابن سعيد في امسيات شعرية في جلسات هادئة تحت الليل على النيل بدار ابن النقيب ، فيتدفق ابن سعيد بآدابه مما يؤدي الى انتشاء شاعرنا فيصفه قائلا : (٤)

---

(١) يشير الشاعر الى قوله تعالى " وإن كان كبر عليك اعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض او سلماً في السماء فتأتيهم بآية " الانعام / ٣٥ .
(٢) المرج النضر والارج العطر " مخطوط " الورقة / ٦٠ ، تشنيف السمع / ٨٩ ، عصر سلاطين المماليك ٨ / ٣٤٧ .
(٣) الوطر : الحاجة .
(٤) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " / ١٤ .
~~(٥) ... / ١٢ .~~

جرى ابنُ سعيدٍ بآدابــهِ　　　وفاضَ علينا كطامي العُبــاب
وليلتنا مقمرٌ شطرهــا　　　وشطرٌ دجىً كجناحِ الغُراب
كأنّا نزعنا رداءَ المشيــب　　　ورُحنا نجرُّ رداءَ الشَّبــاب

وما كتبه ابن سعيد المذكور الى شاعرنا بيتان يداعبه فيهما قائلا : (١)

أتوىُ ظرف حبٍّ في المحبّةِ مسطور　　　فللّه منظومٌ هُناك ومنشــور
أهيمُ بمعناكم ومعنىً إخائكــم　　　وأيُّ سراجٍ لا يهيمُ به النُّــور

ومن تلك الزمرة الأدبية ، الشاعر مكين الدين محمد بن عبد الله الحريرى (٢) الذى أهدى لشاعرنا " فاكهة ، وماء ورد " وكتب اليه بيتين تفوح منها رائحة الاريحية والظرف فيقول له : (٣)

بعثتُ اليكَ شيئاً مثل قــدري　　　لانّي لم أجِدْ شيئاً كقَــدرِك
فقيمته كقيمتي احتقــاراً　　　وطيبُ نسيمه الذّاكي كنشـرِك

فيجيبه شاعرنا بنفس الروح ، وعلى نفس الوزن والقافية قائلا له :

مكينَ الدّين قدْ شرّفتَ قدري　　　فذكرُك في نظامك لي ونشْــرك
وقد أرسلتَ لي ماطابَ عَرْفاً　　　ولكن لا يكونُ كعرفِ شِعــرك (٤)

وما كتبه الحريرى لشاعرنا مازحا : (٥)

بَعثتُ إليكَ بزهْرِ الرّيــاض　　　وقلّ لمثلِكَ زهرُ الــدراري (٦)
فجاءت كمثلك في طيْبهــا　　　ومثلي في قلةٍ واحتقــار

~~(١) المنتقى من كتاب المجاراة مخطوط (٣٦)~~

(٢) لم أعثر له على ترجمة بهذا الاسم ، بل وجدت شاعرا يحمل نفس اللقب مع اختلاف الاسم ، وهو معاصر لشاعرنا واسمه على الحريرى ، اشتهر بنظم الموحات وتظاهر بالتصوف ، ثم تبين للملك الصالح انه زنديق ، فقبض عليه وسجنه الوان مات سنة ٦٤٥ هـ . النجوم الزاهرة ٣٥٩/٦ ، الاعلام ٩٠/٥ .

(٣) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " / ١٥ - ١٦ .

(٤) العرف : الرائحة طيبة كانت او منتنة .

(٥) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " ١٥ - ١٦ .

(٦) الدرارى : شجر معروف يخرج منه اقطاع مختلفة كالرمانات ، ولعله يقصد النجوم والكواكب .

فاجابه شاعرنا قائلا فى الجواب :

أتتني أزاهرك الشاكـــرات   لجود يمينك صوب القطـــار
وشعر سكرتُ به انه قرنـــ . . .   ـتَ نَشْرَ الرياحين بنشر العُقار(١)

وكان للجلسات الادبية فضل فى تسابق القرائح ، وتصاول العقول ، فممــا يذكر مثلا أن الجوار قال : لما قدم كمال الدين عمر بن العديم (٢) الى الديـار المصرية ، انتخبت شيئا من اشعار اجداده ، ومضيت به اليه ، فصادفت الامير ناصر الدين الحسن بن شاور الكنانى (يقصد ابن النقيب) فأخذنى وأدخلنى داره ، فوجدت عنده السراج الوراق ، فتذاكرنا ماكتب من ذلك .

ثم عمد الجالسون الى امتداح ابن العديم واسرته ، مبينين انهم آل علــم وفضل ، ومكانة وشرف ونبل .

ومن أمثال هذه الجلسة الفنية ، تلوح لنا جلسة فنية اخرى ، يجتمع فيهــا شاعرنا بصاحبيه الجزار وابن النقيب ، فيمر بهم غلام مليح ، فينظر اليه شاعرنــا ويلتفت الى صاحبيه قائلا : (٣)

شمائلهُ تدلُّ علـى اللطافه   وريقَتُهُ تنوبُ عن السُّلافة (٤)

فيجيبه الجزار فى هدوء :

وفى وجناتهِ وردٌ ولكـــن   عقاربُ صدغه منعت قطافــه

---

(١) القطار : قطار الابل ، العُقار : الخمر .

(٢) هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن ابى جرادة العقيلى المعروف بابـــن العديم ، كان مؤرخا وكاتبا وفقيها يترسل عن الملوك ، ولد بحلب ورحل الى مصر ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ وقيل سنة ٦٦٦ هـ ، وله مؤلفـات كثيرة منها " بغية الطلب فى تاريخ حلب " وهو كبير جدا . فوات الوفيات ١٢٦/٣ ، النجوم الزاهرة ٢٠٨/٧ .

(٣) نفحات الازهار على نسمات الاسحار/ ٤٧٦ ، بهجة الناظر " مخطوط " لوحة / ٣٢٣ ، نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن / ٧٤ ، حلبة الكميت / ٧٨ .

(٤) الدوحة : الشجرة الكبيرة ، الأفنان : الاغصان ، السُّلافة : الخمر .

فينتشى ابن النقيب من جماله فيقول :

فلو وَلِيَ الإمارةَ ذو جَمـالٍ   لَحقّ له بأنْ يُعطى الخلافـة

وقد لاحظنا أن جل الساجلات الشعرية التى قامت ، سارت على وزن واحد ، وقافية واحدة ، وتخللتها نفس روح الموضوع المطروق .

ومن فرسان حلبة الوراق الشاعر المعروف "بابن النبيه "(١) والذى لشاعرنا معه مراسلات شعرية ، اذ كان كثير الزيارة له ، حتى اذا مرض نجد شاعرنا يعوده فيقول ذلك فى شعره مخاطبا احد اصدقائه قائلا : (٢)

ياسيّداً كم قلّدتْ كفّـهُ   أعناقنا من مِنَنٍ واصطنـاع

سألتُكَ اللّهَ تعصّبْ بهـا   فقد أُصبحتَ واللّه بنافي صداع *

عدتُ أخانا ابن النبيه الذى   أكثر في ذالكِ اليّ الرقـاع

وهناك اشارة اخرى اوردها الصفدى فى كتابه المخطوط "المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة" تدل على صلة شاعرنا بابن النبيه المذكور يقول فيها : (٣)

"قال الوراق يعلم ناصر الدين بن النقيب أن كمال الدين بن النبيه طلب أن يقف على مجموعة فيمن كتب اليه " .

وهناك قصيدة ماجنة يذكرها " محمد بن اسماعيل شهاب الدين " فى كتابه "سفينة الملك " يقول فيها : (٤) قال الفخر بن مكانس(٥) يدعو السراج الوراق

---

(١) هو عبد المنعم بن على بن النبيه الأسفونى ، شاعر ماجن ، وكان فاضلا وله ديوان شعر ، توفى بمصر فى حدود سنة ٦٧٠ هـ الطالع السعيد/ ٣٤٦ وهو غير ابن النبيه المصرى الشاعر المنشئ الذى تولى ديوان الانشاء للملك الايوبى ، والمتوفى سنة ٦١٩ . وفيات الاعيان ٥/ ٣٣٦ ، فوات الوفيات ٣/ ٦٦ .

(٢) المنشات الصفدية " مخطوط " لوحة/ ١١ .

(٣) المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة " مخطوط " / ١٧ .

(٤) سفينة الملك ونفيسة الفلك/ ٤٥٥ .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الرزاق المعروف بفخر الدين بن مكانس ، وزير ، شاعر مصرى ، ولد بالقاهرة وتوفى مسموما سنة ٧٩٤ هـ . الدرر الكامنة ٢/ ٤٣٨ ، ريحانة الاليا ٢/ ٤١ .

* . عجز البيت مختل عرضي

وبهامشه ثم يذكر قصيدة الفخر التي تقع في (٢٣) بيتا . لكن الواقع ان هـــذا
وهم من الكاتب لان الفخر بن مكانس من شعراء القرن الثامن ، ولم يدرك الـــوراق
ولا حتى عصره .

• • •

الفصل الثانـــى

" تأثره وتأثيـــــره "

لابد لكل أديب من الالمام بتراث من سبقه من الادباء ، في سائر عصوره ومواطنه وهذه سنة متبعة ، تختلف باختلاف الادباء بين السعة والشمول ، والضيـــق عند البعض . وتظهر هذه الاثار شاخصة تارة ، ومختفية تارة أخرى ، وظهـــور هذا التراث لدى الشاعر دليل على سعة افق الشعر ، وغوصه على درر الادب ، مما يؤدى الى هجوع ماجمعته ذات الاديب في (لاوعية) فتظهر بيـــــن الفينة والفينة في فنه بشكل لاشعورى في كثير من الاحيان ، في حالة مايسميـــه علماء النفس بتداعي المعاني في أدبه .

وقد تناول نقادنا القدامى هذه الظاهرة بالدرس والتمحيص ، وعقـــدوا فصولا في كتبهم تحت اسم " السرقات الشعرية " فلجأوا الى الموازنة بيـــــن أديب وأديب ، وكان من أهم مايعنون به في هذا المجال ، الاهتداء الى نواحي الاتباع او الابتداع ، وايهما اخذ معناه من الآخر ، وهلم جرا .

ولنأخذ على سبيل المثال " ابن رشيق القيرواني ت ٤٥٦ هـ " فهو يعقـــد بابا في كتابه " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " عن السرقات الشعرية يقول عنه [1] : " وهذا الباب متسع جدا ، لا يقدر احد من الشعراء ان يدعـــى السلامة منه ، وفيه أشياء غامضة ، الا عن البصير الحاذق بالصناعة ، واخر فاضحة لاتخفى على الجاهل المغفل ، وقد اتى الحاتمي في حلية المحاضرة بالقـــاب

---

(١) العمدة ٢ / ٢٨٠ .

محدثة ، تدبرتها ، ليس لها محصول اذا حققت ، كالاصطراف ، والاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ، والاغارة ، والمرافدة ، والاستلحاف ، وكلها قريب من قريب . وقد استعمل بعضها في مكان بعض ." ثم يتسلسل ابن رشيق في استعراض الاراء في قضية السرقة الشعرية ، وغالب هذه الافكار قريب بعضه من بعض .

ثم يخلص الى رأى يميل اليه فيقول (١) : "قال بعض الحذاق من المتأخرين من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقا ، فان غير بعض اللفظ كان سالخا ، فان غير بعض المعنى ليخفيه ، أو قلبه عن وجهه ، كان ذلك دليل حذقه ."

ثم يتكلم عن المعنى عند المتبع فيقول (٢) : " غير ان المتبع اذا تناول معنى فأجاده بان يختصره ان كان طويلا ، او يبسطه ان كان كزا ، او يبينه ان كان غامضا ، او يختار له حسن الكلام ان كان سفساقا ، أو رشيق الوزن ان كان جافيا ، فهو أولى به من مبتدعه ، وكذلك ان قلبه او صرفه عن وجهه الى وجه آخر ، فأما ان ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها ، فان قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه ، وسقوط همته ، وضعف قدرته ."

بينما نجد موضوع السرقات الشعرية يأخذ اسما أخف عند ابى هلال العسكرى الذى عقد فصلا فى حسن الاخذ ، ذهب فيه الى أنه ليس لاحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظا من عندهم ، ويبرزوها فى معارض

(١) العمدة ٢ / ٢٨١ .
(٢) المصدر نفسه ٢ / ٢٩٠ .

تأليفهم ، ويوردها في غير حليتها الاولى ، ويزيدوها في حسن تأليفها ، وجودة تركيبها ، وكمال حليتها ومعرضها ، فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها ممن سبق اليها ، ولولا ان القائل يؤدى ما سمع لما كان في طاقته أن يقول: انما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين (١).

اذن فقد كان هناك تسامح في الاخذ والاحتذاء ، وكان اعتراف من بعض الآخذين بالأخذ ، ومنشأ هذا وذاك ، طوال ما عانى الاديب من قراءة واطلاع وما علق بذهنه من آثار قراءاته واطلاعاته الواسعة .

ويبدو أثر تغلب - فكرة الاطلاع - عليهم في تلك العبارة : (٢) " اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز ، وتركه كل معنى سبق جهل " ، والمختار له اوسط الحالات " فالشاعر الجاهل لا مكان له بين الشعراء العارفين المثقفين .

من هنا ندرك أن تأثر الشاعر بمن سبقه أمر بدهي لا فكاك عنه ، فقد يكون تأثره بشاعر ما هو نتيجة اعجابه بمقدرته الفنية ، وقد يكون اعجابه به لميل نفسى الى ناحية من نواحيه ، فيحتذوا على أثره عابدا مستلهما ، فلا ضير فيها .

والواقع أنى لا أميل الى ما يسميه نقادنا القدامى " بالسرقة " لما تحويه هذه الكلمة من دلالة ، ذات وقع ثقيل ، فان الشاعر اذا ما أنكب على آثار

---

(١) كتاب الصناعتين / ٢٠٢ ، السرقات الادبية / ٣٦ .
(٢) العمدة ٢ / ٢٨١ .

غيره من الشعراء ، فان افكارهم لاتخرج في عطه الفني كماهي بل ،تدخل كون الشاعر ، وتمتزج بنفسيته وبتجربته الشعورية فتخرج بشكل آخر ، غير ماكانت عليه ، وان بدت بعض معالم من سبقه سواء عن عمد او عن غير عمد فلا باس بها ، وهو تأثر لا يغض من قيمته المتأثر ،فالانسان بطبيعته يتأثر بكل شيء حوله ، فيقبل ما اتفق وتكوينه الفكري والنفسي .

هذا فضلا عن كون الكثير من العبارات والتراكيب والمأثورات اللغوية من الموروث التراثي للغة ، يتناقله الشعراء جيلا عن جيل .

وعلى ضوء هذا يمكنني القول ان شاعرنا الوراق كان واسع الاطلاع غزير المادة الادبية ، وانها كثيرة الظهور في شعره ، وكان يتعمدها أحيانا ليدل على سعة أفقه ، وغزارة ثقافته ومعرفته التامة بتراث من سبقه .

وعلى ضوء ماتقدم سادرس اثر الشعراء السابقين في شاعرنا وأثره فيمن جاء بعده .

الوراق من شعراء المجون في القرن السابع الهجري ، فقد عرف بذلك واشتهر في عصره ، وامتدت شهرته الى مابعد عصره (١) ، حتى اننا نجد شاعرا من شعراء القرن الثامن وهو قطينه الاسفوني (٢) يشبه به في المجون .

وكان شاعرنا ينادم جملة من الشعراء عرفوا بالمجون في عصره ،أمثال ابن دانيال الكحال ،والجزار ، وغيرهما ممن طالعونا في فصل المساجلات

---

(١) الطالع السعيد / ٢٢٦ .

(٢) هو الحسين بن محمد بن هبة الله الاسفوني المعروف بقطينة ،شاعر ماجن خفيف الروح ، له حكايات وطرائف مشهورة ،خرج من مصر ولم يعرف له خبر ، وعلى الارجح انه توفي في القرن الثامن الهجري . الطالع السعيد / ٢٢٦ .

الادبية . وقد كان الناس فى عصر شاعرنا يستطحون المجون والاحماض ، ويتفكهون بهما لما فيهما من نوادر ، كما تفكه الناس بها فى الاعصر الخالية ، ولربما يكون جنوح شاعرنا للمجون لاستخدامه وسيلة من وسائل الدعاية الرخيصة له ، لان امثال هذه الاشياء تتناقلها الالسنة بسرعة فائقة .

وقد أثر عن شاعرنا كثير من القصائد الماجنة ، فتتبعت ظاهرة المجون عنده فوجدت عروقها ممتدة الى مجموعة من شعراء العصر العباسى ، وعلى رأس هؤلاء الذين تأثر بهم الشاعر الماجن " ابوحكيمة راشد الكاتب "(١) الذى عرف بكثرة رثائه لمتاعه ، وهذا مانلاحظه عند شاعرنا كذلك ، وأعتذر عن ايراد نماذج من شعريهما للمقارنة لما فيهما من رفث ، ومن اراد التأكد من ذلك فعليه مراجعة شعر ابى حكيمة فى " يتيمة الدهر "(٢) ومقارنته بشعر الوراق فى المصادر المشار اليها فى الهامش(٣) .

---

(١) هو راشد بن اسحق ابومحمد الكاتب الانبارى ، يلقب ابا حكيمه ، شاعر اديب ، افنى عمره عامة شعرة فى مراثى متاعه ، توفى سنة ٢٤٠ هـ .
ثمار القلوب / ٢٢٦ ، فوات الوفيات ٢ / ١٥ ، الوسيلة الادبية ٢ / ١٧ .

(٢) يتيمة الدهر ٣ / ١٥ .

(٣) عزلا الادب " مخطوط " لوحة / ١٠ ، روض الادب " مخطوط " / ٢٠٨ ، الحواضر ونزهة الخواطر " المخطوط " الورقة / ٣٥٥ ، الغيث المسجم ١ / ٧٣ ، ٢ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ . معاهد التنصيص ٣ / ١٩٧ .

ومن شعراء المجون الذين تأثر بهم شاعرنا ، الشاعر العباسي المعروف بالمجون ابن حجاج (١) ، فقد ذكره الثعالبي قائلا (٢) : "بأنه من سحرة الشعراء ، وعجائب العصر ، وفرد الزمان في فنه الذي اشتهر به ، ولم يسبق الى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كاقتداره على مايريد من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلامة الالفاظ ، وعذوبة المعاني وانتظامها في سلك الملاحة ، وان كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بلغات المحدثين والمولدين واهل الشطارة ، لكنه على علاته يتفكه الفضلاء بثمار شعره ويستطيع الكبراء ببنات فكره ، ويستخف الادباء ارواح نظمه ، ويتحمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل الى مايضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والامراء والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم عن سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول على الجملة ، غالي مهر الكلام ، موفور الحظ من الاكرام ."

وقد سقت هذا النص لنتبين من خلاله مكانة هذا اللون من الشعر في الاعصر الخالية ، وأن امثال هؤلاء الشعراء كان همهم اضحاك الناس ، والتخفيف عنهم بهذا الهزل .

وقد تأثر شاعرنا بابن حَجّاج ، فقد اطلع على مابيد وعلى ديوانه ، واستوعبه استيعابا جيدا ، اذ كان ديوان ابن حجاج كثير التداول في

---

(١) هو الحسين بن احمد بن محمد بن جعفر بن حَجّاج ، ويعرف بابن حجّاج البغدادي شاعر مفلق ، قيل انه في درجة امرئ القيس ، اشتهر بالمجون والرفث والنوادر وعرف بخفة روحه ، توفي في بغداد سنة ٣٩١ هـ .
الكوكب الثاقب "مخطوط" لوحة / ٢٠٨ ، معجم الادباء ٩ / ٢٠٦ ،

(٢) يتيمة الدهر ٣ / ٣٠ ، معاهد التنصيص ٣ / ١٨٨ ، خريدة القصر ١ / ٢٧٥ ، حسن التوسل / ٢٩٨ .

عصر شاعرنا حتى ان ابن نباته المصرى ، وهو معاصر لشاعرنا الف كتابا طريفا سماه " تلطيف المزاج من شعر ابن حَجّاج "(١).

وقد أكد العباسى فى كتابه " معاهد التنصيص " ايضا أن شاعرنا تبع ابن حَجّاج فى مجونه. (٢)

وأمسك عن ايراد نماذج من شعريهما للمقارنة ، لما فيهما من خنا وفحش ولمن أراد ذلك أن ينظر الى الشعر الوارد فى المصادر المشار اليها فى الهامش(٣) . ومن نماذج ابن حجّاج النظيفة نسبيا قوله : (٤)

إِنْ عابَ تغلب شعرى ... أَو عابَ خِفَّةَ روحى

خَرِيتُ فى باب افعلـ ... ـت من كتاب الفصيح

وانظر لشاعرنا كيف يقول متأثرا به : (٥)

وقائلٍ لي لمّا أَنْ رأى قلقي ... لطولِ وعدٍ وآمالٍ تعنّينا

عواقبُ الصَّبرِ فيما قالَ أكثرهم ... محمودةٌ قلتُ أخشى أن تخرّينا

---

(١) خريدة القصر ١ / ٣٧٥ .

(٢) معاهدة التنصيص ٣ / ١٩٥ .

(٣) بهجة السرور " مخطوط " لوحة / ١٣٨ ، شفاء الغليل " مخطوط " / ١٣٧ . معاهد التنصيص ٣ / ١٩٥ ، كشف اللثام / ١٩ ، خزانة الادب / ٣٠٢ مطالع البدور ١ / ٩١ ، الغيث المسجم ٢ / ٢٣٩ ، فوات الوفيات ٣ / ١٤١ ، تاريخ الادب العربى ٣ / ٦٨٤ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥ / ٩٠ .

(٤) يتيمة الدهر ٣ / ٣١ .

(٥) الغيث المسجم ١ / ٢٦٥ ، ٢ / ٣٠٠ ، خزانة الادب / ٣٠٣ ، فوات الوفيات ٣ / ١٤٤ ، كشف اللثام / ١٩ ، معاهد التنصيص ٣ / ١٨٣ ، انوار الربيع ٢ / ٢٠٨ .

كما تأثر شاعرنا بابن سُكّرة الهاشمي (١) شاعر العصر العباسي الخليع ذي المجون ، وكان الناس في بغداد يستطلحون حسن نادرته ، وخفة روحه حتى انهم كانوا يقولون : " ان زماناً جاد بابن سكرة وابن حَجّاج ، لسخي جداً بالرجال ، ويشبهونهما بالفرزدق وجرير " (٢) .

فلننظر الى ما يقوله شاعرنا ، وقد نظر الى كافات ابن سُكّرة (٣) التي اصطك عن ايرادها لما فيها من فحش : (٤)

عندي قد يتكراءات ثمانية ... أنفي بها الهَمّ إن وافى وان وردا
راحٌ ، وريحٌ ، وريحانٌ ، وريقُ رَشا ... ورفرفٌ ورياغٌ ناعمٌ وردا

كما نلمس أثر ابن الرومي في شاعرنا ، فقد عرف ابن الرومي بتهافته على اللذات والمآكل والمشارب ، فجاء قسم كبير من شعره يصف فيه المآدب ، ويتغنى بالمأكولات ، فرسم لنا شكل الطعام ولونه ، واوحى بطعمه ورائحته ، فله اوصاف

---

(١) هو ابو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن سُكّرة الهاشمي البغدادي . من ولد علي بن المهدي الخليفة العباسي . وهو شاعر مشهور متسع الباع في انواع الابداع فائق الطلح في المجون والسخف . توفي ببغداد سنة ٣٨٥ هـ . وله ديوان شعر يربو على الخمسين الف بيت . الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة/ ٢٠٦ . تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٥ ، يتيمة الدهر ٣/٣ . وفيات الاعيان ٤/ ٤١٠ .

(٢) الكوكب الثاقب (مخطوط) لوحة/ ٢٠٦ .

(٣) انظر وفيات الاعيان ٤/ ٤١٢ .

(٤) حلبة الكميت / ٢٢٦ ، تحفة اهل الفكاهة / ٢٥ ، سفينة الملك/ ٤٤٣ ، وفيه البيت الاول كالاتي :

عندي قد يتُكَ سبعٌ لا نظير لها ... ألقى بها الحُزْنَ إنْ وافى وانْ وردا

للخبز ، والزلابية ، والسّمِطيّة ، والفاكهة ، والقطائف وغيرها . فمن ذلك مثلا في قوله يصف القطائف : (١)

قطائفُ قد حُشيت باللـوز — والسكّر الماذي حَشْوَ المَـوز (٢)
تَسْبحُ في آذيِّ دُهن الجَـوْزِ — سُرِرْتُ لمّا وَقَعَتْ في حَـوزي
سرور عبّاسٍ بقربِ فَـوْز (٣)

ثم تأمل وصف القطائف ورقتها في فم الماضغ عند شاعرنا الذى يقول : (٤)

قطائفك التي رقّت جسوما — لماضغها كما كشفت قلوبا
كنميمٍ رَقَّ لكن فيه قطـرٌ — غدا المرعى الجديبُ به خصيبا

وقول شاعرنا دون قول ابن الرومي ، فالصورة عند ابن الرومي اقوى بكثير مما هي عند شاعرنا ، اضافة الى دقة الوصف وايحائه ، فضلا عن الموسيقى البارزة .

• • •

---

(١) ابن الرومي / ٦٤ .
(٢) القطائف : حلويات شبيهة بالبقلاوة .
(٣) يقصد العبّاس بن الأحنف ت ١٩٢ هـ ، شاعر العصر العباسي المشهور وحبيبته فَوْز ، ديوان العباس بن الاحنف/ ٥ .
(٤) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٦٣ ، مطالع البدور ٢ / ٨٣ .

ولابن الرومى أوصاف للفاكهة وانواعها ، فهو يصف الموز والعنب ، فمن ذلك مثلا وصفه للموز قائلا فيه : (١)

للموز إحسانٌ بلا ذنوب　　ليس بمعدودٍ ولا محسُوبِ
يكادُ من موقعهِ المحبوبِ　　يدفَعُهُ البَلْعُ الى القُلوبِ

كما أن لشاعرنا اوصافا للفاكهة وأنواعها ، فمن ذلك قوله يصف شوقه ولهفه الى التفاح ، مخاطبا اياه قائلا : (٢)

فبادِرْ إلينا فَدَتكَ النفُوسُ　　فلم يخفَ عنكَ انتظار المشوقِ
فللباب آذان سوساننا　　وأعينُ نَرْجِسِنا للطريقِ

ولا يخفى على المتأمل أثر ابن الرومى فى هذا المجال .

ثم لنتأمل اثر ابن الرومى على شاعرنا من خلال هذين البيتين الاتيين لابن الرومى الذى يقول : (٣)

إذا عَزَّ رفدٌ لمسترفد　　أطال المديحُ له المادحُ
وقدْ طاَ إذا استمد المستقىُ　　أطال الرشاء له الماتِحُ (٤)

ثم انظر كيف أخذه شاعرنا منه فقال : (٥)

سامح بفضلك عبداً　　مُقَصِّراً فى الثناءِ
رأى قليباً قريبا　　فلم يطَلْ فى الرِّشاءِ

وسبك ابن الرومى اقوى ، وقوله أجمل .

---

(١) ابن الرومى / ٦٤ .
(٢) نصرة الثائر / ٣٠٠ .
(٣) معاهد التنصيص ١ / ١١٠ .
(٤) الرِّشاء : الحبل وجمعه أرشية .
(٥) معاهد التنصيص ١ / ١١٠ .

وللمتنبي أثر كبير على شاعرنا ، فهو على ما يبدو معجب به ايما اعجاب ، لـذا يعمد احيانا الى تضمين شعره ، فمن ذلك مثلا قوله : (١)

وأَصْيَدَ ظَلَّ يُدرِكُ يومَ صيـد ... طرائدَهُ بجُردٍ كالسَّعالـي

فانْ عَبِقَتْ لنا يُمناهُ مسكـاً ... فإنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزالِ

والبيت الثاني فيه تضمين لعجز بيت المتنبي الاتي : (٢)

فإِنْ تَفُقِ الأَنامَ وأَنتَ مِنْهُـم ... فإِنَّ المسكَ بَعْضُ دَمِ الغَـزالِ

ولم يكتف بالتضمين فحسب ، بل عمد الى بعض قصائده يعارضها ، ومن ذلـك مثلا قصيدة المتنبي المشهورة في وصف الحمى التي يقول فيها : (٣)

وزائرتي كأَنَّ بها حيـاءً ... فليسَ تزورُ إلاَّ في الظـلامِ

بذلتُ لها المطارِفَ والحَشايا ... فعافتها وباتَتْ في عظامـي

يضيقُ الجلدُ عن نفسي وعنها ... فتوسعه بأنواعِ السِّقـامِ

إذا ما فارقتني غسّلتنـي ... كأنّا عاكفان على حَـرامِ

كأَنَّ الصُّبحَ يطرُدُها فتجـري ... مدامِعُها بأَربعةٍ سِجـامِ

ولننظر الى أبيات شاعرنا ولنتأمل تأثره الكبير في المتنبي فهو يقول : (٤)

وزائرتي وليس بها احتشـام ... تزورُ ضحىً وتطرقُ في المنامِ

بها عهرٌ وليس لها عفـافٌ ... عن الشّيخِ الكبيرِ ولا الغُلامِ

إذا طَرَقَتْ أَعاذَ اللّهُ منهـا ... سلوتُ عن الكرائمِ والكِـرامِ

---

(١) معاهد التنصيص ٢ / ٥٤ .

(٢) ديوان المتنبي / ٢٦٨ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) نصرة الثائر / ٣٣٢ .

لها في ظاهري حَرٌّ وبردٌ ... بقلبي والفتورُ ففي العظام
تلهوجُ نارُها لحمي طعاماً ... وتشربُ من دمي صِرفَ المُدام
واصواتُ الغناء لها أنيني ... فما تنفكُّ من هذا المقام
تضاجعني على ضَعْفي وشَيبي ... وقَدْ أُعييتُ ربّات الخيام
إذا ما فارقتني غسّلتني ... لأني قد وَصَلْتُ الى حطامي

فزائرة المتنبى فتاة خجول عفة فى عشقها ،لا تزور الا بالليل خفرا ،على عكس فتاة الوراق ،فهى لا احتشام لها ، لانها عاهرة لا تخجل ،تزور ايا كان وفى اى وقت تشاء .

والمتنبى بذل لزائرته جوانبه واحشاءه ،فعافتها وباتت فى عظامه فضاق بها ذرعا من شدة وقوع حرارتها عليه فاتخذت عظامه مسكنا ، بينما زائرة الوراق التهمت لحمه متخذة من دمه مداما ، فتراوحت حرارتها بين البرودة والحرارة واخذ يئن من شدتها عليه ، فكان أنينه طربا لها .

وبأسلوب مهذب يبين المتنبى مفارقة هذه الفتاة الزائرة ،وهو يتصبب عرقا خجلا مما حصل فى الليل ،حتى اذا سل سيف الفجر من غمد الدجى هربت خفرا ودموعها هاطلة . بينما زائرة الوراق لا توقر شيخوخة وضعفه ،فلا تخجل من فعلها لانها عاهرة ، اقتحمت عليه وضاجعته دون حياء - فتأمل صورة المضاجعة ودلالتها - وهى لا تتركه الا وقد وصل الى حطامه من شدة وقعها عليه .

والواقع ان المتنبى عبر عن الزائرة باسلوب اقرب الى الحشمة على العكس من شاعرنا الذى صرح فى كل شئ ، وهذا يعود لفارق العصر . والقصيدتان جميلتان ، لكن لا يخفى قوة سبك ونسج ابيات المتنبى من ابيات شاعرنا والذى كان أرحب خيالا .

واذا جئنا الى أبي تمام وجدنا بصماته في شعر شاعرنا فلنتأمل مثلا قول أبي تمام لغرض من خلاله لمساته : (١)

مِنَ الهيفِ لو أنَّ الخلاخِلَ صُيِّرت   لها وشحاً جالت عليها الخَلاخِلُ

ولنمعن النظر في قول شاعرنا : (٢)

هيفاء ناطقة الوشاحِ وقُلبُها   كسوارها مامَلَّ طول اصمات

وشاعرنا في سبكه دون أبي تمام .

وكان شاعرنا يعمد الى قصائد كاملة لابي تمام ، فيقول بتخميسها - وهذه ظاهرة كانت شائعة في عصره - فمن ذلك رثاء شاعرنا للحسين عليه السلام بقصيدتين وقد عمد الى قصيدتي ابي تمام الاتيتين وخمسهما ، والاولى التي لابي تمام ومطلعها :

أَصَمَّ بكَ الناعي وإن كانَ أسمعا   وأصبحَ مغنى الجودِ بعدَكَ بلقعا

والثانية ومطلعها :

أيُّ القلوب عليك ليس تنصدعُ   وأيُّ دمعٍ عليكم ليس يمتنعُ

هذا ماذكره الصفدي ، ولم يذكر القصيدتين ، فيبدو انهما في عداد المفقود من تراث الوراق الشعري (٣) .

كما نلمس بصمات وروح شاعر العصر العباسي المشهور ابي نؤاس(٤) على

---

(١) ديوان ابي تمام بشرح التبريزي ٣/ ١١٥ .

(٢) المنشات الصفدية " مخطوط " لوحة / ٢ .

(٣) تمام المتون في شرح الرسالة ابن زيدون / ٢٠٨ .

(٤) هو الحسن بن هانئ الشاعر العباسي المشهور ، ولد في الاهواز ، وقيل في البصرة وانتقلت به امه الى البصرة بعد وفاة ابيه وعمره سنتان ، وتوفي سنة ١٩٧ هـ ، مقدمة ديوان ابي نؤاس ، الشعر والشعراء ٢ / ٧٩٦ .

شاعرنا ، فمن ذلك ، ما يقوله ابونؤاس في تفضيل الغلام على المرأة : (١)

أَتجعلُ من تحيضُ بكلِّ شهرٍ ... وينتجُ جروُها في كلِّ عامِ
أكلمهُ بما أهوى جهاراً ... بلا عذلِ المؤذنِ والإمامِ

ثم لنلاحظ اثره في شاعرنا الذي يقول في نفس الموضوع : (٢)

أتجعلُ من تطمّثُ كلَّ شهرٍ ... وتنتجُ طفلةً في كلِّ عامِ (٣)
كأمردَ واضحِ الخدّين حلوٍ ... يزينُك في البحوثِ وفي المقامِ
تكلمهُ بما تهوى جهاراً ... بلا عذلٍ عليك ولا ملامِ

والقولان جميلان ، ولكل منهما ظروف عصره في الخشية والخوف ، وان كان عصر الوراق اكثر تسيبا ، لذا نراه اكثر تصريحا وجرأة .

ولننظر الى قول ابي نؤاس الاتي أيضا : (٤)

تذرُ المطيَّ وراءها فكأنها ... صفٌّ تقدمهن وهي أمامُ
وإذا المطيُّ بنا بلغنَ محمداً ... فظهورهنَّ على الرجالِ حرامُ

وتأمل قول شاعرنا الذي أخذه من قول أبي نؤاس فقال : (٥)

وأظلنهنّ به بلغنَ محمداً ... فظهورهنَّ على السروجِ حرامُ

ولابي العتاهية (٦) أثر في شاعرنا ، فلننظر لقول ابي العتاهية الاتي (٧) :

---

(١) ديوان ابي نواس / ٧٠٧ .
(٢) بهجة السرور في " مخطوط " لوحة / ١٠٩ .
(٣) تطمّث : أصلها تتطمث بتاءين فحذفت احداهما وهذا جائز عند النحويين .
(٤) ديوان ابي نؤاس / ٤٠٨ .
(٥) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٣٧٤ .
(٦) ابوالعتاهية : هو اسماعيل بن القاسم العارف المشهور ، والشاعر الماثور المعروف في زهدياته ، يكنى بابي العتاهية ، ولد ونشأ في الكوفة وتوفي في بغداد ٢١٣ هـ وقيل سنة ٢١١ هـ . ابوالعتاهية اشعاره واخباره / ٢٦ الشعر والشعراء ٢ / ٧٩١ .
(٧) ابوالعتاهية اشعاره وأخباره / ٥٨ .

أمّا الزّمانُ فواعظٌ   ومبيّنٌ لك إن فهمتا

ولنلاحظ اثره فى قول شاعرنا الاتى : (١)

لقدْ وعظَ الزّمانُ لواتعظنا   وبالغَ فى نصائحهِ الزّمانُ

وقول ابى العتاهية ابلغ لما ينطوى عليه من عمق فلسفى ، بينما قول الوراق اشبه بالوعظ.

كما نلاحظ لمسات الشاعر الاندلسى ابن خفاجه (٢) على شاعرنا ، فمن ذلك ما يقوله ابن خفاجه فى الوصف : (٣)

والرّيحُ تعبثُ بالغصونِ وقد جرى   ذهبُ الاصيلِ على لُجينِ الماءِ

فانظر كيف سبكه شاعرنا قائلا : (٤)

والنّهرُ فضيّ المدارع لم يذُب   ذهبُ الأصيلِ عليهِ والغدَواتِ

ولا يخفى ان الصورة عند ابن خفاجه اقوى لما فيها من حركة متمثلة بحركة الاشجار والماء ، فضلا عن قوة نسجه ، وجودة سبكه .

---

(١) الكوكب الثاقب " مخطوط " لوحة / ٣١١ . ، ذيل مرآة الزمان / ٧٦ ، الغيث المسجم ٢/٤١٧ ، الادب فى العصر المملوكى ٢/١٥٢ .

(٢) ابن خفاجة : هو ابراهيم بن ابى الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهوارى الاندلسى ، حامل لواء الشعر فى الاندلس ، تفرد واشتهر بوصف الطبيعة ولد فى جزيرة شقر من اعمال بلنسية شرقى الاندلس ، وفيها توفى سنة ٥٣٣ هـ . له ديوان شعر.
بغية الملتمس / ٢٠٢ ، الصلة / ٩٩ ، ديوان ابن خفاجة / ٥ .

(٣) ديوان ابن خفاجة / ١١ .

(٤) المنشآت الصفدية " مخطوط " / ٢ .

واذا كان شاعرنا قد تأثر بمجموعةمن الشعراء ، وهو امر طبيعي ، فلابد انه قد ترك اثرا في الشعراء الذين اتوا بعده . يقول الصفدي في سبب جمع المنتخب من ديوان الوراق بأنى " قصدت تجميع هذه النكت للتنبيه على ان محاسن أدباء هذا العصر - يعني عصره وهو القرن الثامن الهجرى - من هذا الرجل مسروقة - يعني الورّاق - والرد على من ياتي منهم بمعانٍ يوهم الأغماز أنها غير مطروقة ، فان لبعض أهل العصر نكتاً أكثرها ماخوذ من هذا الديوان بل غالب أبكارها إذا تبرّجت لا تخرج أقطارها عن هالة هذا الديوان وجل أزهارها إذا تأرّجت لا تضوع إلاّ من أوراق هذا البُستان ، ومن اطلع على ذا وتلك علم ان لنيل أدبه ، ماضواه غير السراج " (١) .

ولما كان جل التراث الشعرى والادبى مطموسا لهذه الفترة ، اذ انه لم ير النور بعد ، فهو لايزال مخطوطا ، لذا يعسر متابعة اثره ، ومع هذا وجدنا هنا وهناك بصمات شاعرنا في شعر من اتوا بعده من الشعراء . ولعل اول المتأثرين به معاصروه ، وعلى راسهم ابن نباته المصرى الذى اتصل بشاعرنا وسمع منه ، واعجب بفنه ، فأخذ عنه فن التورية الذى كان تيار العصر . (٢)

قال شاعرنا في العيادة : (٣)

قالَ صديقي ولم يَعُدْني ... وعارِضُ السُّقمِ فيَّ أثَّرْ
لقد تغيَّرتَ يا صديقي ... ويعلمُ اللهُ من تغيَّرْ

---

(١) لمع السراج " مخطوط " لوحة / ٢٣٨ .
(٢) ابن نباته المصرى / ١٣٥ .
(٣) ديوان الصبابه بهامش تزيين الاسواق / ١١٧ ، معاهد التنصيص ٣ / ١٨٤ الغيث المسجم ١ / ٤٦ ، انوار الربيع ٢ / ٢٠٤ .

ثم لننظر كيف أخذه ابن نباته فقال : (١)

وطولةٍ في الحُبِّ لمّا أن رأت ... أَثَرَ السقام بمظهري المُنهاضِ

قالت تغيّرنا فقلتُ لها نعم ... أنا بالسَّقام وأنتِ بالإعراضِ

ولا يخفى توسيع المعنى والاضافة اليه عند ابن نباته .

وقال شاعرنا ايضا : (٢)

ياساكناً قلبي على أنّه ... بوحده في قلقٍ دائب

قلبي من خوف النوى واجب ... وأنتَ لم تخرج عن الواجب

يقول العباسي في كتابه " معاهد التنصيص " بان ابن نباته أخذ نكتة الواجب من شاعرنا ، وسكبها في قالب آخر ، فقال في رامي بندق : (٣)

أسعد بها ياقمري بــرزةً ... سعيدة الطالع والغارب

صرعتَ طيراً وسكنت الحشا ... فماتعديت عن الواجب

وتأثره واضح في التورية بكلمة "الواجب "

وقال شاعرنا متغزلا : (٤)

---

(١) معاهد التنصيص ٣ / ١٨٤ .

(٢) خزانة الادب / ٣٠٥ ، كشف اللثام / ٢٢ ، معاهد التنصيص ٤ / ١٠٢ .

(٣) كشف اللثام / ٢٢ ، معاهد التنصيص ٤ / ١٠٢ ، خزانة الادب / ٣٠٥ .

(٤) المرج النظر والارج العصر في الورقة / ٥٩ ، سقط الجواهر المنظومة " مخطوط " للوحة / ٥٩ ، كشف اللثام / ٢٢ ، خزانة الادب / ٣٠٥ الغيث المسجم ٢ / ٤٤٢ ، انوار الربيع ٥ / ٢١ ، فروخ : تاريخ الادب العربي ٣ / ٦٨٣ ، البلاغة الواضحة / ٢٧٦ ، المبسط في علوم البلاغة / ٢٩٩ .

وقفتُ بأطلالِ الأحبّةِ سائـلاً ... ودمعي يسقي ثَمَّ عهداً ومعهدا

ومن عَجَبٍ أني أُرَوّيهِ يارهـم ... وحظّي منها حينَ أسالها الصدا

فانظر كيف يأخذ ابن نباته كلمة " الصدا " فيقول موريا (١)

أدعو السيوفَ صقيلةً من لحظِـهِ ... واذا دعوتُ لها جاوبني الصّدا

واذا جئنا الى الصفدى وجدناه معجبا بشاعرنا أيما اعجاب ، فهو قد اهتم بشعره واختار منه مجموعة شعرية وسمها " بلمع السراج " فكانما اختار القصائد اللامعة من شعر شاعرنا ، فلا شك فى تأثره به . فانظر الى قول شاعرنا الذى يقول : (٢)

ومهفهفٍ عَنّي يميلُ ولم يَمِـلْ ... يوماً إليَّ فصحتُ من أَلَمِ الجَوىٰ

لم لاتميلُ إليَّ ياغُصْنَ النّقـا ... فأجاب ،كيف وانت من جهةِ الهوىٰ

ثم تأمل اثر شاعرنا فى قول الصفدى الاتى (٣) :

تقولُ له الأغصانُ مُذْ هَزَّ عطفه ... أتزعم أَنَ اللينَ عندك ماقـوىٰ

فَقُمْ نَحْتَكِم للرّوضِ عند نسيمه ... ليقضي علىٰ من مال مِنّا الى الهوىٰ

وقول الصفدى اجمل فى معناه واقوى فى سبكه من قول شاعرنا .

---

(١) كشف اللثام / ٢٣ ، ديوان ابن نباته ص ١٤٤ .

(٢) مراتع الغزلان " مخطوط " الورقة / ٨٩ ، كشف اللثام / ٢٢ ، تمام المتون / ٢٤٩ ، ٣٤٢ ، ثمرات الاوراق ٢ / ٢٨٤ ، فوات الوفيات ٣/ ١٤٦ ، خزانة الادب / ٣٠٥ ، انوار الربيع ٥ / ٢١ ، الوسيلة الادبية ٢ / ١٢٢ ، عصر سلاطين المماليك ٨/ ٤٧٦ .

(٣) ثمرات الاوراق ٢ / ٢٨٤ .

ومن المتأثرين بشاعرنا ايضا " ابن حجة الحموى "(١) صاحب كتاب " خزانة الادب " اذ كان معجبا بفن التورية عند شاعرنا ، والتورية كانت من لوازم وحقوق ذلك العصر فهو يقول " ودبّجتُ شعري على منوال قوم حلّوا بالتورية أشعارهم وجعلوا انواع البديع فى النظم شعارهم ، منهم السّراجُ الورّاق بنور مشكاته .... "(٢) . وهناك لمسات فى شعر ابن حجة فيها اثر من شاعرنا ، فمن ذلك قول شاعرنا مثلا : (٣)

يانازح الطرفِ مُرْنومي يُعاودني ... فقد بكيتُ لفقدِ الظاعنينَ دَما
أوجبتَ غسلاً على عيني بأدمعها ... فكيف وهى التى لم تبلغ الحُلُما

وللنظر لابن حجة لنراه كيف يقول : (٤)

وكَمْ حَلَمَ الأقرانُ خوفاً بذكرهِ ... فأوجبَ من فيضِ الدّماء لهم غسْلا

يقول الخفاجى فى كتابه المخطوط " الحجة فى سرقات ابن حجة " نوقله ابن حجه - يعنى من قول الوراق - وشتان بينهما " .

والحق يقال ان قول ابن حجة دون قول الوراق ، فخيال الوراق رسم لنا صورة مبتكرة عجز ابن حجة عن الوصول اليها .

---

(١) هو ابوبكر بن على بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حُجَّه ، ولد ونشأ بحماة واخذ فنونا من العلم وتولى كتابة الانشاء بمصر . توفى سنة ٨٣٧ هـ وله مجموعة مؤلفات منها : تاهيل الغريب ، كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام وخزانة الادب .، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/ ١٦٤ ، الضوء اللامع ١١/ ٥٣ .

(٢) جنا الجنتين " مخطوط " الورقة / ٢ .

(٣) الحجة فى سرقات ابن حجة " مخطوط " الورقة/ ١٣٠ ، روض الادب " مخطوط " ١٨٣ ، سحر العيون " مخطوط " / ١٧٢ ، ريحانة الاليا ١/ ٢٦ ، وفيه صدر البيت الاول كالاتى : يانازح الدار مُرْنومي يُعاودني " فوات الوفيات ٣/ ١٧ ، ١٤٦ ، وفيه عجز الاول كالاتى : " فقد بكيتُ لفقدِ النازحينَ دما " تشنيف السمع / ٥٥ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥/ ٩١ .

(٤) الحجة فى سرقات ابن حجة " مخطوط " الورقة / ١٣٠ .

ولم يمتد تأثير شاعرنا الى شعراء عصره ، والعصر الذى تلاه فحسب ، بل امتد الى شعراء القرون الاخرى ،فنجد ان شاعرا من شعراء القرن الحادى عشر يتأثر بفنه وروحه ، وهو الشاعر " يحيى الاصيلي "(١) فقد تأثر بخفة روح الوراق واريحيته ، فكان مثله فى رقة الطبع، ودماثة الخلق ، ورقة شعره ومجونه .

فمن ذلك مثلا قول شاعرنا : (٢)

رزقتُ بنتاً ليتها لم تكُن   فى ليلةٍ كالدّهر قضّيتها
فقيل : ماسمّيتَها ، قلت : لو   مُكِّنْتُ منها كُنتُ سَمّيتُها

ثم لننظر كيف اخذ الاصلى قول شاعرنا سابكا اياه وقائلا : (٣)

من منصفي من ظالمٍ   بيتُ المظالم بَيْتُهُ
أُخفيه خَشْيَةَ بإسمه   وأودُّ لو سَمّيتُهُ

ولا يخفى جمال قول الاصلى وقوة موسيقاه وبروز ايقاعه .

وفى اعتقادى أن اثر شاعرنا قد امتد الى شعراء العصور التى تلت عصره ولولا كون جل تراث شعراء هذه الفترة مخطوطا لاستطعنا تتبع أثره فيمن جاء بعده من شعراء العصور الاخرى .

...

---

(١) هو يحيى بن محمد بن محمد بن احمد شرف الدين الأُصيلي ،نسبة الى جد له اسمه اصيل الدين ، ولد بدمياط وبها نشأ وانتقل الى القاهرة وهو شاب فانصرف الى فنون الغناء والطرب ، وتوفى بمكة حاجا سنة ١٠١٠هـ خبايا الزوايا " مخطوط " لوحة/ ١٠٣ ، خلاصة الاثر ٤ / ٤٨٠ .

(٢) فض الختام " مخطوط " لوحة / ٥٣ ، خلاصة الاثر ٤ / ٤٨٤ ، ريحانة الالبا ٢ / ٤٠ ، أنوار الربيع ٥ / ١٠٠ .

(٣) خبايا الزوايا " مخطوط " لوحة / ١٠٤ ، خلاصة الاثر ٤ / ٤٨٤ .

خاتمة المطـــاف

وبعد : فقد حقق هذا البحث من النتائج مايلى :

١ - تحديد جانب من العصر الايوبى والمملوكى مما له صلة بموضوع البحـــث ، فتناولت بالدراسة عصر سراج الدين الوراق متمثلا فى الاحوال : السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية والدينية . فاتضح من خـــلال ذلك أنه لم يكن عصر تخلف عقلى أو وجدانى ، حيث انه شهد كثيرا مـــن ألوان النشاط العلمى والفنى .

٢ - أرخت لحياة الوراق مبتدئا : باسمه ولقبه وكنيته ، وعائلته ، وولادتـه ونشأته ، وصفاته الجسمية ، وشخصيته ، وشيوخه ، ومهنته ، وثقافتـه ، وحالته المادية ، وحياته الزوجية ، وثقافته ، ورحلاته ، واصدقائـــه ، وصلاته الاجتماعية ، ثم انتهيت بوفاته .

وعرجت على آثاره العلمية ، فتناولت بالدراسة الديوان المنسوب اليه ، وأثبت أنه ليس له بجملة من الادلة ، ثم عرجت على المنتخب من ديوانه فأعطيت صورة واضحة عنه ، وقطعت انه له بمجموعة من الادلة أيضـــــا ، وعرفت بارجوزته التى نظم فيها كتاب " درة الغواص فى أوهام الخواص " وأثبت أنها له مستشهدا بنموذج منها .

٣ - درست فنون شعره ، مبتدئا بالمديح الذى شطرته الى شطرين همـا : المدح النبوى ، ومدح السلاطين والامراء وغيرهم ، تلاه الوصف والغـــزل الذى جعلته قسمين : قسما للغزل بالمرأة ، وقسما للغزل بالمذكـــر ، والذى تبين لنا من خلاله شذوذ شاعرنا نحو الجنسية المثلية ، وقـــد أثبت ذلك بالادلة . تلاه الرثاء ، والهجاء ، والشكوى ، ووصف الخمرة ، والنظم العلمى ، ثم الشعر العامى .

وقد درست هذه الفنون بشكل مفصل مستشهدا بنماذج من شعره .

٤ - درست الخصائص الفنية لشعره بما فيه : لغته الشعرية ، أسلوبه ، خياله ، الصورة في شعره ، ثم موسيقاه .

٥ - درست الفنون البديعية والبيانية في شعره ، فبدأت ببيان مكانة فن البديع في ذلك العصر من خلال رؤية نقاده ، وبدأت بدراسة أهم لون استحوذ على شعره ، وهو فن التورية الذي اعتبرته اسلوبا للوراق لكثرة شغفه به ، وامتزاجه بروحه وموائمته لها ، ثم درست اثر شاعرنا في هذا الفن مستشهدا له ببضع وخمسين نموذجا . حللتها على ضوء التورية لابين مكانته في هذا الفن ، ثم انتقلت الى الفنون البديعية الاخرى وهي الاقتباس والتضمين ، والتكرار ، والقول بالموجب ، وحسن التعليل ، والاطراف ، والتلميح ، والالغاز ، والاكتفاء ، والتدبيج ، والجناس ، والطباق ، ثم تناولت الفنون البيانية فوجدت عنده لونين هما : الكناية والتعريض .

٦ - درست مساجلاته الشعرية ، وما دار بينه وبين اترابه من شعراء عصره من اشعار ومراسلات شعرية والغاز واحاج وغيرها .

٧ - ختمت البحث بفصل صغير نسبيا ، وهو اثره وتاثيره ، وقد تتبعت بصمات الشعراء السابقين في شعره ثم بينت اثره فيمن جاء بعده .

٨ - والشيء المحسر هو ان جل تراث هذه الفترة مغمور ، ومن الصعب البحث فيه ، واذا ما اكتفى الباحث بالكتب المطبوعة فانها لا تمده الا بالنزر اليسير لان اكثر ادب هذه الفترة لا يزال مخطوطا ، لذا يتحتم على الباحث المخلص ان يتتبع المخطوطات ، لانها ترفده بالشيء الكثير ، فكنت أقضي جل وقتي بين ثنايا المخطوطات التي في المكتبات العراقية ، والمصرية وللمخطوطات الفضل الكبير على هذا البحث اذ لولاها لما كان بالصورة التي هو عليها الآن .

والحقيقة ان ملاحقة شعره وجمعه من المخطوطات عمل مجهد ، لما فى المخطوطات احيانا من الغموض ، فضلا عن المشاكل التى تواجه الباحث احيانا فى حصوله على المخطوطة من قبل موظفى المكتبات .

فقد جمعت شعره الذى درسته ، ولم اهمل منه سوى مالا يوائم الذوق ولربط بدور فى الاذهان ، لم لم ألحق المنتخب من ديوانه الموسوم بـ " لمع السراج " ؟ فأقول ان لمع السراج وحدة كتاب مستقل للصفدى وهو وحده يستحق أن يحقق ككتاب مستقل ، وهو كتاب واسع ويستحق وحده أن يفرد برسالة كتحقيق ، والأمل كبير فى العثور على نسخة اخرى كى اقوم بتحقيقه ، وقد افدت منه فى الدراسة .

٩ - حققت كل النصوص الشعرية بالمصادر الاخرى ، وأثبت انها لشاعرنا وهذا يتضح من خلال المصادر المذكورة فى الهامش .

١٠- لم أنس ان اترجم لجل الذين وردت أسماؤهم فى شعره ،أو الذين طارحهم شعره من أترابه الشعراء ،أو الذين كانت له صلات طيبة بهم، اوالذين تاثر بهم او الذين تاثروا به من الشعراء .

١١- اقترح تسليط الاضواء على ادب العصر المملوكى والايوبى لما له من قيمة تراثية فى احياء ماضى بغداد الذى دمر على ايدى المغول ،لنربط بين ماضينا وحاضرنا .

١٢- واخيرا فالقيمة العلمية لعملى هذا ، أنه عالج موضوعا لم يعالج من قبل ، وارتاد جانبا وعصرا ارتبط فى اذهان الباحثين بكثير من معانى الجهل والتخلف والتحجر ، فكانت جل دراسات الباحثين تقف على بابه ولا تلجه وتكتفى بالقاء نظرة سطحية ساذجة على هذا العصر وبشكل متعجل تزهد فيه الباحثين .

أما مانشر عن شاعرنا من قبل الباحثين المحدثين ، فانها نتف ، لا تعدو الترجمة والاستشهاد ، ببضع أبيات أحيانا كما فعل د . محمد زغلول سلام في كتابه " الادب في العصر المملوكي " فكان هو الوحيد الذي كتب عنه أوسع ترجمة وقعت في سبعة صفحات ونصف .

وشهد الله لم يكن عطوي مريحا ولا سهلا ، بل كان متعبا وصعبا ، لكنني أخلصت له وتفانيت فيه ، ولم يغب عني وانا اكتب انني أضع لبنة في صرح المعرفة ، وأسد ثغرة في أدب العصر المملوكي .

وقد استعنت على ذلك بالله الذي شملني بالتوفيق والسداد ، وبتوجيهات أستاذي المشرف شكر الله له ، ونفع به ، والحمد لله أولا وآخرا .

المصادر والمراجع والدوريـــات

أ ـ المصادر المخطوطة

* الادكاوي : عبد الله بن عبد الله (ت ١١٨٤ هـ) .
١ ـ الدر الثمين في محاسن التضمين
مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة برقم (١٢٤ ـ بلاغة) .

* الاسيوطي : صلاح الدين محمد الحسيني (ت ٨٥٦ هـ)
٢ ـ المرج النضر والارج العطر
مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة برقم (٣٧٩ ـ ادب ـ تيمور)

* برهان الدين بن الجلط (١٩٩١ هـ)
٣ ـ عز الادب
مصورة بمعهد المخطوطات العربية في القاهرة برقم (٦٠٠ ـ ادب)

* ابن تغري بردي : جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ)
٤ ـ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي
مخطوط بمكتبة فينا برقم (١١٧٣) ومنه نسخة مصورة في مكتبـــة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة ام القـــرى بمكة المكرمة .

* الحجازي : شهاب الدين أحمد (ت ٨٧٥ هـ)
٥ ـ روض الادب
مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة برقم (٤٣٧ ـ أدب)

* ابن ابي حجلة : شهاب الدين احمد (المولود سنة ٧٢٥هـ)
٦ ـ سكردان السلطان
مخطوط بمكتبة الاوقاف العامة في الموصل برقم (٩/ ٢١ ـ حاج حسين)

* الحلبى : بدر الدين الحسن بن حبيب (ت ٧٧٩ هـ).
٧ - درة الاسلاك فى دولة الاتراك
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (٢٣٥ تاريخ)

* الحموى : ابوبكر على بن حجة (ت ٨٣٧ هـ)
٨ - جنا الجنتين
مخطوط فى مكتبة الاوقاف العامة فى الموصل برقم (٣/٩ - صائغ)

* ابن الحنبلى : محمد بن ابراهيم بن يوسف الحنفى " من علماء القرن العاشر"
٩ - حدائق احداق الازهار ومصابيح انوار الانوار
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (١٩٠ - ادب)

* الخفاجى : شهاب الدين احمد بن محمد (ت ١٠٦٩ هـ)
١٠- سفينة ادبية
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (٤٧٣ - ادب)

* ١١- قصد السبيل فيما فى اللغة العربية من الدخيل
مصورة عن مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة . منها نسخة مصورة فى قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الرياض برقم (٣٣ لغة/ معاجم) ومنها صورة فى مكتبة مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

١٢- خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا
مخطوط فى المكتبة الازهرية فى القاهرة برقم (٢٨٣) وله صورة فى مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

* السلومى : عبد القادر بن عبد الرحمن الاندلسى (ت ١٠٧٦ هـ)
١٣- الكوكب الثاقب فى اخبار الشعراء وغيرهم من ذوى المناقب .
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (٤٢٠ - تاريخ).

* سهام الفريح
١٤- ديوان ابن قلاقس " رسالة دكتوراه "
كلية الاداب - قسم اللغة العربية - جامعة القاهرة (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)
رقمها فيمكتبة جامعة القاهرة (٢٦٩٣).

* السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ)
١٥- عين النبع في مختصر طرد السبع
مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة برقم (٢١٨٩ - ادب)

١٦- سقط الجواهر المنظومة في الاشعار المحكومة
مصورة بمعهد المخطوطات العربية في القاهرة برقم (٤٧٢ - ادب).

* ابو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي (ت ٦٦٥ هـ)
١٧ - الحواضر ونزهة الخواطر
مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة برقم (٦٤٨ - ادب)

* الصفدي : خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ)
١٨ - الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك
مخطوط بمكتبة المتحف العراقي في بغداد برقم (٩١١٢)

١٩- المنتخب من شعر الجزار
مصورة بمعهد المخطوطات العربية في القاهرة برقم (٨١٤ - أدب)

٢٠ - المنتقى من كشف الحال في وصف الخال
مصورة بمعهد المخطوطات العربية في القاهرة برقم (٨٣٠ - ادب)

٢١ - الحان السواجع بين البادى والمراجع " رسالة دكتوراه "
تحقيق محمد عبد الحميد محمود سالم
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م)
رقمها في مكتبة جامعة القاهرة (٢٩٧٩).

٢٢- لمع السراج
مخطوط بمكتبة اياصوفيا باستانبول برقم (٦/٣٩٤٨) ومنه نسخـــــة
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (٥١٨ - ادب)

٢٣- المنتقى من كتاب المجاراة والمجازاة
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (٨٢٨ - ادب)

٢٤ - غيث الادب
مخطوط بمكتبة المتحف العراقى فى بغداد برقم (٢٠٧٩)

٢٥ - فض الختام عن وجه التورية والاستخدام
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (٤٨ - بلاغة)

٢٦ - صرف العيون
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (٥٨٥ - ادب)

٢٧ - التذكرة الصفدية جـ / ٧
مخطوطة بدار الكتب المصرية فى القاهرة برقم (٩٧٩٦ - ادب)

٢٨ - التذكرة الصفدية جـ / ١٣ جـ / ١٤
مخطوطتان بدار الكتب المصرية فى القاهرة برقم (٤٢٠ - ادب)

٢٩ - التذكرة الصفدية جـ / ٣٨
مخطوط بدار الكتب المصرية فى القاهرة برقم (٨٠٤ - ادب تيمور)

٣٠ - المنشات الصفدية
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (٨٣٨ - ادب)

* ابن طولون : شمس الدين محمد بن على : (ت ٩٥٣ هـ)
٣١ - نشأة العقار فيما قيل فى العذار
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (٨٦٦ - ادب)

* عبد الناصر : محمد عبد القادر
٣٢- شعراء التورية فى مصر فى القرن السابع الهجرى " رسالة ماجستير "
كلية الاداب - قسم اللغة العربية - جامعة القاهرة (١٩٦٢م)
رقمها فى مكتبة جامعة القاهرة (٢٢٦٢).

* فليح : مناهل فخر الدين
٣٣ - نشاط الصفدى فى النقد والبلاغة " رسالة دكتوراه "
كلية الاداب - قسم اللغة العربية - جامعة القاهرة (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م)
توجد منها نسخة فى مكتبة جامعة الموصل .

* المصرى : محمد بن احمد بن سليمان (ت ٧٨٦ هـ)
٣٤ - بهجة السرور فى غرائب المنظوم والمنثور جـ / ١ ، جـ / ٢
مخطوط فى مكتبة احمد الثالث باستانبول برقم (٢٢٩٤ - ادب)
ومنه صورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة . رقم الجزء الاول
(٩٦ ادب) ورقم الجزء الثانى (٩٧- ادب).

* النواجى : شمس الدين محمد بن حسن بن على (ت ٨٥٩ هـ)
٣٥ - مراتع الغزلان ومروى الظمآن
مخطوط بدار الكتب المصرية فى القاهرة برقم (٧٧٤٨ - ادب)

٣٦ - الحجة فى سرقات ابن حجة
مخطوط بدار الكتب المصرية فى القاهرة برقم (٩١٥ - شعر - تيمور)

٣٧ - خلع العذار فى وصف العذار
مخطوط بمكتبة المجمع العلمى العراقى فى بغداد برقم (٢٥٤)

٣٨ - تاهيل الغريب
مصورة بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة برقم (١٠٧ ادب)

٣٩ - المنتخب من تاهيل الغريب
مخطوط بمكتبة المتحف العراقى فى بغداد برقم (٩١٦٠).

٤٠ـ الشفاء في بديع الاكتفاء
مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة برقم (٦١٦ ـ بلاغة)

* الوراق : سراج الدين عمر بن محمد بن حسن (ت ٦٩٥ هـ)
٤١ ـ ديوان سراج الدين الوراق (المنسوب خطأً للوراق)
مخطوط بمكتبة دمياط برقم (٧٣ ـ ادب) ومنه صورة بمعهد المخطوطات العربية في القاهرة برقم (١٤٦٧ ـ ادب) .

٤٢ ـ نظم درة الغواص
مخطوط بمكتبة الاوقاف العامة في بغداد برقم (٣٠٩)

* مجهول المؤلف
٤٣ ـ بهجة الناظر ونزهة الخاطر
مصورة بمعهد المخطوطات العربية في القاهرة برقم (١٠٢ ـ ادب)

—•—

ب ـ المصادر المطبوعة

* القرآن الكريـــــــم .

* الابشيهى : شهاب الدين محمد بن احمد ابى الفتح المحلى (ت ٨٥٠ هـ)
٢ ـ المستطرف من كل فن مستظرف
مطبعة المشهد الحسينى بمصر ـ ١٣٦٨ هـ .

* ابن الاثير : نجم الدين احمد بن اسماعيل الحلبى (ت ٧٣٧ هـ)
٣ ـ جوهر الكنز ـ تحقيق محمد زغلول سلام
شركة الاسكندرية للطباعة والنشر ـ الاسكندرية

* ابن الاثير : عزالدين ابى الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد الشيبانــــى
(ت ٦٣٠ هـ) .
٤ ـ الكامل فى التاريخ
دار صادر للطباعة ـ دار بيروت للطباعة ـ بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م.

* ابن الاثير : ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ هـ)
٥ ـ المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر ت تحقيق د . احمد الحوفى ،
د . بدوى طبانة
مطبعة الرسالة ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢م.

* الادفوى : ابوالفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨ هـ)
٦ ـ الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد
تحقيق سعد محمد حسن ، مراجعة د . طه الحاجرى
الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ م .

* أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ)
٧ ـ البديع فى نقد الشعر . تحقيق د . احمد بدوى ، د . حامد عبد المجيد
مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ـ القاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠م.

* الاسيوطى : جلال الدين عبد الرحمن
٨ - لب الالباب فى تحرير الانساب
طبع بالاوفست - مكتبة المثنى - بغداد .

* ابن ابى الاصبع : المصرى (ت ٦٤٥ هـ)
٩ - تحرير التحبير - تحقيق د . حفنى محمد شرف
مطابع شركة الاعلانات الشرقية - القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م .

* الانطاكى : داود المعروف بالاكمه " الف كتابه سنة ٩٧٢ هـ)
١٠ - تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق
مطبعة الميمنية - مصر - ١٣٠٥ هـ .

* ابن اياس الحنفى : محمد بن احمد المصرى
١١ - تاريخ مصر المشهور ببدائع الزهور فى وقائع الدهور
المطبعة الاميرية الكبرى بولاق - الطبعة الاولى - مصر ١٣١١ هـ .

* البدرى : ابو البقاء الدمشقى
١٢ - سحر العيون
طبع حجر سنة ١٢٧٦ هـ .

* ابن بشكوال : ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ)
١٣ - الصلة
مطابع سجل العرب - الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ١٩٦٦م .

* البغدادى : الحافظ ابو بكر احمد بن على (ت ٤٦٣ هـ)
١٤ - تاريخ بغداد
دار الكتاب العربى - بيروت .

* البغدادى : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ)
١٥ - خزانة الادب ولب لسان العرب - تحقيق وشرح عبد السلام هارون
دار الكتاب العربى للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م .

* البغدادى : اسماعيل باشا
١٦- هدية العارفين فى اسماء المؤلفين والمصنفين
طبع وكالة المعارف فى استانبول سنة ١٩٥١ م . وأعادت طبعه بالاوفست المكتبة الاسلامية والجفيرى - تبريزى - الطبعة الثالثة - طهران ١٣٨٧ هـ / ١٩٤٧ م .

* ابن تغرى بردى : جمال الدين ابوالمحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ)
١٧ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
مطابع كوستاتسوس وشركاه - المؤسسة العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة .

* الثعالبى : ابومنصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ)
١٨ - ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب - تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم - مطبعة المدنى - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م.

١٩ - خاص الخاص
مصر - ١٨٠٩ .

٢٠ - يتيمة الدهر فى محاسن اهل العصر - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد دار الفكر للطباعة - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧٣م.

* الجاحظ : ابوعثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)
٢١ - البيان والتبيين - تحقيق وشرح عبد السلام هارون -
مطبعة دار التاليف - الطبعة الثالثة - مصر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.

٢٢ - الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون
مطبعة مصطفى البابى الحلبى - الطبعة الاولى - القاهرة .

* الجرجانى : الامام عبدالقاهر (ت ٤٧١ هـ)
٢٣ - دلائل الاعجاز - تصحيح محمد رشيد رضا
شركة الطباعة الفنية المتحدة - القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م.

* ابن حجة الحموى : تقى الدين ابى بكر على بن محمد (ت ٨٣٧ هـ)
٢٤ - كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام
المطبعة الانسية - بيروت ١٣١٢ هـ .

ه ٢٥ - خزانة الادب وغاية الارب
المطبعة العامرة - مصر ١٢٩١ هـ .

* ابن حجر : الحافظ شهاب الدين ابى الفضل احمد بن على العسقلانى (ت ٨٥٢هـ)
٢٦ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى
نشر الدار السعودية - السعودية .

٢٧ - لسان الميزان
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الطبعة الثانية - حيدر اباد
الهند - ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١م .

٢٨ - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه . تحقيق محمد على البجاوى
مراجعة محمد على النجار
مطبعة القومية العربية - الدار المصرية للتاليف - القاهرة

٢٩ - انباء الغمر بانباء العمر . تحقيق د . حسن حبشى
دار احياء التراث الاسلامى - القاهرة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م .

٣٠ - الدرر الكامنة فى اعيان المئة الثامنة . تحقيق محمد سيد جاد الحق
مطبعة المدنى - الطبعة الثانية - ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦م .

* ابن ابى حجلة : شهاب الدين احمد (المولود سنة ٧٢٥ هـ)
٣١ - ديوان الصبابة - مطبوع بهامش كتاب تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق
المطبعة الميمنية - مصر ١٣٠٥ هـ .

٣٢- ثمرات الاوراق فى المحاضرات
طبع بهامشكتاب المستطرف من كل فن مستطرف
مطبعة الشهد الحسينى - مصر - ١٣٦٨ هـ .

* الحريرى : ابومحمد القاسم بن على (ت ٥١٠هـ)
٣٣ - درة الغواص فى اوهام الخواص
طبع بالاوفست عن الطبعة الاولى - مكتبة المثنى - بغداد

* الحصرى : ابواسحق ابراهيم بن على القيروانى (ت ٤٥٣ هـ)
٣٤ - زهر الاداب وثمر الالباب تحقيق محمد على البجاوى
مطبعة عيسى البابى الحلبى - دار احياء الكتب العربية - الطبعة الثانية
- القاهرة .

* الحضرمى : جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك
٣٥ - نشر العلم فى شرح لامية العجم
المطبعة الخيرية - الطبعة الاولى - القاهرة ١٣٢٠ هـ .

* الحلبى : شهاب الدين محمود (ت ٧٢٥ هـ)
٣٦ - حسن التوسل الى صناعة الترسل تحقيق اكرم عثمان يوسف
دار الحرية للطباعة - بغداد ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .
مطبوعات وزارة الاعلام العراقية .

* الخطيب التبريزى : ابوزكريا يحيى بن على (ت ٥٠٢ هـ) .
٣٧ - الكافى فى العروض والقوافى - تحقيق الحسانى حسن عبد الله
دار الكتاب العربى للطباعة والنشر - القاهرة .

* الخطيب الجوهرى : على بن داود الصيرفى
٣٨ - نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الزمان . تحقيق د . حسن حبشى
مطبعة دار الكتب - القاهرة ١٩٧٣م .

* الخفاجي : شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩ هـ)
٣٩ - ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الاولى - القاهرة - ١٩٦٧م.

٤٠ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل
المطبعة الوهبية - ١٢٨٢ هـ .

* ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ)
٤١ - تاريخ العلامة ابن خلدون
منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة - بيروت .

* ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١ هـ)
٤٢ - وفيات الاعيان وانباء الزمان - تحقيق د . احسان عباس .
دار الثقافة - بيروت .

* الخوانساري : محمد باقر الموسوي الاصبهاني (ت ١٣١٣ هـ)
٤٣ - روضات الجنات في احوال العلماء والسادات
تحقيق اسد الله اسماعيليان
عنيت بنشره مكتبة اسماعيليان - مطبعة المهر استوار - قم ١٣٩١ ايران .

* الدواداري : ابوبكر عبد الله بن ايبك
٤٤ - كنز الدرر وجامع الغرر - تحقيق اولرخ هارمان
مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م.

* الذهبي : ابوعبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)
٤٥ - دول الاسلام - تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٤م.

٤٦ - المشتبه في الرجال : اسمائهم وانسابهم - تحقيق محمد علي البجاوي
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٦٢م.

٤٧ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال - تحقيق محمد على البجاوى
مطبعة عيسى البابى الحلبى - الطبعة الاولى - القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

٤٨ - ديوان الاعشى - دار صادر، بيروت ١٩٦٦م.

٤٩ - ديوان امرئ القيس - دار صادر ، بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨م.

٥٠ - ديوان بشار بن برد ، شرح محمد الطاهر بن عاشور ،
مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧م.

٥١ - ديوان ابى تمام بشرح التبريزى ، تحقيق محمد عبده عزام
مطبعة دار المعارف - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٧٦م.

٥٢ - ديوان حسان بن ثابت - تحقيق د. سيد حنفى حسين ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م.

٥٣ - ديوان ابن خفاجة
دار صادر - دار بيروت ، بيروت ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م.

٥٤ - ديوان ذى الرمة
المكتب الاسلامى للطباعة والنشر - الطبعة الاولى - بيروت ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م.

٥٥ - ديوان السموءل
دار صادر - دار بيروت - بيروت ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م.

٥٦ - ديوان الشافعى - تعليق د. محمد زهدى يكن
دار يكن للنشر - ودار منيمنة للطباعة والنشر - بيروت

٥٧ - ديوان العباس بن الاحنف
دار صادر للطباعة ، دار بيروت للطباعة ، بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م.

٥٨ - ديوان عنترة بن شداد - تحقيق عبد المنعم شلبي ،
شركة فن الطباعة - شبرا - القاهرة .

٥٩ - ديوان ابي فراس - رواية ابي عبد الله الحسين بن خالويه
دار صادر - دار بيروت ، بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

٦٠ - ديوان النابغة - صنعه ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ)
تحقيق د . شكري فيصل - طبعة دار الفكر .

٦١ - ديوان ابن نباتة المصري
مطبعة التمدن - الطبعة الاولى - مصر ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م .

٦٢ - ديوان ابي نؤاس - تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي ،
دار الكتاب العربي - بيروت .

* الرازي : محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (توفي بعد سنة ٦٦٦ هـ) .
٦٣ - مختار الصحاح : ترتيب محمود خاطر
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .

* ابن رشيق : ابو علي الحسن القيرواني الازدي (ت ٤٥٦ هـ)
٦٤ - العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده . تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد .
طبع ونشر دار الجيل - الطبعة الرابعة - بيروت ١٩٧٢ م .

* الزمخشري : محمد بن عمر (ت ٥٢٨ هـ)
٦٥ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل
مطبعة مصطفى محمد - الطبعة الاولى - مصر ١٣٥٤ هـ .

* السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن
٦٦ - الضوء اللامع لاهل القرن التاسع
منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .

* ابن سعيد : ابو الحسين على بن موسى الاندلسى (ت ٦٨٥ هـ)
٦٧ - الغصون اليانعة فى شعراء المائة السابعة
تحقيق ابراهيم الابيارى - طبعة دار المعارف بمصر .

٦٨ - المغرب فى حلى المغرب - تحقيق د . شوقى ضيف
دار المعارف - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٦٤ م .

* ابن سلام : ابو عبيد القاسم (ت ٢٢٤ هـ)
٦٩ - كتاب الامثال - تحقيق د . عبد المجيد قطامش
دار المامون للتراث دمشق - بيروت - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م .

* ابن سناء الملك : حياته وشعره
٧٠ - تحقيق محمد ابراهيم نصر - مراجعة د . حسين محمد نصار
دار الكتاب العربى للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م .

* السهيلى : الامام عبد الرحمن (ت ٥٨١ هـ)
٧١ - الروض الانف فى شرح السيرة النبوية تحقيق عبد الرحمن الوكيل
مطبعة دار النصر - القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م .

* السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر بن محمد (ت ٩١١ هـ)
٧٢ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم
مطبعة عيسى البابى الحلبى - الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٦٥م .

٧٣ - تحفة المجالس ونزهة المجالس
تصحيح محمد بدر الدين النعسانى الحلبى
مطبعة السعادة - الطبعة الاولى - مصر ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨م .

٧٤ - حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة
المطبعة الشرفية .

٧٥ - شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان
مطبعة مصطفى البابى الحلبى - مصر ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩م.

٧٦ - عقود الجمان فى علم المعانى والبيان
بشرح العلامة مرشد العمرى المعروف بالمرشدى (ت ٩٧٥ هـ).
مطبعة مصطفى البابى الحلبى - الطبعة الثانية - مصر ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥م.

* ابن شاكر : محمد الكتبى (ت ٧٦٤ هـ)
٧٧ - فوات الوفيات والذيل عليها . تحقيق د. احسان عباس ،
دار صادر - بيروت - ١٩٧٤م.

* ابوشامة : شهاب الدين ابى محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى
ت (٦٦٥ هـ).
٧٨ - الروضتين فى اخبار الدولتين
مطبعة وادى النيل - القاهرة ١٢٨٧ هـ .

* ابن الشجرى : هبة الله بن على بن على بن حمزة العلوى الحسينى (ت ٥٤٢ هـ)
٧٩ - الحماسة الشجرية ، تحقيق عبد المعين الملوحى ، اسماء الحمصى .
منشورات وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧٠م.

* الشروانى : احمد بن محمد الانصارى اليمنى
٨٠ - نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن
مطبعة بارود وكائيد - برپس - كلكته - ١٢٩٨ هـ .

* الشريشى : ابوالعباس احمد بن عبد المؤمن (ت ٦١٩ هـ)
٨١ - شرح مقامات الحريرى . تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم
مطبعة المدنى . القاهرة .

* الشريف المرتضى : على بن الحسين الموسوى العلوى (ت ٤٣٦ هـ)
٨٢ - امالى المرتضى . تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم
دار الكتاب العربى - الطبعة الثانية - بيروت ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧م.

* شهاب الدين : محمد بن اسماعيل بن عمر (ت ١٨٥٧ هـ)
٨٣ - سفينة الملك ونفيسة الفلك
المطبعة الحجرية - القاهرة ١٢٨١ هـ / ١٩٦٤م.

* الشوكانى : محمد بن على (ت ١٢٥٠ هـ)
٨٤ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
مطبعة السعادة - الطبعة الاولى - القاهرة - ١٣٤٨ هـ .

* الصفدى : صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ) .
٨٥ - تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون . تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم
دار الفكر العربى - مطبعة المدنى - ١٩٦٩م.

٨٦ - نكت الهيمان فى نكت العميان . طبع باشراف احمد زكى ،
المطبعة الجمالية بمصر - ١٣٢٩ هـ / ١٩١١م.

٨٧ - الغيث المسجم فى شرح لامية العجم
دار الكتب العلمية - الطبعة الاولى - بيروت ١٩٧٥م.

٨٨ - توشيع التوشيح . تحقيق البير حبيب مطلق .
دار الثقافة للطباعة - الطبعة الاولى ١٩٦٦م.

٨٩ - تشنيف السمع بانسكاب الدمع
مطبعة الموسوعات - الطبعة الاولى - القاهرة ١٣١٢ هـ .

٩٠ - جنان الجناس
مطبعة الجوائب - الطبعة الاولى - القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

٩١ - نصرة الثائر على المثل السائر . تحقيق محمد على سلطانى ،
مطبعة خالد الطرابيشى - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٩٧٢م.

٩٢ - الوافى بالوفيات . طبع باعتناء س ديدرينغ
نشر فرانز شتايز بفيسبادن ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م.

* الصقاعى : فضل الله بن ابى الفخر (ت ٧٢٥ هـ)
٩٣ - تالى كتاب وفيات الاعيان .تحقيق جاكلين سوبلة
المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية - دمشق ١٩٧٤م.

* الضبى : احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ)
٩٤ - بغية الملتمس فى تاريخ رجال الاندلس
مطبعة مدينة مجريط روخس ١٨٨٤ م .

* العاملى : بهاء الدين (ت ١٠٣١ هـ)
٩٥ - الكشكول : تحقيق الطاهر احمد الزاوى
مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاؤه - القاهرة .

* العباسى : عبد الرحيم بن احمد (ت ٩٦٣ هـ).
٩٦ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .
مطبعة السعادة بجوار محافظة ا مصر - ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧م.

* ابوالعتاهية : اشعاره واخباره . تحقيق د . شكرى فيصل .
٩٧ مطبعة جامعة دمشق - دمشق ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م.

* العسكرى : ابوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ)
٩٨ - كتاب الصناعتين .تحقيق محمد على البجاوى ، ومحمد ابوالفضل ابراهيم
مطبعة عيسى البابى الحلبى - الطبعة الاولى - القاهرة ١٣٧١ هـ/١٩٥٢م.

* الحلوانى : عبد الرحمن الشافعى
٩٩ - قطر الغيث المسجم على لامية العجم
طبع بمصر سنة ١٢٩٩ هـ .

* العلوى : يحيى بن حمزة بن على
١٠٠ - الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ،
مطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

* ابن العماد : ابوالفلاح عبدالحى الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ)
١٠١ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب
منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت .

* العماد الاصفهانى : عماد الدين الكاتب محمد بن محمد (ت ٥٩٧ هـ)
١٠٢ خريدة القصر وجريدة العصر (القسم العراقى)
تحقيق محمد بهجة الاثرى ، د . جميل سعيد
جـ ١ ، جـ ٢ طبع بمطبعة المجمع العلمى العراقى ببغداد سنة ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م .
جـ ٣ ، جـ ٤ تحقيق محمد بهجة الاثرى
طبع بمطبعة دار الحرية ببغداد - ١٩٧٣ م - منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

* الغزولى : علاء الدين على بن عبدالله
١٠٣ - مطالع البدور فى منازل السرور
مطبعة ادارة الوطن - الطبعة الاولى . طبع الجزء الاول سنة ١٢٩٩ هـ - الجزء الثانى سنة ١٣٠٠ هـ .

* ابوالفرج الاصبهانى : على بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) .
١٠٤ - الاغانى
مصور عن طبعة دار الكتب المصرية - المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر .

* ابن فضل الله العمرى : أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩ هـ)
١٠٥ - مسالك الابصار فى ممالك الامصار . تحقيق احمد زكى
طبع دار الكتب المصرية - القاهرة .

* ابن قتيبــــة : (ت ٢٧٦ هـ)
١٠٦ - الشعر والشعراء
دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

* القشيرى : ابوالحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ).
١٠٧- صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى
نشر ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد - السعودية
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

* ابن كثير : الحافظ عماد الدين ابوالفدا اسماعيل الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ)
١٠٨ - البداية والنهاية
مكتبة المعارف - الطبعة الاولى - بيروت ١٩٦٦م.

١٠٩ - مختصر تفسير ابن كثير
اختصار وتحقيق محمد على الصابونى
دار القرآن الكريم - الطبعة الاولى - بيروت ١٣٩٣ هـ.

* المباركفورى : محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣ هـ)
١١٠ - تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى . تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان
مطبعة الفجالة الجديدة - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م.

* المحبى : محمد امين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد (ت ١١١١ هـ)
١١١ - نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانه . تحقيق عبد الفتاح الحلو ،
مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاؤه - الطبعة الأولى - القاهرة -
١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨م.

١١٢- خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر
دار صادر - بيروت - وهو مصور عن الطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٨٤ هـ.

* المرصفى : سيد بن على (ت ١٣٤٩ هـ).
١١٣ - رغبة الامل من كتاب الكامـل
مكتبة الاسدى - طهران ١٩٧٠م.

* المعرى : ابوالعلاء احمد بن عبدالله (ت ٤٤٩ هـ)
١١٤ - سقط الزند
دار صادر للطباعة - دار بيروت للطباعة - بيروت ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م.

* ابن معصوم المدنى : على صدر الدين (ت ١١٢٠ هـ)
١١٥ - مطبعة النعمان - الطبعة الاولى - النجف ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م.
انوار الربيع فى انواع البديع

* المقرى : احمد بن محمد التلمسانى (ت ١٠٤١ هـ)
١١٦ - نفح الطيب من غصن الاندلسى الرطيب . تحقيق د . احسان عباس ،
دار صادر - بيروت - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م.

* المقريزى : احمد بن على بن عبد القادر - (ت ٨٤٥ هـ)
١١٧ - الخطط المقريزية المسمى بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،
مطبعة النيل بمصر ١٣٢٦ هـ - وطبع بالاوفست بمؤسسة الحلبى وشركاؤه
بالقاهرة .

١١٨ - السلوك لمعرفة دول الملوك . نشر محمد مصطفى زيادة مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر . الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٥٦م. ،
ج ١ / ق ٢ طبع سنة ١٩٥٧م ، ج ١ / ق ٣ طبع سنة ١٩٧٠م.

* ابن منظور : ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)
١١٩ - لسان العرب
دار صادر للطباعة - دار بيروت للطباعة - بيروت ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م.

* الميدانى : ابوالفضل احمد بن محمد بن احمد (ت ٥١٨ هـ)
١٢٠ - مجمع الامثال - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد
مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥م .

* النابلسى :
١٢١ - نفحات الازهار على نسمات الاسحار فى مدح النبى المختار ،
مطبعة نهج الصواب - دمشق - ١٢٩٩ هـ .

* النواجى : شمس الدين محمد بن الحسن بن على (ت ٨٥٩ هـ)
١٢٢ - حلبة الكميت فى الادب والنوادر المتعلقة بالخمريات
مطبعة ادارة الوطن - ١٢٩٩ هـ .

* النويرى : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)
١٢٣ - نهاية الارب فى فنون الادب
مطبعة كوستاتسوماس - القاهرة ، والنسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

* ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ) .
١٢٤ - مفرج الكروب فى مناقب بنى ايوب . تحقيق د . حسنين محمد ربيع ،
ود . سعيد عبد الفتاح عاشور .
مطبعة دار الكتب . مصر - ١٩٧٢م .

* الوطواط : ابواسحق برهان الدين ابراهيم بن يحيى بن على الكتبى (ت ٧٧٨هـ)
١٢٥ - غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة
طبع حجر ببولاق - القاهرة ١٢٨٤ هـ .

* ياقوت الحموى : ابوعبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)
١٢٦ - معجم البلدان . نشر د . احمد فريد رفاعى
مطبعة دار المأمون - الطبعة الاخيرة .

* اليونيني : قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦ هـ)
١٢٧ - ذيل مرآة الزمان
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الطبعة الاولى - الدكن - الهند - ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م.

((المراجع))

* أحمد الاسكندرى وزملاؤه
١ - المفصل فى تاريخ الادب العربى ،
المطبعة الاميرية ببولاق - القاهرة ، ١٩٣٦م.

* أحمد أمين
٢ - ظهر الاسلام ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة - الطبعة الاولى - القاهرة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥م.
٣ - قصة الادب فى العالم . بالاشتراك مع زكى نجيب محمود - القسم الثانى من الجزء الثانى .
مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٥م.

* احمد خالد
٤ - ابن الروس
مطبعة الكتاب - الشركة التونسية للتوزيع - تونس ١٩٧٧م.

* أحمد الهاشمي
٥ - جواهر البلاغة
دار الفكر - الطبعة الثانية عشرة - بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

* اسماعيل : الدكتور عز الدين
٦ - الاسس الجمالية في النقد العربي ،
مطبعة الاعتماد - الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٥٥م .

٧ - الادب وفنونه
دار المعاصر للطباعة - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٩٧٣م.

٨ - التفسير النفسي للادب
دار العودة - دار الثقافة - بيروت .

٩ - الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية
دار العودة - دار الثقافة - بيروت .

* أمين : الدكتور بكري شيخ
١٠ - مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني
مطبعة دار الشروق - الطبعة الاولى - بيروت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م.

* أوستن وارين ورينيه ويلك
١١ - نظرية الادب - ترجمة محي الدين صبحي ، ومراجعة د. حسام الخطيب
مطبعة خالد الطرابيشي - ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م.

* باشا : الدكتور عمر موسى .
١٢ - ابن نباته المصري ،
دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٧٢م.

١٣- أدب الدول المتتابعة
دار الفكر الحديث - الطبعة الاولى - بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧م.

* البدرى : حكمت فرج .
١٤ - معجم آيات الاقتباس
دار الحرية للطباعة - بغداد ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م . منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية .

* بدوى : احمد احمد
١٥- الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام
دار نهضة مصر للطباعة والنشر- القاهرة ١٩٧٢م.

* بوشيطى ،
١٦ - بحث فى علم الجمال ، ترجمة د . انور عبد العزيز ،
طبع مؤسسة فرانكلين - القاهرة - نيويورك ١٩٧٠م.

* بروكلمان :
١٧ - تاريخ الادب العربى . ترجمة رمضان عبد التواب . ود . سيد يعقوب بكر
دار المعارف بمصر . القاهرة ١٩٧٥م.

* بطرس البستانى
١٨ - دائرة المعارف
مؤسسة مطبوعاتى اسماعيليان - طهران .

* البطل : الدكتور على
١٩ - الصورة فى الشعر العربى حتى اواخر القرن الثانى الهجرى
دار الاندلس للطباعة - الطبعة الاولى - ١٩٨٠م.

* بورا : سير موريس
٢٠ - الخيال الرومانسى .ترجمة ابراهيم الصيرفى ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة / ١٩٧٧م.

* جاستور باشلار
٢١ - جماليات المكان . ترجمة غالب هلسا
دار الحرية للطباعة - بغداد ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م - منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

* الجبوري : الدكتور عبد الله
٢٢ - فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف العامة في بغداد ،
مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٤م .

* جرجي زيدان
٢٣ - تاريخ الادب العربي . تعليق د . شوقي ضيف
دار الهلال بمصر .

* الجمال : احمد صادق
٢٤ - الادب العامي في مصر في العصر المملوكي
الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة - ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م .

* الجندي : الدكتور درويش الرمزية في الأدب العربي
٢٥ - دار نهضة مصر للطباعة - القاهرة . ا

* جواد : الدكتور مصطفى
٢٦ - في التراث العربي . تقديم واخراج محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي
دار الحرية للطباعة - بغداد ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م . منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

* حاجي خليفة : مصطفى عبد الله
٢٧ - كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون
مطبعة وكالة المعارف - استانبول - ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١م .

* حامد عبد القادر
٢٨ - دراسات فى علم النفس الادبى
المطبعة النموذجية - القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٩م.

* حسن : الدكتور على ابراهيم
٢٩ - مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى الى الفتح العثمانى
مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الخامسة ١٩٦٤م.

* حسين : الدكتور طه
٣٠ - من حديث الشعر والنثر
دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٩م.

* حسين : الدكتور محمد كامل
٣١ - فى ادب مصر الفاطمية
مطبعة مخيمر - الطبعة الثانية - ١٩٦٣م.

* حسين المرصفى
٣٢ - الوسيلة الادبية للعلوم العربية
مطبعة دار المدارس الملكية - الطبعة الاولى - القاهرة ١٢٩٢ هـ .

* حمزة : الدكتور عبد اللطيف
٣٣ - الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الايوبى والمملوكى الاول
مطبعة احمد على مخيمر - دار الفكر العربى - الطبعة الثامنة ١٩٦٨م.

* حنا الفاخورى
٣٤ - تاريخ الادب العربى
المطبعة البوليسية

* الحوفى : الدكتور احمد محمد
٣٥ - الفكاهة فى الادب
مطبعة الرسالة - القاهرة .

* خفاجـة : محمد عبد المنعم
٣٦ - قصة الادب فى مصر
دار الطباعة المحمدية - الطبعة الاولى - القاهرة ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦م.

* خلوصى : الدكتور صفاء
٣٧ - فن التقطيع الشعرى والقافية
مطبعة دار القلم - الطبعة الثالثة - بيروت ١٩٦٦م.

* خليفة : محمد محمد
٣٨ - مفتاح البلاغـة
دار الطباعة الحديثة - القاهرة .

* الخولى : الدكتور وليم
٣٩ - الموسوعة المختصرة فى علم النفس والطب العقلى
دار المعارف بمصر - الطبعة الاولى ١٩٧٦م.

* خير الدين الزركلى
٤٠ - الاعلام
الطبعة الثالثة - بيروت ١٩٦٩م.

* الرافعى : مصطفى صادق
٤١ - تاريخ آداب العرب
دار الكتاب العربى - الطبعة الثانية - بيروت ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م.

* زهران : الدكتور حامد عبد السلام
٤٢ - الصحة النفسية والعلاج النفسى
مطبعة دار العالم العربى - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٧٨م.

* سعد : محمد افندى
٤٣ - تحفة اهل الفكاهة فى المنادمة والنزاهة
المطبعة العامرة الشرفية - الطبعة الثانية - مصر ١٣٢٦ هـ .

* سلام : الدكتور محمد زغلول

٤٤ ـ الادب في العصر المملوكي
مطابع دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

٤٥ ـ الادب العربي في العصر الايوبي
مطبعة دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٨م.

* سليم : الدكتور محمود رزق

٤٦ ـ عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي
دار الحمامي للطباعة ـ الطبعة الاولى ـ ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م.

* السوداني : مزهر عبد

٤٧ ـ الشعر العراقي في القرن السادس الهجري
دار الرشيد للنشر ـ بغداد ـ ١٩٨٠ م ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

* سويف : الدكتور مصطفى

٤٨ ـ الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة
مطابع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٧٠م.

* شرف : الدكتور حفني محمد

٤٩ ـ الصورة البديعية بين النظرية والتطبيق
مطبعة الرسالة ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦م.

* الشكعة : الدكتور مصطفى

٥٠ ـ فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين
مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة .

* ضيف : الدكتور شوقي

٥١ ـ البلاغة تطور وتأريخ
دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية .

٥٢ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي
دار المعارف بمصر - الطبعة الثامنة .

* طبانة : الدكتور بدوي
٥٣ - السرقات الادبية
مطبعة الرسالة - ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

* عاشور : الدكتور سعيد عبد الفتاح
٥٤ - الايوبيون والمماليك في مصر والشام
دار النهضة للطباعة - القاهرة ١٩٧٠م .

٥٥ - العصر المماليكي في مصر والشام
دار النهضة - الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٦٥م .

* عباس : الدكتور احسان
٥٦ - شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري
مطبعة حكومة الكويت - الكويت - ١٩٦٢م .

* عباس العزاوي
٥٧ - تاريخ الادب العربي في العراق
مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م .

* عبد الحميد حسن
٥٨ - صفحات من الادب المصري من العصر الفاطمي الى النهضة الحديثة .
طبع دار الفكر العربي - الطبعة الاولى .

* عبد الرحمن البرقوقي
٥٩ - شرح ديوان المتنبي
دار الكتاب العربي - بيروت .

* عبدالمنعم شلبي
٦٠ - شرح ديوان عنترة بن شداد ،
شركة فن الطباعة بشبرا - القاهرة .

* عصفور : الدكتور جابر احمد
٦١ - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي
مطبعة القاهرة الجديدة - القاهرة .

* علي الجارم ومصطفى امين
٦٢ - البلاغة الواضحة
دار المعارف - الطبعة الحادية والعشرون - القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م .

* العطاري : الدكتور علي محمد حسن
٦٣ - التاريخ الادبي للمصريين الاموي والعباسي الاول
مطبعة دار القومية العربية للطباعة - القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م .

* عمر فروخ
٦٤ - تاريخ الادب العربي
دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٢م .

* الفقي : الدكتور محمد كامل
٦٥ - الادب في العصر المملوكي
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م .

* قلقيلة : الدكتور عبده عبد العزيز
٦٦ - النقد الادبي في العصر المملوكي
المطبعة الفنية الحديثة - الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٧٢م .

* كحالة : عمر رضا
٦٧ - معجم المؤلفين
دار احياء التراث العربي - بيروت .

* كمال ابوديب
٦٨ - جدلية الخفاء والتجلي "دراسات بنيوية في الشعر"
دار العلم للملايين - الطبعة الاولى - بيروت ١٩٧٩م.

* كوفيل : والتر . ج . تيموثي
٦٩ - علم نفس الشواذ . ترجمة د . محمود الزيادي ، ود . السيد محمد خيري
دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٨م.

* اللاذقي : محمد طاهر
٧٠ - المبسط في علوم البلاغة
المكتب التجاري للطباعة - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٦٣م.

* المحامي : محمد فريد
٧١ - تاريخ الدولة العلية العثمانية
دار الجيل - بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م.

* محي الدين عبد الحميد
٧٢ - شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة المخزومي
مطبعة المدني - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م.

* الصاوي : محمد اسماعيل عبد الله
٧٣ - شرح ديوان جرير
دار الاندلس للطباعة - بيروت.

* مطلوب : الدكتور احمد
٧٤ - فنون بلاغية
دار البحوث العلمية - الطبعة الاولى - الكويت - ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م.

* المعيد : محمد جبار
٧٥ - شعراء بصريون من القرن الثالث الهجرى
مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٧٧م.

* مهدى : الدكتور ماهر هلال
٧٦ - جرس الالفاظ ودلالتها فى البحث البلاغى والنقدى عند العرب
دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٨٠ م . منشورات وزارة الثقافة
والاعلام العراقية .

* موسى : الدكتور احمد ابراهيم
٧٧ - الصبغ البديعى فى اللغة العربية
دار الكتاب العربى للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .

* ناصف : الدكتور مصطفى
٧٨ - الصورة الادبية
دار النهضة مصر للطباعة - الطبعة الاولى - القاهرة ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨م

* النويهى : الدكتور محمد
٧٩ - نفسية ابى نؤاس
مكتبة الخانجى - دار الفكر - الطبعة الثانية - القاهرة .

* هلال : الدكتور محمد غنيمى
٨٠ - النقد الادبى الحديث .
دار نهضة مصر للطبع والنشر - الفجالة - القاهرة .

* وجدى : محمد فريد
٨١ - دائرة معارف القرن العشرين
دائرة المعارف للطباعة - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧١ م .

((الدوريـــــات))

١ - مجلة الاقلام : (تصدر في بغداد)
العدد (٨) السنة الخامسة عشرة - ايار ١٩٨٠م
" الشعر والواقع الاجتماعي " بحث للدكتور عبد القادر الرباعي .

٢ - مجلة الثقافة : " تصدر في القاهرة "
السنة السابعة - العدد (٨٢) يولية ١٩٨٠م.
" الذين أدركتهم حرفة الادب " بحث للدكتور طاهر أبوفاشا

٣ - مجلة العربي : (تصدر في الكويت)
العدد (١٤٩) صفر ١٣٩١ هـ - ابريل (نيسان) ١٩٧١م.
"شعراء شعبيون " مقال بقلم حسن الامين .

٤ - مجلة المجمع العلمي العربي : (تصدر في دمشق)
المجلد الخامس - الجزء الثالث - شعبان ورمضان ١٣٤٣ هـ - آذار ١٩٢٥م
" وصف مخطوطة نظم درة الغواص " بحث للاستاذ المغربي .

((الفهرســت))

الموضـــــوع	الصفحـــة